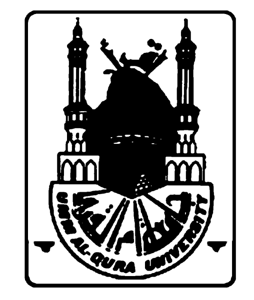
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن



المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من سورة طه إلى سورة القصص جمعاً ودراسة ونقداً

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

عمر بن محمد بن عبدالله المديفر

الرقم الجامعي
٤٢٦٨٠٢٢٠

إشراف الدكتور

عبدالرحمن بن جميل قصاص

١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مستخلص الرسالة

هذا البحث يتحدث عن المناسبات القرآنية وأثرها في تفسير التحرير والتنوير ، لمحمد الطاهر بن عاشور ، من سورة طه إلى سورة القصص ، وهو يتكون من قسمين .

القسم الأول : يتحدث عن علم المناسبات من الناحية النظرية ومراحله وتطوراته ، كما تضمن هذا القسم تعريفاً بابن عاشور ، وبكتابه التحرير والتنوير ، وكل ذلك باختصار .

القسم الثاني : وهو صلب البحث ، ويتحدث عن المناسبات الواردة في تفسير التحرير والتنوير ، وذلك بجمعها ومن ثم دراستها ونقدها ، وقد اعتمدت في دراسة النصوص على الموازنة بما ورد في التفسير الكبير للرازي ، ونظم الدرر للبقاعي .

وخُتِمَ هذا البحث بذكر أهم النتائج والتوصيات .

الباحث

عمر بن محمد المديفر

الشكر والتقدير

أحمد الله وأشكره فهو أهل الفضل والإحسان ، أحمده حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، أحمده وأشكره على أن وفقني لإتمام هذا البحث فهو المتفضل سبحانه وصاحب الجود والإنعام .

ثم إني أشكر كل من ساهم معي بقليل أو كثير ، فلا يشكر الله من لا يشكر الناس .

وأخص بالشكر منهم ، المشرف على هذا البحث أستاذي الفاضل الدكتور عبدالرحمن بن جميل قصاص ، فقد كان تشجيعه المحفز الأكبر في إتمام هذا البحث ، كما أشكر أخي عبدالله الذي قدم لي الكثير من النصح والإرشاد ، فله جزيل الشكر .

ثم إنه لا يفوتني أن أشكر زوجتي العزيزة التي سهرت الليالي في العون والمساعدة ، ويسرت كل صعب في طريق إتمام هذا البحث ، وأشكر أيضاً ابنة أخي -رحمه الله- على جهودها المباركة .

وأسأل الله العظيم أن يغفر لي ولهم وأن يوفقنا لكل خير ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٢.

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء: ١ .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ الأحزاب: ٧٠ .

أما بعد..

فقد أنزل الله كتابه الكريم منجما على رسوله ﷺ منذ مبعثه وحتى توفاه الله ﷻ حسب الحاجة والأحداث ، فكان النبي ﷺ إذا نزلت عليه الآية أو الآيات يقول : «ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا »[1] حتى اكتمل نزول القرآن .

فالناظر إليه يعجب من شدة ترابط أجزائه ، وتماسك كلماته وآياته ، مما جعل العلماء يعملون فيه أذهانهم ، ويسعون في استخراج درره ، وبيان بديع تعبيره ، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ص: ٢٩.

فكان هناك ثلة من العلماء شرعوا في بيان هذا الترابط والتماسك بين آياته بعضها ببعض ، وبين السورة والأخرى ، وسمي ذلك بعلم المناسبات .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسند عثمان بن عفان رضي الله عنه ، حديث رقم [٣٩٩] ، ٥٧/١ ؛ ورواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ومن سورة التوبة ، حديث رقم [٣٠٨٦] ، ٢٧٢/٥ ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس ، وأورده الألباني في ضعيف سنن الترمذي ٣٠٨/١ .

ومن هؤلاء العلماء الإمام محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره القيم (التحرير والتنوير) ، والذي قال في التمهيد له :"وقد اهتممت في تفسيري هذا ، ببيان وجوه الإعجاز ، ونكت البلاغة العربية ، وأساليب الاستعمال ، واهتممت أيضاً ببيان اتصال تناسب الآي بعضها ببعض ، وهو منـزع جليل قد عُنِيَ به فخر الدين الرازي ، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) ، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع ، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع .

أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض ، فلا أراه حقاً على المفسر."[2] أ.هـ . .

وبما أن هذا العلم لم يتطرق إليه كثير من العلماء والباحثين ، سواءً السابقين ، أم اللاحقين ، آثرت أن يكون بحثي ضمن هذا النطاق ، والذي هو سلسلة ممتدة سبقني إليه بعض الزملاء في القسم ، وذلك في تتبع أقوال ابن عاشور في المناسبات ، وجمعها من خلال كتابه ، ودراستها ونقدها .

وكان بحثي فيها من أول سورة طه وحتى آخر سورة القصص ، والتي بلغ عدد المناسبات فيها [١٤٢] موزعة على السور كالتالي :

١. سورة طـه : (٨) مناسبات .
٢. سورة الأنبياء : (١٨) مناسبة .
٣. سورة الحـج : (١٨) مناسبة .
٤. سورة المؤمنون : (١٢) مناسبة .
٥. سورة النـور : (٢٤) مناسبة .
٦. سورة الفرقان : (١٤) مناسبة .
٧. سورة الشعراء : (١٠) مناسبات .
٨. سورة النـمل : (١٧) مناسبة .
٩. سورة القصص : (٢١) مناسبة .

---

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١/٨ .

ثم إني قد قصرت الموازنة والمقارنة بما ذكره ابن عاشور من المناسبات مع ما أورده الرازي في تفسيره وبما ذكره البقاعي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ؛ حتى يتبين للقارئ مدى إجادة ابن عاشور لهذا العلم من عدمه .

كما إني ركزت الدراسة على ما أورده ابن عاشور في ذكر المناسبات القرآنية مهملاً ما تم بحثه من قبل الباحثين مما له علاقة بالمناسبات من الأمور البلاغية والنحوية وغير ذلك ، وهذا ما جعل البحث بهذا الاختصار .

وختاماً أحمد الله تعالى على إعانته وتوفيقه في ذلك ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



وتشتمل على مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس .

المقدمة . وفيها :

١. أهمية الموضوع وأسباب اختياره .

٢. الدراسات السابقة .

٣. حدود البحث .

٤. منهج البحث .

٥. منهج الباحث في ذكر المناسبات .

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

يمكن أن تلخص الأهمية والأسباب بما يلي :

١. شرفه لشرف متعلقه :

أ- علم المناسبات أحد علوم القرآن الكريم التي هي روافد علم التفسير .

ب- علم المناسبات موضوعه آيات القرآن الكريم وسوره من حيث اتصال بعضها ببعض .

٢. علم المناسبات وسيلة لفهم معاني الآيات ، وترابط معانيها ، وإدراك وحدتها .

٣. إبراز مكانة هذا العلم من حيث كونه معيناً على الترجيح عند الاختلاف في المعاني .

٤. علم المناسبات علمٌ عُني به مؤخراً بالنسبة لعلوم القرآن ، وقل من عُني به .

٥. الإسهام في خدمة هذا العلم ، ونشره بين طلبة العلم وأهل الشأن .

٦. مكانة ابن عاشور العلمية .

٧. تميز ابن عاشور في عنايته بهذا العلم ، وذلك لاطلاعه على زبدة أقوال العلماء السابقين في هذا المجال .

٨. جمع المعلومات المتناثرة في بطون الكتب والمتعلقة بمسألة واحدة في كتاب واحد وموضع واحد ليسهل الرجوع إلى المعلومات .

٩. معايشة أنفع العلوم وأجلها .



هذه جملة من الدراسات السابقة مكتفياً بذكر الدراسات التي تصب في صلب الموضوع :

١. البرهان في ترتيب سور القرآن ، لابن الزبير الغرناطي .

٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لإبراهيم بن عمر البقاعي .

٣. تناسق الدرر في تناسب السور ، للسيوطي .

٤. جواهر البيان في تناسب سور القرآن ، لعبدالله الغماري .

٥. المناسبات في القرآن الكريم ، لعبد الله مقبل ظافر القرني ، ماجستير ، جامعة أم القرى ، وغير ذلك .



يكمن الحد في جمع المناسبات التي ذكرها الطاهر ابن عاشور في كتابه التحرير والتنوير ، ويكون الحديث فيه عن المناسبات التي بين الآيات ، والمناسبات المذكورة عند تذييل الآيات بصفات الله وأسمائه -سبحانه وتعالى- ، ومن ثم دراستها ومقارنتها بأقوال سابقيه ، ونقدها .



١. استخراج ، وجمع المناسبات ، وحصرها .
٢. ترتيب المناسبات حسب ذكر الطاهر ابن عاشور .
٣. دراسة المناسبات ، ونقدها ، ومقارنتها بأقوال سابقيه .
٤. عزو الآيات إلى سورها في القرآن الكريم .
٥. إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه منهما .
٦. أتبع تخريج الحديث الذي في غير الصحيحين بجملة من أحكام أهل العلم عليه .
٧. عزو الأقوال إلى قائليها ما أمكن .
٨. ترجمة للأعلام الذين ورد ذكرهم في المتن مستثنياً من ذلك المشاهير من الصحابة ﷺ وعلماء الأمة .
٩. عملت فهارس كاشفةً لتيسير الوصول إلى المعلومة .

منهج الباحث في ذكر المناسبات

أولاً : جعلت الموازنة لقول ابن عاشور بقولي الرازي والبقاعي في ذكر المناسبة ، وذلك لأن الرازي يعتبر من السابقين المتوسعين في هذا المجال ، وكذلك البقاعي من السابقين الذين أفردوا هذا العلم بالتأليف ، كما أن ابن عاشور خصهما بالذكر ، وذلك عند ذكر المناسبات كنوع مما اهتم به في تفسيره .[٣]

ثانياً : اقتصرت على ذكر المناسبة بين الآية وسابقتها ، إضافة إلى ما ذُيِّل بأسماء الله وصفاته من الآيات .

---

(٣) التحرير والتنوير ١/٨ .

ثالثاً : أفردت المناسبات الواردة في كل سورة بترقيم خاص بها ، وإن كانت المناسبة في أكثر من آية أكتفي بذكر الآية الأولى .

رابعاً : أعقب الآية بذكر المناسبة مبتدئاً بقول ابن عاشور ، ثم بقول الرازي والبقاعي ، وذلك حسب الأسبق تاريخياً ما لم يقتض موجبٌ تقديم قول البقاعي في بعض المناسبات ، وإذا لم أذكر قول أحدهما فإنه لم يذكر مناسبة ، وربما أصرح بأن فلاناً لم يذكر المناسبة .

خامساً : بعد ذكر المناسبات يأتي تعقيب الباحث ، وربما كان التعقيب بين المناسبات وقد يكون قبلها .

سادساً : قد أُعرض عن ذكر بعض المناسبات خشية التكرار ، وأخرى لوضوح المعنى ، وقد أذكر مناسبة يتفق فيها الجميع ، ويكون ذكرها هنا لبيان زيادة عند أحد عن غيره مما اتفقوا عليه ، أو لبيان أن ابن عاشور لم يأت بجديد ، أو ما فيه مقنع ، وهو الأمر الذي عابه على بعض سابقيه .

القسم الأول

التمهيد .

الفصل الأول : علم المناسبات . وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : تعريف علم المناسبات .

المبحث الثاني : أهميته .

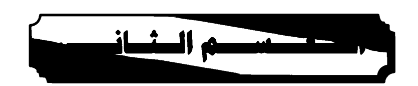
المبحث الثالث : نشأته ومراحله بإيجاز .

الفصل الثاني : التعريف بالمؤلف وبكتابه بإيجاز ، وفيه مبحثان .

المبحث الأول : التعريف بالمؤلف .

المبحث الثاني : التعريف بالكتاب .

الفصل الثالث : منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات (في القسم المقرر)



الجمع والدراسة .

الفصل الأول : سورة طه ، والأنبياء ، والحج ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سورة طه . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثاني : سورة الأنبياء . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثالث : سورة الحج . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

الفصل الثاني : سورة المؤمنون ،والنور ، والفرقان ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سورة المؤمنون . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثاني : سورة النور . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثالث : سورة الفرقان . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

الفصل الثالث : سورة الشعراء ، والنمل ، والقصص ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : سورة الشعراء . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثاني : سورة النمل . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

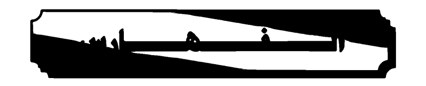
المبحث الثالث : سورة القصص . وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

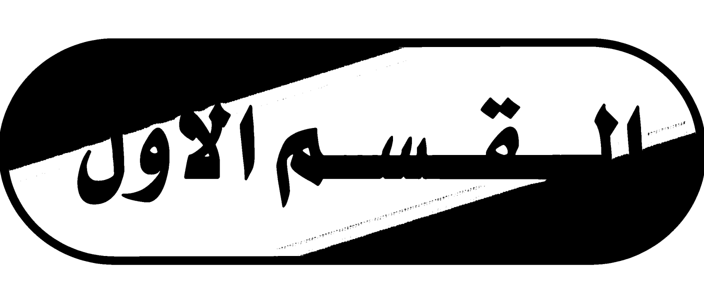


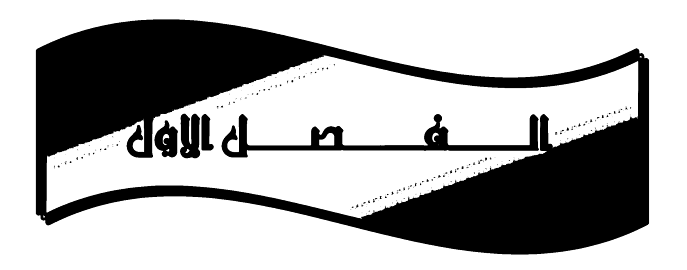
وتتضمن أهم النتائج والتوصيات .



وهـــي :

1. فهرس الآيات القرآنية .
2. فهرس الأحاديث النبوية .
3. فهرس الآثار .
4. فهرس الشعر .
5. فهرس الأعلام .
6. فهرس المصادر والمراجع .
7. فهرس الموضوعات .


القسم الأول



المبحث الأول : تعريف علم المناسبات

المبحث الثاني : أهميته

المبحث الثالث : نشأته ومراحله بإيجاز

تعريف علم المناسبات

أ- المناسبات في اللغة :

المناسبات : جمع مناسبة ، والمناسبة هي المشاكلة ، والمشاركة ، والمشابهة ، والمقاربة.[٤]

وفي تاج العروس :"المناسبة المشاكلة ، يقال بين الشيئين مناسبة وتناسب ، أي مشاكلة وتشاكل ، وكذا قولهم لا نسبة بينهما ، وبينهما نسبة قريبة."[٥]

ب- المناسبة اصطلاحاً :

عرَّف العلماء المناسبة في الاصطلاح بعدة تعريفات منها :

١- تعريف ابن العربي[٦]حيث قال : هو "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني."[٧]

٢- وقد عرف الزركشي[٨] المناسبة بقوله :"ولهذا قيل : المناسبة أمر معقول إذا

---

(٤) ينظر لسان العرب لابن منظور ٧٥٦/١ ؛ ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ٢٧٣/١ ؛ والمصباح المنير لأحمد الفيومي ٦٠٢/٢ .

(٥) تاج العروس للزبيدي ٢٦٥/٤ .

(٦) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ، الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ أحد الأعلام . ولد في شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة للهجرة ، صنف في أحكام القرآن ؛ وشرح الموطأ ؛ وشرح الترمذي ، وغير ذلك ، ولي القضاء في بلده ، مات في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة [ينظر تاريخ الإسلام للذهبي ١٥٩/٣٧ ؛ وطبقات المفسرين للسيوطي ص١٠٥] .

(٧) نقلاً عن الزركشي في البرهان في علوم القرآن ٣٦/١ ، ذُكر هذا التعريف في كتاب سراج المريدين لابن العربي ، ولم أستطع الوقوف على كتاب سراج المريدين .

(٨) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين المنهاجي ، أبو عبد الله بدر الدين ، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة ، عالم بفقه الشافعية والأصول ، تركي الأصل مصري المولد والوفاة ، له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها : لقطة العجلان ، والبحر في أصول الفقه ، والبرهان في علوم القرآن ، توفي سنة أربع = = وتسعين وسبعمائة .[ينظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٦٧/٣ ؛ وإنباء الغمر بأبناء العمر لابن

عرض على العقول تلقته بالقبول...

(ثم قال)...كذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها - والله أعلم - إلى معنىً ما رابط بينهما عام ، أو خاص ، عقلي ، أو حسي ، أو خيالي ، وغير ذلك من أنواع العلاقات ، أو التلازم الذهني."(٩)

٣- كما عرفه البقاعي(١٠) بقوله : "علم تعرف منه علل الترتيب."(١١)

فبعد ذكر هذه التعريفات ، يتبين أن تعريف ابن العربي هو الأحسن ، فهو أخص من تعريف الزركشي من حيث متعلقه ، وأشمل من تعريف البقاعي ، ولكن مع هذا يظل التعريف غير جامع ، فلو أضيف إليه بعض العبارات لأصبح في نظر الباحث تعريفاً جامعاً مانعاً .

فلو قيل : (هو علم يُبحث فيه عن ارتباط آي القرآن وسوره بعضها ببعض ، حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني) ، لكان هذا التعريف شاملاً لجميع أنواع المناسبات ، وعُلم أن هذا علم مستقل من أنواع علوم القرآن .

حجر ص٤٤٦] .

(٩) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٥/١ .

(١٠) برهان الدين أبو الحسن ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، الشافعي العلامة المحدث الحافظ ، ولد سنة تسع وثمانمائة تقريباً ، وله تصانيف كثيرة حسنة منها : كتاب نظم الدرر في مناسبة الآي والسور ؛ والنكت على شرح ألفية العراقي ؛ والأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل ، مات سنة خمس وثمانين وثمانمائة .[ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ١٠١/١ ؛ وطبقات المفسرين للأدنه وي ص٣٤٧] .

(١١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٦/١ .

أهمية علم المناسبات

إن علم المناسبات علم جليل القدر ، كثير النفع ، يساعد على فهم المعاني ، وإدراك الترابط بين الآيات والسور ، يزيل اللبس ، ويرفع الاضطراب والتنافر بين آي الكتاب ؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كما يُوقَفُ من خلاله على وجه من وجوه الإعجاز .

وتكمن أهمية هذا العلم في كونه يغوص في أعماق المعاني والآيات ، وترتيبها ، وعلل مواقعها ، وفي الكشف عن الدرر والكنوز المتعلقة في الربط والترابط بين الآيات والسور .

وقد دعا الله ﷻ إلى تدبر القرآن الكريم وفهمه ، وجمع ذلك كله في كلمتين قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ النساء: ٨٢ .

كما أن معرفة المناسبة بين السور والآيات ، يساعد على إدراك مقاصد القرآن العظيم ، وتذوق نظمه ، وفهمه ، والترجيح بين الآراء .

يقول الزركشي :"وفائدته : جعل أجزاء الكلام ، بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء ، وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته."[١٢] أ.هـ .

ثم إن عدم الاهتمام بالمناسبات قد يُوقِعُ في فهم خاطئ ، أو فهم بعيد للمعنى .

ومن هنا تتجلى أهمية المناسبات ، ويُعْرَفُ أنَّ هذا العلم عزيز قل خوض العلماء في بحوره لصعوبة الغوص في معانيه ، أو لدقة الرابط بين جمله وأجزائه .

---

(١٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٦/١ .

لم يكن أمر المناسبة في جيل الصحابة ﷺ والتابعين الأوائل ذا شأن كبير ، وإنما تطرقوا له في بعض المناسبات ، ولعل ذلك راجع إلى فهمهم لكتاب الله ﷻ ، فقد كانوا هم أهل العربية وأهل الصنعة .

ورغم هذا فقد يأتي من يغيب عنه الفهم الصحيح للآيات القرآنية ، فيأتي السؤال، أو الاستفسار عن معنى ، أو تفسير ، أو حكم يكون جوابه من خلال ذكر المناسبات .

وهذه بعض الشواهد التي تدل على أن الصحابة ﷺ تطرقوا لمثل هذا النوع من المسائل .

فعن ابن مسعود ﷺ قال :"إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا فليسأله عما قبلها."(١٣)

وفي مثال آخر : عن يزيد بن صهيب(١٤) قال :"حج ناس من الخوارج ، فلما قضوا حجهم ، قالوا : نأتي هذا الشيخ – يعنون أبا سعيد الخدري ﷺ – فنسأله عن حديث يحدثه عن رسول الله ﷺ فأتوه ، فقالوا : أرأيت حديثًا تذكره عن رسول الله ﷺ في قوم يدخلون النار ثم يخرجون منها ؛ أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار)) ، ثم حدثهم أن قومًا يدخلون النار ثم يخرجون منها ، فقال له القوم : أو ليس الله تعالى يقول : ﴿

---

(١٣) رواه عبدالرزاق في المصنف ، في كتاب فضائل القرآن ، باب تعاهد القرآن ونسيانه ، حديث رقم [٥٩٨٨] ٣٦٥/٣ ؛ والطبراني في الكبير ، حديث رقم [٨٦٩٣] ١٤٠/٩ .

(١٤) يزيد بن صهيب الفقير ، أبو عثمان الكوفي ، ثقة مقل ، حدث عن ابن عمر وجابر وأبي سعيد الخدري ﷺ ، وثقه ابن معين وأبو زرعة ، وقال : أبو حاتم صدوق ، لقب بالفقير لأنه اشتكى فقار ظهره وهو من كبار شيوخ أبي حنيفة .[ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٢٧/٥ ؛ وتهذيب التهذيب لابن حجر ٢٥٩/١١] .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٧ ، فقال لهم أبو سعيد : اقرءوا ما فوقها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٦ – ٣٧."(١٥)

وهذا مثال واضح وبيِّن عن مدى أهمية المناسبات .

وفي المثالين بيان من الصحابيين { بضرورة معرفة السابق واللاحق ؛ حتى يُعرف معنى الآية على الوجه الصحيح ، وهو لب علم المناسبات ، وهذا إعجاز من إعجاز القرآن .

وهكذا عند وجود ما يُشْكِلُ يردُّ العالم ويجيب عن هذا الإشكال .

لكن علم المناسبات لم يظهر كفنٍّ مستقل حتى أواخر القرن الخامس الهجري ، ولا يعرف من صاحب الأولية في التأليف فيه بالتحديد .

وقد أخطأ من ظنَّ أنَّ أوَّل من أفرد هذا العلم بالتأليف : هو أبو بكر النيسابوري المتوفى سنة ٣٤٢هـ ، وهذا راجع إلى النقل والفهم الخاطئ للنصوص .(١٦)

وفي منتصف القرن السادس الهجري تقريباً ؛ أخذ العلماء بالتوسع في الحديث عن المناسبات ، فمنهم من أفرد كتاباً للمناسبات ، ومنهم من جعل ذلك في ثنايا حديثه ، وقسموا هذا العلم إلى ثلاثة أقسام رئيسة .

---

(١٥) إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصيري ، كتاب صفة النار وأهلها ، باب فيمن يدخل النار ثم يخرج منها وما جاء في الجرجير ، حديث رقم [١٠١٩٦] ٤٥٢/١٠ ، رواه الحارث بن أسامة في مسنده ولم أقف عليه في المسند ؛ ووجدت لفظاً شبيهاً لهذا الأثر في تفسير ابن كثير ٥٥/٢ .

(١٦) هناك بحث للدكتور عبدالحكيم الأنيس ، سلط فيه الضوء على ظهور علم المناسبة ، وجاء بحقائق وأشياء مغلوطة في بدايات هذا العلم ، ولا يتسع المجال لذكرها هنا .[ينظر مجلة الأحمدية ، العدد الحادي عشر ؛ جماد الأولى ١٤٢٣هـ .] .

وقبل التطرق إلى تقسيم العلماء للمناسبات ، ينبغي أن يذكر من عارض هذا العلم ومن أنكره ، حتى يكمل الحديث عن المناسبات ، ويكون الحديث شاملاً لأبعاد الموضوع .

وأول من اعترض على التكلف في هذا العلم هو سلطان العلماء العز بن عبدالسلام[17]، وإن كان رأي العز إنما هو لمنع القول على الله بغير علم ، أو أن يُتَكَلَّف إيجاد الرابط والمناسبة، وهو مع هذا يرى أن نزول القرآن منجماً هو السبب الحقيقي للاعتراض على هذا العلم .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام :"المناسبة علم حسن ، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام : أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر...

...ومن ربط ذلك ، فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، ولأسباب مختلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ، إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض ؛ مع اختلاف العلل والأسباب ، كتصرف الملوك والحكام والمفتين ، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة ، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض ؛ مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها."[18]

هذا هو رأي العز بن عبدالسلام ، وقد رد بعض العلماء قوله ، فلعله يكتفى بذكر

---

(١٧) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي ، شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام ، سلطان العلماء وإمام عصره بلا مدافع ، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة ، ومن تصانيفه تفسير حسن في مجلدين ؛ والقواعد الكبرى ، مات رحمه الله في عاشر جمادى الأولى سنة ستين وستمائة ، وشهد جنازته الظاهر والخلائق .[ينظر تاريخ الإسلام للذهبي ٤١٦/٤٨ ؛ وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١٠٩/٢] .

(١٨) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز لعز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام ص٢٢١ .

الرد الذي نقله الزركشي في البرهان حيث قال :"قال بعض مشايخنا المحققين[١٩]: قد وهم من قال لا يُطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها حسب الوقائع المتفرقة .

وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنـ.زيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيبا ، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف ، وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعددة ، أو ناظر فيها ، أو أملاها، لذكر آية كل حكم على ما سئل ، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى ولا كما نزل مفرقا ؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة ، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر ، فإنه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

قال : والذي ينبغي في كل آية : أن يبحث أولُ كلِ شيء ؛ عن كونها مكملة لما قبلها ، أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففي ذلك علم جم ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها ، وما سيقت له."[٢٠]

ومن العلماء الذين تابعوا العز بن عبدالسلام في الرأي الإمام الشوكاني[٢١]- رحمهما الله- إلا أنه شدد على القائلين له والمعتنين به ، وأنكر عليهم اشتغالهم بهذا فقال :"اعلم أن كثيرا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف ، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته ، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة ، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله -سبحانه-، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف ، فجاءوا

---

(١٩) صرح باسمه البقاعي والسيوطي وهو : ولي الله محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي الشافعي : ينظر نظم الدرر ٨/١ ؛ والإتقان للسيوطي ٣٥٦/١ .

(٢٠) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٣٧ .

(٢١) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن ، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ، ونشأ بصنعاء ، وولي قضاءها ، ومات حاكماً بها ، وكان يرى تحريم التقليد، له نحو ١١٤ مؤلفاً منها : فتح القدير في التفسير ؛ ونيل الاوطار من أسرار منتقى الأخبار ؛ والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ؛ وإرشاد الفحول ، في أصول الفقه ، توفي سنة خمسين ومائتين وألف .[ينظر البدر الطالع للشوكاني ٢١٤/٢ ؛ والأعلام للزركلي ٢٩٨/٦] .

بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ، ويتنـ.زه عنها كلام البلغاء فضلا عن كلام الرب سبحانه ، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف ، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف...

...وما أقل نفع مثل هذا وأنزر ثمرته وأحقر فائدته ، بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له ؛ من تضييع الأوقات وإنفاق الساعات في أمر لا يعود بنفع على فاعله ولا على من يقف عليه من الناس."[٢٢]

هذا هو رأي سلطان العلماء ، ورأي الشيخ الشوكاني في المسألة ، إلا أني أجد لهما العذر وأقدم حسن الظن ، فهما لم يفعلا ذلك إلا صوناً لهذا الكتاب العزيز عن التكلف ، والقول فيه بغير علم ، حتى لا يصبح من الرأي المذموم ، فالعالم يجتهد وليس كل مجتهد يصيب ، ومع هذا فالذي يظهر أن العز بن عبدالسلام لا ينكر المناسبة على الإطلاق بل يستحسنها إذا وقعت بين كلام متحد مرتبط أوله بآخره ، وإنما الذي ينكره هو التكلف في علم المناسبات ، كما أن الشوكاني مع ما ذكر من الشدة في ذلك نجده أحياناً يثبت ذلك في تفسيره ، ثم إنه أثنى في البدر الطالع على البقاعي بسبب كتابه نظم الدرر حيث قال فيه :"ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآى والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء ، الجامعين بين علمي المعقول والمنقول ، وكثيراً ما يشكل على شئ في الكتاب العزيز ؛ فأرجع الى مطولات التفاسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفى ، وأرجع الى هذا الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب."[٢٣]

وبعد ، فالقول في المناسبات : هو أنه علم شائك قد يزلّ فيه من ليس لديه التبحر في علوم اللغة والتفسير ، ومن خلاله قد يدخل من يحاول التشكيك في القرآن ؛ وهو من التشكيك فيه أبعد ، إلا أنه قد يصادف قولَ المشكّك صاحب هوى ، أو ضعيفُ بصيرةٍ وهدى ، فيقع ما منه يُخشى .

لذا لزم على الباحث فيه أن يكون مُلماً بالعلوم الأساسية المعينة على استنباط

---

(٢٢) فتح القدير للشوكاني ١/١١٦ .

(٢٣) البدر الطالع للشوكاني ١/٢٠ .

المناسبة وأن يتجنب القول فيه بغير علم وبصيرة ، إلا فتح من الله يَمُنُّ به على من يشاء من عباده .

• أنواع المناسبات .

وبعد عرض الآراء أذكر تقسيم العلماء للمناسبات .

لقد قسم العلماء المناسبات إلى ثلاثة أقسام رئيسة ، وقد يزيد بعضهم قسماً أو يُنْقِصُ آخر ، وفي الجملة هي متداخلة تحويها الأقسام الثلاثة الرئيسة :

القسم الأول :- المناسبة بين الآية وأختها ، أو بين أجزاء الآية الواحدة .

وهذا النوع هو الأهم ، وأكثر كلام العلماء فيه كما هو الحال في تصنيفهم .

القسم الثاني :- المناسبة في السورة .

المناسبة في السورة بالجملة ، كمناسبة اسم السورة ، وكرد عجز السورة على صدرها ، كما هو الحال في تفسير الطاهر بن عاشور ، وغير ذلك من أوجه المناسبات .

القسم الثالث :- المناسبة بين السور .

هذا النوع بعض العلماء لم يوله اهتماماً ، ومنهم الطاهر بن عاشور حيث قال:"أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض ، فلا أراه حقاً على المفسر."[٢٤]

فأما الذين اعتنوا بهذا النوع فيمكن أن نحصر تقسيماتهم إلى قسمين رئيسين.

الأول :- المناسبة بين خاتمة السورة والتي بعدها ، أو فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها، فالأولى مثل المناسبة بين الحواميم ، والأخرى مثل فاتحة سورة النجم لخاتمة سورة الطور .

الثاني :- المناسبة الموضوعية بين السورتين .

وبعد النظر إلى تقسيمات العلماء للمناسبات وأنواعها ، علم أن التقسيمات وإن

---

(٢٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١/٨ .

تعددت واختلفت ستندرج تحت أحد الأقسام الثلاثة الرئيسة .[٢٥]

وفي الختام يأتي ذكر أشهر الذين اعتنوا بالتأليف في علم المناسبات ، سواءً أكان ذلك بإفراده بالكتابة ، أم كان ضمن كتب التفسير ، أم علوم القرآن ، ويكون البدء بمن أفرده بالتأليف إما من ناحية التأصيل والتقعيد ، وإما من ناحية التطبيق .

١. البرهان في ترتيب سور القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٠٨ هـ .) ، مطبوع .

٢. نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، للشيخ برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٨ هـ .) ، مطبوع .

٣. تناسق الدرر في تناسب السور ، لجلال الدين السيوطي. (ت ٩١١ هـ .) مطبوع .

٤. مراصد المطالع في تناسب المقاطع و المطالع ، لجـ . ـلال الـ . ـدين السـ . يوطي ، مطبوع .

٥. ربط السور والآيات ، لمحمد بن المبارك ، المعروف بحكيم شاه القزويني ، (ت ٩٢٠هـ .) ، مخطوط .

٦. جواهر البيان في تناسب سور القرآن ، لعبد الله محمد بن صديق الغماري ، (ت ١٤١٣ هـ .) ، مطبوع .

وأما العلماء الذين جعلوا الحديث عن المناسبات ضمن تفسيرهم لكتاب الله ، أو ضمن مصنفاتهم ، فمنهم :

١. الإمام فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦هـ .) ، في تفسيره مفاتيح الغيب ، مطبوع .

---

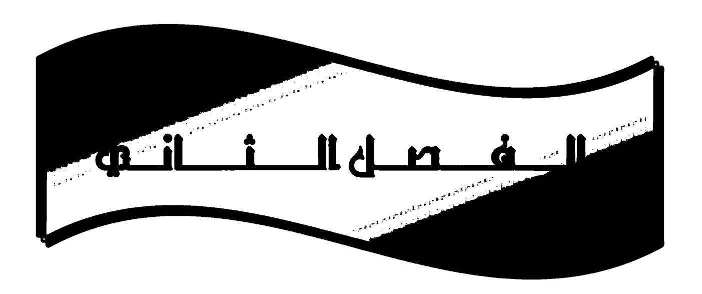
(٢٥) ينظر مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن والسور ، لعادل أبي العلاء ص١٠١ .

٢. بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ.) ، في البرهان في علوم القرآن ، مطبوع.

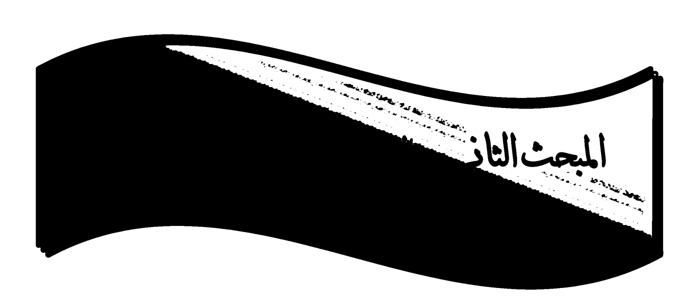
٣. جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ.) ، في الإتقان في علوم القرآن ، مطبوع .

٤. سيد قطب (ت ١٣٨٦هـ.) ، في تفسيره ، في ظلال القرآن ، مطبوع .

٥. محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ.) ، في تفسيره التحرير والتنوير .


الفصل الثاني


المبحث الأول : التعريف بالمو


المبحث الثا

التعريف بالمؤلف

لا يزال علماء الأمة الإسلامية يتأملون هذا الكتاب العظيم وصراطها المستقيم ، جاهدين في كشف المزيد من المعاني والأهداف والمقاصد للمعجزة الخالدة للنبي الكريم ﷺ فهو ما زال ولا يزال القول الفصل الذي يصلح لكل زمان ومكان ، وبه وبقول نبينا ﷺ يصلح الزمان والمكان .

وكان من هؤلاء العلماء الذين ساهموا وبشكل متميز في تدبر هذا الكتاب العظيم، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور – رحمه الله – ، حيث أخرج لنا كتاباً عظيم القدر سعى فيه إلى الأحسن ، وقد أحسن فيه الصنع - فرحمه الله - ، وجعل ذلك في ميزان حسناته .

وهنا يأتي الحديث إلى بيان شيء مما تميز به كتاب - التحرير والتنوير - ، ويوقف على شيء من حسن قول مؤلفه – رحمه الله – ، فالبدء بالتعريف بالمؤلف ، ثم بالحديث عن كتابه التحرير والتنوير .

اسمه ونسبه : هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبدالقادر محمد بن عاشور الشريف الأندلسي ثم التونسي .(٢٦)

مولده : ولد الطاهر بن عاشور في تونس سنة ١٢٩٦هـ . (٢٧)

---

(٢٦) ينظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره لهياء العلي ص١٩ ؛ ومحمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة لمحمد الحبيب ١/١٥٣ .

(٢٧) ينظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره لهياء العلي ص٢٥ ؛ ومحمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة لمحمد الحبيب ١/١٥٣ .

حياته العلمية : ينتمي الطاهر بن عاشور إلى سلالة علمية عريقة ترجع أصولها إلى بلاد الأندلس .

وكعادة العلماء الأوائل بدأ بحفظ القرآن عندما بلغ سن السادسة ، فحفظ القرآن وبعض المتون العلمية ، ثم أخذ بتعلم الفنون الأخرى ، فتعلّم النحو ، ودرس البلاغة ، والمنطق ، والعقائد ، ودرس الفقه ، والفرائض ، وأصول الفقه ، ودرس الحديث ، كل هذا عن طريق العلماء في الكتاتيب والجوامع ، حتى انخرط ضمن جامع الزيتونة في عام ١٣١٠هـ . وتخرج منه ، فدرس علوم الزيتونة ونبغ فيها ، وأظهر همةً عالية في التحصيل ، ساعده في ذلك - بعد توفيق الله - ذكاؤه ، والبيئة العلمية التي نشأ فيها ، وشيوخ الجامع المتميزين علمياً وفكرياً ، ولم يقتصر الشيخ – رحمه الله – على علوم العربية والشريعة ، فتعلم الفرنسية الذي كان للوضع السياسي في زمانه الدور الأكبر في تعلمها.[٢٨]

حياته المهنية : بعد أن تخرج الشيخ – رحمه الله – من جامع الزيتونة في عام ١٣١٧هـ . ، أصبح متطوعاً في جامع الزيتونة ، إلى أن التحق بسلك التدريس في الجامع ، بعد ذلك نجح في مناظرة التدريس من الرتبة الثانية في الجامع ، وكان قد اختير للتدريس في مدرسة الصادقية سنة ١٣٢١هـ . ، فبذلك جمع الشيخ – رحمه الله – بين المنهج التقليدي لجامع الزيتونة ، والمنهج العصري المتطور للمدرسة الصادقية ، ثم نجح في مناظرة التدريس من الطبقة الأولى .

بعد ذلك عيّن نائباً أول للدولة لدى النظارة العلمية لجامع الزيتونة سنة ١٣٢٥هـ . ، ثم سلمت إليه مقاليد إدارة هذه المؤسسة العلمية العريقة جامع الزيتونة ، وكان ذلك في عام ١٣٥١هـ . ، ثم استقال ثم أعيد إليه مرة أخرى .

---

(٢٨) ينظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره لمياء العلي ص٢٥-٢٦ ؛ ومحمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة لمحمد الحبيب ١/١٥٣ ؛ وشيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره لبالقاسم الغالي ص٣٧ .

وعندما تكونت الجامعة الزيتونية بعد الاستقلال ، أسندت إليه رئاسة الجامعة عام ١٣٧٤هـ . .

هذا ما كان يشغله الشيخ – رحمه الله – من النواحي العلمية ، أما من الجوانب الأخرى ، فقد عين الشيخ عضواً لمجلس الأوقاف ، كما عين قاضياً مالكياً ، ثم عين مفتياً، كما عين شيخ إسلام للمذهب المالكي ، وهو أول من تولى هذا المنصب .

كما عني ابن عاشور – رحمه الله – بإصلاح الكتب الدراسية ، وأساليب التدريس ، ومعاهد التعليم ، وشؤون الطلبة ، وكان هذا ضمن رؤيته الإصلاحية العلمية والتربوية ، فرحمه الله وجزاه خيراً .[29]

النتاج العلمي : بلغت مؤلفات الشيخ – رحمه الله – وتحقيقاته أكثر من ثلاثين عنواناً في فنون شتى ، منها المطبوع ، ومنها ما هو مخطوط .[30]

فمن المطبوع التالي :

١. التحرير والتنوير .
٢. كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطا .
٣. مقاصد الشريعة .
٤. الوقف وأثره في الإسلام .
٥. أصول الإنشاء والخطابة .
٦. موجز البلاغة .
٧. قصة المولد .

---

(٢٩) ينظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره لمياء العلي ص٥٣-٦٣ ؛ ومحمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة لمحمد الحبيب ١/١٦٤-١٦٨ .

(٣٠) ينظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره لمياء العلي ص٧٥-٧٨ .

٨. أليس الصبح بقريب .

٩. أصول التقدم في الإسلام .

ومن المخطوط :

١. آراء اجتهادية .

٢. أمالي على دلائل الإعجاز .

٣. غرائب الاستعمال .

٤. تعاليق على المطول وحاشية السيالكوتي .

٥. تراجم بعض الأعلام .

٦. كتاب تاريخ العرب .

وفاته : بعد حياة علمية زاخرة بالعلم والتعليم جاوزت التسعين عاماً توفي الشيخ ابن عاشور -رحمه الله- وأسكنه فسيح الجنان في تونس سنة ١٣٩٣هـ . .

يقع كتاب التحرير والتنوير في ثلاثين جزءً موزعاً على اثني عشر مجلداً طبع في دار سحنون في تونس ، وله عدة طبعات من دور مختلفة .

بدأ المؤلف كتابه بتمهيد ذكر فيه أن تفسير كتاب الله كان من أكبر أمنياته حيث قال :"فقد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد تفسير الكتاب المجيد ، الجامع لمصالح الدنيا والدين ، وموثق شديد العرى من الحق المتين ، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها ، طمعا في بيان نكت من العلم ، وكليات من التشريع ، وتفاصيل من مكارم الأخلاق."[٣١]

ثم ذكر أنه وبعد تردد وإحجام عن الخوض في هذا المجال أقدم على هذه المهمة إقدام الشجاع ، وأخذ على نفسه أن يبدي في تفسير القرآن نكتاً لم يسبق إليها ، وأن يقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها ، وآونة عليها ، وفي كل هذا كلام جميل أحببت أن انقل قوله بالكامل ، يقول - رحمه الله - :"ولكني كنت على كلفي بذلك أتجهم التقحم على هذا المجال ، وأحجم عن الزج بسية قوسي[٣٢]في هذا النضال ، اتقاء ما عسى أن يعرض له المرء نفسه من متاعب تنوء بالقوة ، أو فلتات سهام الفهم وإن بلغ ساعد الذهن كمال الفتوة ، فبقيت أسوف النفس مرة ومرة أسومها زجراً ، فإن رأيت منها تصميما أحلتها على فرصة أخرى ، وأنا آمل أن يمنح من التيسير ما يشجع على قصد هذا الغرض العسير ، وفيما أنا بين إقدام وإحجام ، أتخيل هذا الحقل مرة القتاد[٣٣]وأخرى الثمام[٣٤]، إذا أنا بأملي قد خيل إلي أنه تباعد أو انقضى ، إذ قدر أن

---

(٣١) التحرير والتنوير ٥/١ .

(٣٢) سِية القوس : ما عطف من طرفيها ، وفي لسان العرب : سِيَة القوس طرف قابها ؛ وقيل رأسها ؛ وقيل ما اعوج من رأسها ، وهو بعد الطائف ، والنسب إليه سِيَوِيٌّ .[ينظر تهذيب اللغة لمحمد الأزهري ١٥٥/٦ ؛ ولسان العرب لابن منظور ٤١٧/١٤].

(٣٣) القتاد : شجر له شوك صلب له سنفة وجناة كجناة السمر ، ينبت بنجد وتهامة ، واحدته قتادة ، قال أبو حنيفة : القتادة ذات شوك ، قال : ولا يعد من العضاه ، وقال : مرة القتاد شجر له شوك أمثال الإبر ،

تسند إلي خطة القضاء ، فبقيت متلهفا ولات حين مناص ، وأضمرت تحقيق هاته الأمنية متى أجمل الله الخلاص ، وكنت أحادث بذلك الأصحاب والإخوان ، وأضرب المثل بأبي الوليد ابن رشد(٣٥) في كتاب البيان ، ولم أزل كلما مضت مدة يزداد التمني وأرجو إنجازه، إلى أن أوشك أن تمضي عليه مدة الحيازة ، فإذا الله قد من بالنقلة إلى خطة الفتيا ، وأصبحت الهمة مصروفة إلى ما تنصرف إليه الهمم العليا ، فتحول إلى الرجاء ذلك اليأس، وطمعت أن أكون ممن أوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ، هنالك عقدت العزم على تحقيق ما كنت أضمرته ، واستعنت بالله تعالى واستخرته ، وعلمت أن ما يهول من توقع كلل أو غلط لا ينبغي أن يحول بيني وبين نسج هذا النمط ، إذا بذلت الوسع من الاجتهاد ، وتوخيت طرق الصواب والسداد .

أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع على وادي السباع(٣٦)، متوسطا في معترك أنظار الناظرين ، وزائر بين ضباح الزائرين ، فجعلت حقا علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها ، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها ، فإن الاقتصار على الحديث المعاد ، تعطيل لفيض القرآن الذي ما له من نفاد ، ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين : رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون ، وفي كلتا الحالتين ضر كثير ، وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير ، وهي أن نعمد إلى ما أشاده الأقدمون فنهذبه

وله وريقة غبراء وثمرة تنبت معها غبراء كأنها عجمة النوى ، والقتاد شجر له شوك وهو الأعظم . [ينظر المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٢٩٨/٦ ؛ ولسان العرب لابن منظور ٣٤٢/٣] .

(٣٤) الثمام : شجر ضعيف وهو معروف في البادية ولا تجهده النعم إلا في الجدوبة . [ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣٦٩/١ ؛ ولسان العرب لابن منظور٧٩/١٢] .

(٣٥) الإمام العلامة شيخ المالكية ، قاضي الجماعة بقرطبة ، زعيم فقهاء وقته بأقطار الأندلس والمغرب ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي المالكي ، ولد في شوال سنة خمس وأربعمائة ، ألف كتاب البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل ؛ وكتاب المقدمات لأوائل كتب المدونة ، توفي سنة ٥٢٠هـ . [ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٠١/١٩ ؛ والديباج المذهب لابن فرحون ص٢٧٨] .

(٣٦) جمع سبع ، اسم موقع اشتهر بخطورته ، وهو معروف بالبصرة ، وهو الذي قتل فيه الزبير بن العوام ﷺ [ينظر معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري ٧١٥/٣ ؛ معجم البلدان لياقوت الحموي ٣٤٣/٥] .

ونزيده ، وحاشا أن ننقضه أو نبيده ، عالماً بأن غمض فضلهم كفران للنعمة ، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة ، فالحمد لله الذي صدق الأمل ، ويسر إلى هذا الخير ودل."[٣٧]

ثم أخذ ببيان ما اهتم به في تفسيره ، فقال :"وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال ، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض ، وهو منـ.ـزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي[٣٨]، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى نظم الدرر في تناسب الآي والسور ، إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع ، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع ، أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض ، فلا أراه حقا على المفسر.

و لم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها ؛ لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ، ومعاني جمله كأنها فِقَرٌ متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه ، وتحجب عنه روائع جماله .

واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق ؛ مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة ، وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده ، ويتناول منه فوائد ونكتاً على قدر استعداده ، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير ، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير ، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير ، ففيه أحسن ما

---

(٣٧) التحرير والتنوير ٥/١ .

(٣٨) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري –من ذرية أبي بكر الصديق ﷺ – الشافعي المفسر المتكلم ، الإمام فخر الدين الرازي ابن خطيب الري ، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، له تصانيف عديدة منها : التفسير الكبير ؛ والمحصول في أصول الفقه ؛ وإعجاز القرآن ، مات بهراة يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة [ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٠١/٢١ ؛ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٨١/٨ ؛ وطبقات المفسرين للسيوطي ص١١٥] .

في التفاسير ، وفيه أحسن مما في التفاسير."[٣٩]

وختم هذا التمهيد بذكر مسمى الكتاب الذي جعله بعنوان (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد ، من تفسير الكتاب المجيد) واختصر هذا الاسم إلى (التحرير والتنوير من التفسير) .

بعد هذا أخذ بذكر مقدمات تكون عوناً للباحث في التفسير ، وتغنيه عن مُعاد كثير وهي عشر مقدمات .

المقدمة الأولى : في التفسير والتأويل وكون التفسير علما .

بدأ المقدمة الأولى في بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للتفسير ، ثم ذكر موضوع التفسير .

وفي ثنايا هذه المقدمة يرى ابن عاشور أن إطلاق لفظ علم على التفسير إنما هو تسامح لمخالفته معنى العلم .

وعزى رأي العلماء الذين قالوا : أن تفسير ألفاظ القرآن علماً مستقلاً ، لواحد من وجوه ستة .

ثم بين أن التفسير يعد من أصول الشريعة إذا كان بياناً وتفسيراً لمراد الله من كلامه سبحانه وتعالى ، أما إن أُخذ من حيث ما فيه من بيان مكي ومدني ، وناسخ ومنسوخ ، ومن قواعد الاستنباط التي تذكر أيضا في علم أصول الفقه من عموم وخصوص وغيرهما كان معدودا في متممات العلوم الشرعية .

كما عد التفسير أول العلوم الإسلامية ظهوراً ، إذ ظهر الخوض فيه في عصر النبي

---

(٣٩) التحرير والتنوير ٨/١ .

ﷺ ، وذكر أن أول من صنف فيه عبدالملك بن جريج المكي[٤٠].

وختم هذه المقدمة في بيان معنى التأويل ، وهل هو مساو للتفسير أو أخص منه ، أو هما متباينان ، ورجح الشيخ ابن عاشور أنهما متساويان في المعنى .

المقدمة الثانية : في استمداد علم التفسير .

عرَّف فيها معنى استمداد العلم ، ثم بين ممَّ يستمد العلم بقوله :"فاستمداد علم التفسير للمفسر العربي والمولد ، من المجموع الملتئم من علم العربية وعلم الآثار ، ومن أخبار العرب وأصول الفقه ، قيل وعلم الكلام وعلم القراءات."[٤١]

وختم هذه المقدمة بذكر تنبيه فقال :"اعلم أنه لا يعد من استمداد علم التفسير الآثار المروية عن النبي ﷺ في تفسير آيات ، ولا ما يروى عن الصحابة في ذلك ، لأن ذلك من التفسير لا من مدده ، ولا يعد أيضا من استمداد التفسير ما في بعض آي القرآن من معنى يفسر بعضا آخر منها ، لأن ذلك من قبيل حمل بعض الكلام على بعض ، كتخصيص العموم وتقييد المطلق وبيان المجمل وتأويل الظاهر ودلالة الاقتضاء وفحوى الخطاب ولحن الخطاب ، ومفهوم المخالفة."[٤٢]

وقال :"واعلم أن استمداد علم التفسير من هذه المواد لا ينافي كونه رأس العلوم الإسلامية ، لأن كونه رأس العلوم الإسلامية معناه أنه أصل لعلوم الإسلام على وجه الإجمال ، فأما استمداده من بعض العلوم الإسلامية فذلك استمداد لقصد تفصيل التفسير

---

(٤٠) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أبو الوليد ، وقيل أبو خالد القرشي مولاهم المكي ، أحد الأعلام ، ولد سنة ثمانين ، قال أحمد : أول من صنف الكتب ابن جريج وابن أبي عروبة ، وإذا قال ابن جريج : قال ، فاحذره ، وإذا قال : سمعت ، أو سألت جاء بشيء ليس في النفس منه شيء ، مات سنة خمسين ومائة. [ينظر غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١/٤٦٩ ؛ وطبقات الحفاظ للسيوطي ص٨١] .

(٤١) التحرير والتنوير ١/١٨ .

(٤٢) التحرير والتنوير ١/٢٧ .

على وجه أتم من الإجمال ، وهو أصل لما استمد منه باختلاف الاعتبار."[٤٣]

المقدمة الثالثة : في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه .

بدأ هذه المقدمة بسؤال ثم أجاب عنه وفيما يلي نص قوله ، قال رحمه الله :"إن قلت : أتراك بما عددت من علوم التفسير تثبت أن تفسيراً كثيراً للقرآن لم يستند إلى مأثور عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ، وتبيح لمن استجمع من تلك العلوم حظاً كافياً ، وذوقاً ينفتح له بهما من معاني القرآن ما ينفتح عليه ، أن يفسر من آي القرآن بما لم يؤثر عن هؤلاء ، فيفسر بمعان تقتضيها العلوم التي يستمد منها علم التفسير ، وكيف حال التحذير الواقع في الحديث الذي رواه الترمذي[٤٤]عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : ((من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)) ، وفي رواية : ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)) . والحديث الذي رواه أبو داود والترمذي والنسائي[٤٥] أن النبي ﷺ قال : ((من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)) ، وكيف يحمل ما روي من تحاشي بعض السلف عن التفسير بغير توقيف؟ فقد روي عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن تفسير الأب في قوله : ((وفاكهة وأبا)) فقال : أي أرض تقلني ، وأي سماء

---

(٤٣) التحرير والتنوير ٢٧/١ .

(٤٤) رواه الترمذي في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ، حديث رقم [٢٩٥١] ، ١٩٩/٥ . قال أبو عيسى هذا حديث حسن ؛ وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة حديث رقم [١٧٨٣] ، ٢٨٢/٤ .

(٤٥) رواه أبو داود في كتاب العلم ، باب الكلام في كتاب الله بغير علم ، حديث رقم [٣٦٥٢] ، ٣٢٠/٣ - -والترمذي في أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ، حديث رقم [٢٩٥٢] ، ٢٠٠/٥ ؛ والنسائي في كتاب فضائل القرآن ، باب من قال في القرآن بغير علم ، حديث رقم [٨٠٨٦] ، ٣١/٥ . قال الترمذي : وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم ٢٠٠/٥ ، وأورده الألباني في صحيح الترمذي ١٧٩/٣ ، وقال : قال أبو عيسى : حديث غريب .

تظلني إذا قلت في القرآن برأيي ، ويروى عن سعيد بن المسيب[٤٦] والشعبي[٤٧]إحجامهما عن ذلك .

قلت : أراني كما حسبت أثبت ذلك وأبيحه ، وهل اتسعت التفاسير وتفننت مستنبطات معاني القرآن إلا بما رزقه الذين أوتوا العلم من فهم في كتاب الله ، وهل يتحقق قول علمائنا إن القرآن لا تنقضي عجائبه إلا بازدياد المعاني باتساع التفسير؟ ولولا ذلك لكان تفسير القرآن مختصرا في ورقات قليلة."[٤٨]

بعد هذا بين أن التفسير غير مقصور على بيان مفردات القرآن من جهة العربية ، وذكر أن استنباط الأحكام التشريعية من القرآن من قبيل التفسير لآيات القرآن ، وأجاب عن الشبهة التي نشأت من الآثار المروية في التحذير من تفسير القرآن بالرأي ، وأرجعه إلى واحد من خمسة وجوه .

ثم نبه على أن هناك طوائف التزمت تفسير القرآن بما يوافق هواها ، وذكر تلك الطوائف .

وختم هذه المقدمة بنصيحة فقال :"هذا وإن واجب النصح في الدين والتنبيه إلى ما يغفل عنه المسلمون مما يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، قضي علي أن أنبه إلى خطر أمر تفسير الكتاب ؛ والقول فيه دون مستند من نقل صحيح عن أساطين المفسرين أو إبداء

---

(٤٦) أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي ﷺ ، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر ﷺ ، قال محمد بن يحيى بن حبان : كان رأس من بالمدينة في دهره ، المقدم عليهم في الفتوى سعيد ، ويقال : فقيه الفقهاء توفي بالمدينة ، قال يحي بن سعيد : سنة إحدى ، أو اثنتين وتسعين ، وقال الواقدي : سنة أربع وتسعين ، وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات فيها ، وقال المدايني ويحي بن معين سنة خمس ومائة .[ينظر طبقات الفقهاء لابن منظور ص٣٩ ؛ وطبقات الحفاظ للسيوطي ص٢٥] .

(٤٧) أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي ، من همدان ، ولد لست سنين خلت من خلافة عثمان ﷺ ، قال أشعث بن سوار : عن ابن سيرين قال : قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة والصحابة يومئذٍ كثير ، وروى سليمان التّيمي عن أبي مجلز قال : ما رأيت فقيهاً أفقه من الشّعبي ، مات سنة أربع ومائة ، وقيل سنة سبع ومائة وهو ابن الاثنتين وثمانين سنة . [ينظر طبقات الفقهاء لابن منظور ص٨٢ ؛ وتاريخ الإسلام للذهبي ١٢٦/٧] .

(٤٨) التحرير والتنوير ٢٨/١ .

تفسير ، أو تأويل من قائله ؛ إذا كان القائل توفرت فيه شروط الضلاعة في العلوم التي سبق ذكرها في المقدمة الثانية، فقد رأينا تهافت كثير من الناس على الخوض في تفسير آيات من القرآن ، فمنهم من يتصدى لبيان معنى الآيات على طريقة كتب التفسير ، ومنهم من يضع الآية ثم يركض في أساليب المقالات تاركاً معنى الآية جانباً ؛ جالباً من معاني الدعوة والموعظة ما كان جالباً ، وقد دلت شواهد الحال على ضعف كفاية البعض لهذا العمل العلمي الجليل ، فيجب على العاقل أن يعرف قدره ، وأن لا يتعدى طوره ، وأن يرد الأشياء إلى أربابها ، كي لا يختلط الخاثر بالزباد ، ولا يكون في حالك سواد ، وإن سكوت العلماء على ذلك زيادة في الورطة ، وإفحاش لأهل هذه الغلطة ، فمن يركب متن عمياء ويخبط خبط عشواء فحق على أساطين العلم تقويم اعوجاجه ، وتمييز حلوه من أجاجه ، تحذيرا للمطالع وتنـ.ـزيلا في البرج والطالع."[٤٩]

المقدمة الرابعة : فيما يحق أن يكون غرض المفسر .

ذكر الشيخ ابن عاشور – رحمه الله – هنا أن القرآن أنزله الله تعالى كتاباً لصلاح أمر الناس كافة الفردية والجماعية والعمرانية .

بعد هذا أخذ ببيان المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها ، وأنه يجب على الآخذ في هذا الفن بأن يعلمها ، وهي مقاصد ثمانية :

١. إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح .

٢. تهذيب الأخلاق .

٣. التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة .

٤. سياسة الأمة .

٥. القصص وأخبار الأمم السالفة .

---

(٤٩) التحرير والتنوير ٣٨/١ .

٦. التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين ، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها ، وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار .

٧. المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير .

٨. الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول ﷺ .

بعد ذلك بين الطرق التي يُفَسَّر القرآن من خلالها . وختم هذا الباب ببيان علاقة العلوم بالقرآن .

المقدمة الخامسة : في أسباب النزول .

بدأ هذه المقدمة بذكر أحوال المفسرين في طلب المناسبة ، ثم ذكر أن من أسباب النـزول ما ليس للمفسر غنى عن علمه ، ثم ذكر أن أسباب النـزول التي صحت أسانيدها هي خمسة أقسام ، وختم هذه المقدمة بذكر فوائد أسباب النـزول .

المقدمة السادسة : في القراءات .

يرى الشيخ ابن عاشور – رحمه الله – أنه لولا عناية المفسرين بذكر اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن ، لكان في معزل عن التكلم في ذلك فيقول :"لولا عناية كثير من المفسرين بذكر اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن حتى في كيفيات الأداء ، لكنت بمعزل عن التكلم في ذلك ، لأن علم القراءات علم جليل مستقل قد خص بالتدوين والتأليف ، وقد أشبع فيه أصحابه وأسهبوا بما ليس عليه مزيد ، ولكني رأيتني بمحل الاضطرار إلى أن ألقي عليكم جملا في هذا الغرض ، تعرفون بها مقدار تعلق اختلاف القراءات بالتفسير ، ومراتب القراءات قوة وضعفا ، كي لا تعجبوا من إعراضي عن ذكر

كثير من القراءات في أثناء التفسير."[50]

ثم ذكر أن للقراءات حالتين : إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحال ، والثانية لها تعلق به من جهات متفاوتة ، وذكر شروط قبول القراءة ، كما ذكر اختلاف العلماء في حديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم[51] ﷺ ، وأرجع الأقوال إلى اعتبارين : أحدهما باعتبار الحديث منسوخاً ، والآخر باعتباره محكماً .

ثم ذكر مراتب القراءات الصحيحة والترجيح بينها .

كما نبه أنه اقتصر في تفسيره على التعرض لاختلاف القراءات العشرة المشهورة ، ويقدم قراءة نافع[52]

برواية قالون[53].

وختم هذه المقدمة بذكر القراءات التي يقرأ بها اليوم في بلاد الإسلام ، مع تحديد القراءة والقارئ لكل قطر .

---

(٥٠) التحرير والتنوير ٥١/١ .

(٥١) هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي ﷺ ، وخديجة زوج النبي ﷺ عمة أبيه ، أسلم يوم الفتح ومات قبل أبيه ، وقيل : استشهد بأجنادين .[ينظر أسد الغابة لابن الأثير ٨٩/٣ ؛ و الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥٨٣/٦] .

(٥٢) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم ، ويقال أبو نعيم ، ويقال أبو الحسن ، وقيل أبو عبد الله ، وقيل أبو عبد الرحمن الليثي مولاهم ، المدني ، وهو مولى جعونة بن شعوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب، أحد القراء السبعة والأعلام ثقة صالح ، أصله من أصبهان ، مات سنة تسع وستين ومائة ، وقيل سبعين ، - - وقيل سبع وستين ، وقيل خمسين وقيل سبع وخمسين .[ينظر معرفة القراء الكبار للذهبي ١٠٧/١ ؛ وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٣٣٠/٢] .

(٥٣) عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد بن عمر بن عبد الله الزرقي ويقال المري ، مولى بني زهرة أبو موسى الملقب قالون ، قارئ المدينة ونحويها ، يقال إنه ربيب نافع ، وقد اختص به كثيراً ، وهو الذي سماه قالون لجودة قراءته ، فإن قالون بلغة الرومية معناها جيد ، توفي قبل سنة عشرين ومائتين ، وقال الاهوازي وغيره سنة خمس ومائتين ، وقال الذهبي هذا غلط وأثبت وفاته سنة عشرين ، وهو الأصح والله أعلم .[ينظر معرفة القراء الكبار للذهبي ١٥٥/١ ؛ وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٦١٥/١] .

المقدمة السابعة : قصص القرآن .

قال – رحمه الله – :"امتن الله على رسوله ﷺ بقوله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ يوسف: ٣ ، فعلمنا من قوله : ﴿ أَحْسَنَ ﴾ أن القصص القرآنية لم تسق مساق الإحماض[٥٤] وتجديد النشاط ، وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير أو شر ، لأن غرض القرآن أسمى وأعلى من هذا ، ولو كان من هذا لساوى كثيرا من قصص الأخبار الحسنة الصادقة ؛ فما كان جديرا بالتفضيل على كل جنس القصص."[٥٥]

ثم ذكر تعريف القصة .

بعد هذا أخذ ببيان العبرة والعظة من سوق القصة ، وذكر فيها عشر فوائد ، وصدر هذه الفوائد بكلام جميل أحببت أن أطلع القارئ عليه ، يقول – رحمه الله –: "وأبصر أهل العلم أن ليس الغرض من سوقها قاصرا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر ، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بهم ، أو التشويه بأصحابها فيما لقوه من غضب الله عليهم ، كما تقف عنده أفهام القانعين بظواهر الأشياء وأوائلها ، بل الغرض من ذلك أسمى وأجل ، إن في تلك القصص لعبراً جمة وفوائد للأمة ، ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ، ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منـ.زها عن قصد التفكه بها ، من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور ؛ كما يكون كتاب تاريخ ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها ، لأن معظم الفوائد

---

(٥٤) يقال قد أحمض القوم إحماضاً إذا أفاضوا فيما يؤنسهم من الحديث ، وكان ابن عباس ﷺ يقول لأصحابه أحمضوا فيأخذون في الأشعار وأيام العرب .[ينظر تهذيب اللغة لمحمد الأزهري ١٣٢/٤ ؛ وأساس البلاغة للزمخشري ص١٤٢] .

(٥٥) التحرير والتنوير ٦٤/١ .

الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع ، هو ذكر وموعظة لأهل الدين ، فهو بالخطابة أشبه .

وللقرآن أسلوب خاص هو الأسلوب المعبر عنه بالتذكير وبالذكر في آيات يأتي تفسيرها ، فكان أسلوبه قاضيا للوطرين ، وكان أجل من أسلوب القصاصين في سوق القصص لمجرد معرفتها ، لأن سوقها في مناسباتها يكسبها صفتين : صفة البرهان ، وصفة التبيان."(٥٦)

وختم هذه المقدمة بدفع الهاجس الذي رآه خَطَرَ لكثير من أهل اليقين والمتشككين ، وهو أن يقال : لماذا لم يقع الاستغناء بالقصة الواحدة في حصول المقصود منها ؛ وما فائدة تكرار القصة في سور كثيرة؟ وربما تطرق هذا الهاجس ببعضهم إلى مناهج الإلحاد في القرآن ، وذكر في هذا خمسة مقاصد لتكرير القصة .

ثم قال :"فهذه تحقيقات سمحت بها القريحة ، وربما كانت بعض معانيها في كلام السابقين غير صريحة."(٥٧)

المقدمة الثامنة : في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها .

في المقدمة الثامنة تحدث ابن عاشور - رحمه الله — عن أسماء القرآن ، وبيان معاني تلك الأسماء ، ثم ذكر سبب تسميته مصحفاً .

بعد ذلك أخذ بالحديث عن آيات القرآن ، فبدأ بتعريف الآية ، وذكر أن التسمية بالآيات إنما هي من مبتكرات القرآن .

---

(٥٦) التحرير والتنوير ٦٤/١ .

(٥٧) التحرير والتنوير ٦٩/١ .

ثم تحدث عن مقادير الآيات فيقول - رحمه الله - :"وتحديد مقادير الآيات مروي عن النبي ﷺ ، وقد تختلف الرواية في بعض الآيات ، وهو محمول على التخيير في حد تلك الآيات التي تختلف فيها الرواية في تعيين منتهاها ومبتدأ ما بعدها ، فكان أصحاب النبي ﷺ على علم من تحديد الآيات."(٥٨)

ثم ذكر أقول العلماء في المسألة ، وأعقبها برأيه .

ويرى – رحمه الله – أن الأفضلية هي في الوقوف على رؤوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها اتباعاً لهدي رسول الله ﷺ وسنته .

ذكر بعد ذلك اختلاف العلماء في عدد الآيات فقال :"فقد يكون بعض ذلك عن اختلاف في الرواية ، وقد يكون بعضه عن اختلاف الاجتهاد."(٥٩)

ثم تحدث عن ترتيب الآيات فقال – رحمه الله – :"لذلك كان ترتيب آيات السورة الواحدة على ما بلغتنا عليه متعينا ؛ بحيث لو غير عنه إلى ترتيب آخر لنـ.زل عن حد الإعجاز الذي امتاز به ، فلم تختلف قراءة النبي ﷺ في ترتيب آي السور على نحو ما هو في المصحف الذي بأيدي المسلمين اليوم ، وهو ما استقرت عليه رواية الحفاظ من الصحابة عن العرضات الأخيرة التي كان يقرأ بها النبي ﷺ في أواخر سني حياته الشريفة ، وحسبك أن زيد بن ثابت حين كتب المصحف لأبي بكر لم يخالف في ترتيب آي القرآن."(٦٠)

ثم قال :"واتساق الحروف واتساق الآيات واتساق السور كله عن رسول الله ﷺ، فلهذا كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض ، أو في الانتقال منه ، أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل ، ومما يدل عليه وجود حروف العطف المفيدة الاتصال مثل الفاء ولكن وبل ومثل أدوات الاستثناء ، على أن وجود ذلك لا يعين اتصال ما بعده بما قبله في النـ.زول ، فإنه قد اتفق على أن قوله

---

(٥٨) التحرير والتنوير ٧٤/١ .

(٥٩) التحرير والتنوير ٧٧/١ .

(٦٠) التحرير والتنوير ٧٩/١ .

تعالى: ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ النساء: ٩٥ ، نزل بعد نزول ما قبله وما بعده من قوله : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنفُسِهِمْ ﴾."(٦١)

ثم أخذ بالحديث عن وقوف القرآن ، فبدأ بتعريف الوقف ، ثم قال :"وعلى جميع التقادير لا تجد في القرآن مكاناً يجب الوقف فيه ، ولا يحرم الوقف فيه ؛ كما قال ابن الجزري(٦٢) في أرجوزته ، ولكن الوقف ينقسم إلى أكيد حسن ودونه ، وكل ذلك تقسيم بحسب المعنى ، وبعضهم استحسن أن يكون الوقف عند نهاية الكلام ، وأن يكون ما يتطلب المعنى الوقف عليه قبل تمام المعنى سكتا : وهو قطع الصوت حصة أقل من حصة قطعه عند الوقف."(٦٣)

ثم ذكر أن السلف لم يشتدّ اعتناؤهم بتحديد أوقافه لظهور أمره ، ثم قال :"كان الاعتبار بفواصله ؛ التي هي مقاطع آياته عندهم أهم ، لأن عجز قادتهم وأولي البلاغة والرأي منهم ؛ تقوم به الحجة عليهم وعلى دهمائهم ، فلما كثر الداخلون في الإسلام من دهماء العرب ، ومن عموم بقية الأمم ، توجه اعتناء أهل القرآن إلى ضبط وقوفه ، تيسيراً لفهمه على قارئيه ، فظهر الاعتناء بالوقوف ، وروعي فيها ما يراعى في تفسير الآيات ، فكان ضبط الوقوف مقدمة لما يفاد من المعاني عند واضع الوقف."(٦٤)

بعد ذلك أخذ بالحديث عن سُوَر القرآن ، فبدأ بتعريف السورة .

ثم ذكر أنه " لم يحفظ عن جمهور الصحابة حين جمعوا القرآن أنهم ترددوا ؛ ولا

---

(٦١) التحرير والتنوير ١/٧٩-٨٠ .

(٦٢) الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري الشافعي ، مقرىء الممالك الإسلامية ، ولد بدمشق سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، كان حافظا قارئا محدثا ، وماهرا في المعاني ، والبيان ، والتفسير ، ألف شرح المصابيح ، وكتاب النشر في القراءات العشر ، وطبقات القراء وتاريخهم الكبرى والصغرى ، وكانت وفاته في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة . [ينظر شذرات الذهب لمحمد العكري ٧/٢٠٤ ؛ وطبقات المفسرين للأدنه وي ص٣٢٠] .

(٦٣) التحرير والتنوير ١/٨٣ .

(٦٤) التحرير والتنوير ١/٨٤ .

اختلفوا في عدد سوره ، وأنها مائة وأربع عشرة سورة."[٦٥]

ذكر عقب هذا أقوال العلماء في ترتيب السور بعضها إثر بعض ، ثم قال :"أقول : لا شك أن طوائف من سور القرآن كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ على ترتيبها في المصحف الذي بأيدينا اليوم الذي هو نسخة من المصحف الإمام ، الذي جُمع وكتب في خلافة أبي بكر الصديق ، ووزعت على الأمصار نسخ منه في خلافة عثمان ذي النورين ، فلا شك في أن سور المفصل كانت هي آخر القرآن ولذلك كانت سنة قراءة السورة في الصلوات المفروضة ؛ أن يكون في بعض الصلوات من طوال المفصل ، وفي بعضها من وسط المفصل ، وفي بعضها من قصار المفصل ، وأن طائفة السور الطولى الأوائل في المصحف كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ أول القرآن ، والاحتمال فيما عدا ذلك .

وأقول : لا شك في أن زيد بن ثابت ، وعثمان بن عفان < ، وهما من أكبر حفاظ القرآن من الصحابة ، توخيا ما استطاعا ترتيب قراءة النبي ﷺ للسور ، وترتيب قراءة الحفاظ التي لا تخفى على رسول الله ﷺ ، وكان زيد بن ثابت من أكبر حفاظ القرآن ، وقد لازم النبي ﷺ مدة حياته بالمدينة ، ولم يتردد في ترتيب سور القرآن على نحو ما كان يقرؤها النبي ﷺ حين نسخ المصاحف في زمن عثمان."[٦٦]

ثم تحدث بعد ذلك عن أسماء السور ، فقال :"وأما أسماء السور فقد جعلت لها من عهد نزول الوحي ، والمقصود من تسميتها تيسير المراجعة والمذاكرة."[٦٧]

وفي آخر هذه المقدمة قال :"اعلم أن الصحابة لم يثبتوا في المصحف أسماء السور ؛ بل اكتفوا بإثبات البسملة في مبدأ كل سورة علامة على الفصل بين السورتين ، وإنما فعلوا ذلك كراهة أن يكتبوا في أثناء القرآن ما ليس بآية قرآنية ، فاختاروا البسملة لأنها مناسبة للافتتاح مع كونها آية من القرآن."[٦٨]

---

(٦٥) التحرير والتنوير ١/٨٥ .

(٦٦) التحرير والتنوير ١/٨٦ .

(٦٧) التحرير والتنوير ١/٩٠ .

(٦٨) التحرير والتنوير ١/٩١ .

المقدمة التاسعة : في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن ، تعتبر مرادة بها .

قال – رحمه الله – :"إن العرب أمة جبلت على ذكاء القرائح وفطنة الأفهام ، فعلى دعامة فطنتهم وذكائهم أقيمت أساليب كلامهم ، وبخاصة كلام بلغائهم ، ولذلك كان الإيجاز عمود بلاغتهم ؛ لاعتماد المتكلمين على أفهام السامعين ، كما يقال لمحة دالة."[٦٩]

وقال :"فجاء القرآن على أسلوب أبدع مما كانوا يعهدون وأعجب ، فأعجز بلغاء المعاندين عن معارضته ، ولم يسعهم إلا الإذعان ، سواءً في ذلك من آمن منهم مثل : لبيد بن ربيعة[٧٠] وكعب بن زهير[٧١] والنابغة الجعدي[٧٢]، ومن استمر على كفره عناداً مثل الوليد بن المغيرة ، فالقرآن من جانب إعجازه يكون أكثر معاني من المعاني المعتادة ؛

---

(٦٩) التحرير والتنوير ٩٣/١ .

(٧٠) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة الكلابي الجعفري أبو عقيل ، الشاعر المشهور ، قال المرزباني في معجمه : كان فارساً شجاعاً شاعراً سخياً ، قال الشعر في الجاهلية دهراً ثم أسلم ، ولما أسلم رجع إلى بلاد قومه ، ثم نزل الكوفة حتى مات في سنة إحدى وأربعين .[ينظر أسد الغابة لابن الأثير ٢١٤/٤ ؛ والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٦٧٥/٥] .

(٧١) كعب بن زهير بن أبي سُلْمَى – بضم أوله – واسمه ربيعة بن رباح – بكسرة ثم تحتانية – ابن قرط بن الحارث بن مازن بن خلاوة بن ثعلبة بن ثور بن لاطم بن عثمان بن مزينة المزني ، الشاعر المشهور ، صحابي معروف ، قال أبياتاً من الشعر قبل إسلامه ، فبلغت أبياته رسول الله ﷺ فقال : ((من لقي كعباً فليقتله)) وأهدر دمه ، وهو صاحب القصيدة التي أولها بانت سعاد وقال ابن إسحاق : كان قدوم كعب بن زهير بعد الطائف .[ينظر أسد الغابة لابن الأثير ١٧٥/٤ ؛ و الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٥٩٢/٥] .

(٧٢) اختلف في اسمه ، فقيل : قيس بن عبد الله ، وقيل : عبد الله بن قيس ، وقيل : حيان بن قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري الجعدي ، وإنما قيل له النابغة لأنه قال الشعر في الجاهلية ، ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ، ثم نبغ فيه فقاله فسمي النابغة، مات بأصبهان وله مائتان وعشرون سنة . [ينظر أسد الغابة لابن الأثير ٥١٥/٤ ؛ و الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣٩١/٦] .

التي يودعها البلغاء في كلامهم ، وهو لكونه كتاب تشريع وتأديب وتعليم ، كان حقيقا بأن يودع فيه من المعاني والمقاصد أكثر ما تحتمله الألفاظ في أقل ما يمكن من المقدار ، بحسب ما تسمح به اللغة الوارد هو بها ؛ التي هي أسمح اللغات بهذه الاعتبارات ، ليحصل تمام المقصود من الإرشاد الذي جاء لأجله في جميع نواحي الهدى ، فمعتاد البلغاء إيداع المتكلم معنى يدعوه إليه غرض كلامه وترك غيره ، والقرآن ينبغي أن يودع من المعاني كل ما يحتاج السامعون إلى علمه ، وكل ما له حظ في البلاغة ، سواء كانت متساوية ، أم متفاوتة في البلاغة إذا كان المعنى الأعلى مقصوداً ، وكان ما هو أدنى منه مراداً معه لا مراداً دونه ، سواء كانت دلالة التركيب عليها متساوية في الاحتمال والظهور ، أم كانت متفاوتة بعضها أظهر من بعض ، ولو أن تبلغ حد التأويل : وهو حمل اللفظ على المعنى المحتمل المرجوح ، أما إذا تساوى المعنيان فالأمر أظهر."(٧٣)

ثم قال :"وإنك لتمر بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي . وقد تتكاثر عليك فلا تك من كثرتها في حصر ، ولا تجعل الحمل على بعضها منافياً للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحاً بذلك."(٧٤)

وختم هذه المقدمة بالحديث عن الألفاظ المشتركة ، وعن استعمال اللفظ في معناه الحقيقي ومعناه المجازي ، وذكر أقوال العلماء واختلافهم في المسألة ، ثم قال :"والذي يجب اعتماده أن يحمل المشترك في القرآن على ما يحتمله من المعاني ، سواء في ذلك اللفظ المفرد المشترك والتركيب المشترك بين مختلف الاستعمالات ، سواء كانت المعاني حقيقية أو مجازية ، محضة أو مختلفة."(٧٥)

ثم قال :"وعلى هذا القانون ، يكون طريق الجمع بين المعاني التي يذكرها المفسرون ، أو ترجيح بعضها على بعض ، وقد كان المفسرون غافلين عن تأصيل هذا

---

(٧٣) التحرير والتنوير ٩٣/١ .

(٧٤) التحرير والتنوير ٩٧/١ .

(٧٥) التحرير والتنوير ٩٩/١ .

الأصل ، فلذلك كان الذي يرجح معنى من المعاني التي يحتملها لفظ آية من القرآن ، يجعل غير ذلك المعنى ملغى ، ونحن لا نتابعهم على ذلك ، بل نرى المعاني المتعددة التي يحتملها اللفظ بدون خروج عن مهيع الكلام العربي البليغ معاني في تفسير الآية ، فنحن في تفسيرنا هذا إذا ذكرنا معنيين فصاعداً فذلك على هذا القانون ، وإذا تركنا معنى مما حمل بعض المفسرين عليه في آيات من القرآن ؛ فليس تركنا إياه دالا على إبطاله ، ولكن قد يكون ذلك لترجح غيره ، وقد يكون اكتفاء بذكره في تفاسير أخرى تجنبا للإطالة ، فإن التفاسير اليوم موجودة بين يدي أهل العلم ، لا يعوزهم استقراؤها ، ولا تمييز محاملها متى جروا على هذا القانون."[٧٦]

المقدمة العاشرة : في إعجاز القرآن .

ذكر في مطلع هذه المقدمة أن إعجاز القرآن لا يزال شغل أهل البلاغة الشاغل ، ثم قال :"فأما أنا فأردت في هذه المقدمة أن أُلِمَّ بك أيها المتأمل إلمامة ليست كخطرة طيف ، ولا هي كإقامة المنتجع في المربع حتى يظله الصيف ، وإنما هي لمحة ترى منها كيف كان القرآن معجزاً ، وتتبصر منها نواحي إعجازه ، وما أنا بمستقص دلائل الإعجاز في آحاد الآيات والسور ، فذلك له مصنفاته ، وكل صغير وكبير مستطر ، ثم ترى منها بلاغة القرآن ، ولطائف أدبه التي هي فتح لفنون رائعة من أدب لغة العرب ، حتى ترى كيف كان هذا القرآن فتح بصائر ، وفتح عقول ، وفتح ممالك ، وفتح أدب غض ارتقى به الأدب العربي مرتقى لم يبلغه أدب أمة من قبل ، وكنت أرى الباحثين ممن تقدمني يخلطون هذين الغرضين خلطا ، وربما أهملوا معظم الفن الثاني ، وربما ألموا به إلماما وخلطوه بقسم الإعجاز ، وهو الذي يحق أن يكون البحث فيه من مقدمات علم التفسير، ولعلك تجد في هذه المقدمة أصولاً ونكتاً أغفلها من تقدموا ممن تكلموا في إعجاز

---

(٧٦) التحرير والتنوير ١/١٠٠ .

القرآن."[77]

ثم ذكر التحدي بالإتيان بمثله ومراحل التحدي ، وعجز المتحدِّين الثابت بالتواتر.

ثم ذكر اختلاف العلماء في تعليل عجزهم عن ذلك .

تحدث بعد ذلك عن وجوه الإعجاز ، وأنها من جهات ثلاث ، وذكر أن كثيراً من العلماء قد عدّوا وجهاً رابعاً ، وأخذ بشرح تلك الوجوه .

وفي ثنايا ذلك تحدث عن مبتكرات القرآن فقال :"هذا وللقرآن مبتكرات تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب .

فمنها أنه جاء على أسلوب يخالف الشعر لا محالة وقد نبه عليه العلماء المتقدمون ، وأنا أضم إلى ذلك أن أسلوبه يخالف الخطابة بعض المخالفة ، بل جاء بطريقة كتاب يقصد حفظه وتلاوته ، وذلك من وجوه إعجازه ، إذ كان نظمه على طريقة مبتكرة ليس فيها اتباع لطرائقها القديمة في الكلام."[78]

كما أخذ بالحديث عن عادات القرآن فقال :"يحق على المفسر أن يتعرف عادات القرآن من نظمه وكلمه ، وقد تعرض بعض السلف لشيء منها ، فعن ابن عباس ﷺ : كل كأس في القرآن فالمراد بها الخمر."[79]

وفي صحيح البخاري[80] في تفسير سورة الأنفال قال ابن عيينة[81]: ما سمى الله مطراً في القرآن إلا عذاباً ، وتسميه العرب الغيث كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ

---

(77) التحرير والتنوير ١/١٠١ .

(78) التحرير والتنوير ١/١٢٠ .

(79) الكشاف للزمخشري ٤/٤٥ . البحر المحيط لأبي حيان ٧/٣٤٤ .

(80) صحيح البخاري كتاب التفسير ، باب ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، ٤/١٧٠٤ .

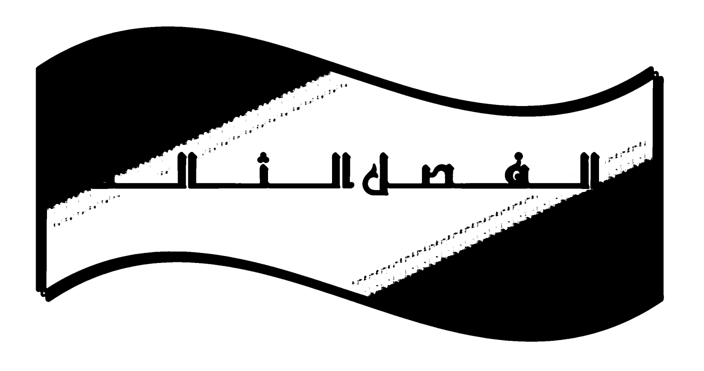
(81) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ، ولد في السنة السابعة بعد المائة ، أحد الأعلام ، ثقة ثبت حافظ إمام ، روى له الستة ، سكن مكة وتوفي بها سنة ثمان وتسعين ومائة .[ينظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/١٠٥] .

ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ ﴾ الشورى: ٢٨."[٨٢]

وبعد تلك المقدمات شرع في تفسير كلام الله سبحانه وتعالى ، فبدأ بسورة الفاتحة ، وكان نهجه عند تفسير السورة أن يبدأ بذكر اسم السورة مع ذكر وجه التسمية، وإن كان للسورة أكثر من اسم ذكره ، ثم يذكر هل السورة مكية ، أو مدنية ، وبعد هذا يذكر ترتيبها في النـ ـزول ، ثم يذكر عدد آيات السورة ، وقبل البدء في تفسير الآيات يتحدث عن أغراض السورة .

---

(٨٢) التحرير والتنوير ١/١٢٤ .


الفصل الثالث


منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات

منهج ابن عاشور في إيراد المناسبات

بعد ما عشت مع تفسير ابن عاشور وأقواله في ذكر المناسبات ، والبحث فيها ، ومن ثم التعليق عليها ، تبين لي من خلال ذلك المنهج الذي سار عليه ابن عاشور في إيراده للمناسبات وحديثه عنها ، ويمكن أن نلخص ذلك فيما يلي :-

١. عند البدء في التفسير يذكر الآية أو الآيات ، ثم يتبعها ذكر المناسبة أو الرابط ، ثم يشرع في التفسير ، وهكذا دائماً .

٢. يكون ذكره للمناسبة إما بالتصريح بلفظ المناسبة ، أو بغير تصريح كقوله: وعلاقة هذه الآية بما قبلها ، أو وهي مرتبطة بكذا ، وغير ذلك .

٣. نجده أحياناً يطنب في ذكر المناسبة ، ويختصر في أخرى ، والغالب عليه التوسط .

٤. ويكون ربطه وذكره للمناسبة من وجوه :-

- ربط المناسبة بالآية التي قبلها .
- ربط المناسبة بآية سابقة .
- ربط المناسبة بآية لاحقة .
- ربط المناسبة بأكثر من آية .
- ربط المناسبة بجملة من آية .
- ربط المناسبة بغرض من أغراض السورة .
- تعدد ربط المناسبة الواحدة بأكثر من وجه مما سبق ذكره .

٥. في الغالب ينص بالجزم على ذكر مناسبة ، وقد يوردها بالاحتمال ، كقوله : (لعلّ) .

٦. إن كان للآية معنيان ؛ فإنه يذكر مناسبةً لكل معنىً في الغالب ، كما فعل ذلك في سورة الأنبياء عند ذكر المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠٥، وقد يذكر

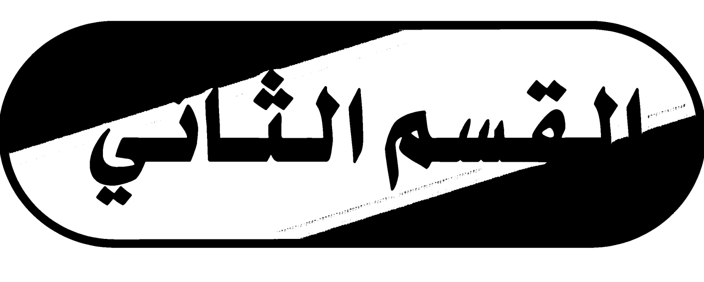
مناسبتين للآية الواحدة كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٥١ .

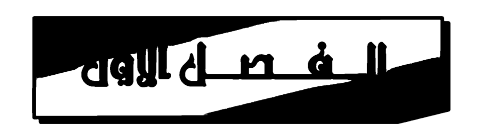
٧. المناسبة التي فيها خلاف يذكر الأقوال ثم يرجح ، وقد يستنتج قولاً جديداً ، كما في حديثه عند ذكر المناسبة في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ الفرقان: ٥١ ، وربما أعرض عن ذكر الخلاف .

٨. يعقد المقارنات بين المناسبتين المتشابهتين في أغلب الأحوال .

٩. في الغالب يذكر مناسبة افتتاح السورة ، وكذلك مناسبة الختم .

١٠. عند ذكر بعض المناسبات يستشهد على حسن المناسبة بفنون البلاغة ، أو بالشعر ونحو ذلك ، كما فعل عند ذكر مناسبة الافتتاح في سورة الفرقان .


القسم الثاني



سورة طه ، والأنبياء ، والحج ، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : سورة طه . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتها

ونظيرها في العدد ، وما جاء في سبب نزولها .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثاني : سورة الأنبياء . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتها

ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثالث : سورة الحج . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتها

ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلـب الثـاني : مناسبات الآيات .



المطلب الأول : أغراض السورة

المطلب الثاني : مناسبات الايات



- **اسم السورة** : طه ، وتسمى أيضا سورة الكليم ، ذكره السخاوي.(٨٣)
- **نوعها** : مكية .
- **ترتيبها في المصحف** : العشرون .
- **عدد آياتها** : مئة وثلاثون وآيتان ، وقيل أربع ، وقيل خمس ، وقيل أربعون.(٨٤)
- **نظيرها في العدد** : لا نظير لها في عدد آياتها(٨٥).

---

(٨٣) جمال القراء وكمال الإقراء ١٩٩/١ ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني السخاوي الشافعي، ولد سنة ثمان أو تسع وخمسين ، وبلغ في التفسير إلى الكهف وذلك في أربع مجلدات ، وشرح المفصل في أربع مجلدات ، وله تاج الإقراء ، توفي سنة ثلاث وأربعين وست مئة .[ينظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١١٧/٢ ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢٢/٢٣] .

(٨٤) البيان في عد آي القرآن للداني ١٨٣/١.

(٨٥) اعتمدت في مقارنة النظير في العدد على طريقة الكوفيين .

أغـراض سـورة طـه[86]

"احتوت من الأغراض على : التحدي بـالقرآن بـذكر الحـروف المقطعـة في مفتتحها[87].

والتنويه بأنه تنـزيل من الله لهدي القابلين للهداية ، فأكثرها في هذا الشأن .

والتنويه بعظمة الله تعالى ، وإثبات رسالة محمد ﷺ بأنها تماثل رسالة أعظم رسول قبله شاع ذكره في الناس ، فضرب المثل لنـزول القران على محمد ﷺ بكلام الله موسى عليه السلام .

وبسط نشأة موسى عليه السلام ، وتأييد الله إياه ، ونصره على فرعون بالحجة ، والمعجزات ، وبصرف كيد فرعون عنه وعن أتباعه .

وإنجاء الله موسى عليه السلام وقومه ، وغرق فرعون ، وما أكرم الله به بني إسرائيل في خروجهم من بلد القبط .

وقصة السامري ، وصنعه العجل الذي عبده بنو إسرائيل في مغيب موسى عليه السلام ، وكل ذلك تعريض بأن مآل بعثة محمد ﷺ صائر إلى ما صارت إليه بعثة موسى عليه السلام من النصر على معانديه ، فلذلك انتقل من ذلك إلى وعيد من أعرضوا عن القرآن ، ولم تنفعهم أمثاله ومواعظه .

تذكير الناس بعداوة الشيطان للإنسان بما تضمنته قصة خلق آدم .

ورتب على ذلك سوء الجزاء في الآخرة لمن جعلوا مقادتهم بيد الشيطان ،

---

(86) بعد الإطلاع على كلام العلماء ، وتصانيفهم في أغراض السور ومقاصدها ، لم أجد زيادةً جوهريةً على قول ابن عاشور –رحمه الله– ، أو غرضاً ومقصداً تفرد أحدهم بذكره ؛ لذا يُكْتَفَى بذكر قول ابن عاشور في أغراض السور دون زيادة ، ففيه الغنية عن المُعَاد .

(87) الراجح أنها ليست للتحدي وإنما هي من المتاشبه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، ينظر فتح القدير للشوكاني ٣٠/١ .

وإنذارهم بسوء العقاب في الدنيا .

وتسلية النبي ﷺ على ما يقولونه ، وتثبيته على الدين .

وتخلل ذلك إثبات البعث ، وتهويل يوم القيامة ، وما يتقدمه من الحوادث والأهوال ."[٨٨]

---

(٨٨) التحرير والتنوير ١٦/١٨١ .

مناسبات الآيات في سورة طه

١. مناسبة الافتتاح بقوله تعالى : ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ طه: ١ - ٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- عند افتتاح السورة :"افتتحت السورة بملاطفة النبي ﷺ ؛ بأنّ الله لم يرد من إرساله وإنزال القرآن عليه أن يشقى بذلك ، أي : تصبيه المشقّة ويشده التعب ، ولكن أراد أن يُذَكِّر بالقرآن من يخاف وعيده ، وفي هذا تنويه أيضاً بشأن المؤمنين الذين آمنوا بأنهم كانوا من أهل الخشية ، ولولا ذلك لما ادّكروا بالقرآن .

وفي هذه الفاتحة تمهيدٌ لما يرد من أمر الرسول ﷺ بالاضطلاع بأمر التبليغ ، وبكونه من أولي العزم مثل موسى عليه السلام ، وأن لا يكون مفرطاً في العزم كما كان آدم عليه السلام قبل نزوله إلى الأرض ، وأدمج في ذلك التنويه بالقرآن ، لأن في ضمن ذلك تنويهاً بمن أنزل عليه وجاء به."[89]

قول ابن عاشور هنا قريب مما ذكره البقاعي في كتابه نقلاً عن ابن الزبير في برهانه[90]، وذكر البقاعي ذلك عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ طه: ٩ ، قال -رحمه الله- :"لما ذكر سبحانه قصة إبراهيم عليه السلام وما منحه وأعطاه ، وقصص الأنبياء بعده بما خصهم به ، وأعقب ذلك بقوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾ مريم: ٥٨ ، وكان ظاهر الكلام تخصيص هؤلاء بهذه المناصب العلية ، والدرجات المنيفة الجليلة ، لا سيما وقد اتبع ذلك بقوله : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ

---

(89) التحرير والتنوير ١٨٤/١٦ .

(90) البرهان في ترتيب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي ص٢٥٢ .

بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ مريم: ٥٩ ، كان هذا مظنة إشفاق وخوف ، فاتبعه تعالى بملاطفة نبيه محمد ﷺ ملاطفة المحبوب المقرب المجتبى فقال : ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ طه: ٢."[٩١]

٢. قال تعالى : ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ طه: ٩ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أعقب تثبيت الرسول على التبليغ والتنويه بشأن القرآن بالنسبة إلى من أنزله ومن أُنزل عليه ، بذكر قصة موسى عليه السلام ، ليتأسّى به في الصبر على تحمل أعباء الرسالة ، ومقاساة المصاعب ، وتسليةً له بأن الذين كذبوه سيكون جزاؤهم جزاء مَن سلَفَهم من المكذبين ، ولذلك جاء في عقب قصة موسى قوله تعالى : ﴿ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ۝٩٩ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ۝١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِ ﴾طه: ٩٩ – ١٠١ ، وجاء بعد ذكر قصة آدم ، وأنه لم يكن له عزم ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ طه: ١٣٠ الآيات .

فجملة ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ طه: ٩ ، عطف على جملة ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴾ طه: ٢ ، الغرض هو مناسبة العطف كما تقدم قريباً."[٩٢]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما عظم حال القرآن وحال الرسول فيما كلفه ، اتبع ذلك بما يقوي قلب رسول الله ﷺ من ذكر أحوال الأنبياء -عليهم السلام- تقوية لقلبه في الإبلاغ كقوله : ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾هود: ١٢٠ ، وبدأ بموسى عليه السلام لأن المحنة والفتنة الحاصلة له كانت أعظم ؛

([٩١]) نظم الدرر ١٢/٥ .

([٩٢]) التحرير والتنوير ١٩٣/١٦ .

ليسلي قلب الرسول ﷺ بذلك ، ويصبره على تحمل المكاره."[93]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما أتبع ذلك قصة موسى عليه السلام مصدرة باستفهام مقترن بواو عطف ، وأرشد ذلك إلى أن المعنى : هل تعلم له سميا ، أي : متصفاً بأوصافه، أو بشيء منها له بذلك الوصف مثل فعله ، ولما كان الجواب قطعاً : لا ، ثبت أن لا متصف بشيء من أوصافه ، فعطف على هذا المقدر قصة موسى عليه السلام ، ويكون التقدير : هل علمت بما ذكرناك به في هذه الآيات ؛ أنا نريد ما هو علينا يسير بما لنا من القدرة التامة والعلم الشامل من إسعادك في الدارين تكثير أجرك ، وتفخيم أمرك ، بتكثير أتباعك ، وعطف عليه القصة شاهداً محسوساً على ما له من الاتصاف بما انتفى عن غيره من الأسماء الحسنى ، ولاسيما ما ذكر هنا من الاتصاف بتمام القدرة والتفرد بالعظمة ، وأنه يُعلي هذا المصطفى بإنزال هذا الذكر عليه ، وإيصاله منه إليه النصرة على الملوك وسائر الأضداد ، والتمكين في أقطار البلاد ، وكثرة الأتباع ، وإعزاز الأنصار والوزراء والأشياع ، وغير ذلك بمقدار ما بين ابتداء أمرهما من التفاوت ، فإن ابتداء أمر موسى عليه السلام أنه أتى النار ليُقبس أهله منها ناراً ، أو يجد عندها هدى ، فمنح بذلك من هدى الدارين والنصرة على الأعداء كما سيقص هنا ما منح ، وهذا النبي الكريم كان ابتداء أمره أنه يذهب إلى غار حراء ، فيتعبد الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك احتذاباً من الحق له قبل النبوة بمدد ، تدريباً له وتقوية لقلبه ، فأتته النبوة وهو في مضمارها سائر ، وإلى أوجها بعزمه صائر بل طائر."[94]

استفاد ابن عاشور –رحمه الله– هنا ممن سبقوه ، فتبع الرازي في ذكر هذه المناسبة ، إلا أن الرازي زاد عليه ذكر مناسبة البدء بقصة موسى عليه السلام وهي مناسبة جميلة، وقول البقاعي هنا فيه شيء من التوسع والزيادة على القولين السابقين وقد ذكرته مختصراً .

---

(93) التفسير الكبير ١٥/٨ .

(94) نظم الدرر ١١/٥ .

٣. قال تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ طه: ٥٥ .

قال ابن عاشور –رحمه الله- :"مستأنفة استئنافاً ابتدائياً ، وهذا إدماج للتـ ـذكير بالخلق الأول ليكون دليلاً على إمكان الخلق الثاني بعد الموت ، والمناسبة متمكنة ؛ فـ ـإن ذكر خلق الأرض ومنافعها ، يستدعي إكمال ذكر المهم للنّاس من أحوالها ، فكان خلق أصل الإنسان من الأرض شبيهاً بخروج النبات منها ، وإخراج النّاس إلى الحشـ ـر شـ ـبيه بإخراج النبات من الأرض ، قال تعـ ـالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ نوح: ١٧ ـ ١٨."[٩٥]

وقريب من هذا ما قال البقاعي –رحمه الله- :"ولما أخبر سبحانه وتعالى عما خلق في الأرض من المنافع الدالة على تمام علمه ، وباهر قدرته ، على وجه دالّ على خصوص القدرة على البعث."[٩٦]

ثم أخذ بالحديث عن الروح وماهيته ، وكان كلامه حول الخلق وأصله ، ثم البعث والنشور .[٩٧]

وقال الرازي –رحمه الله- :"فاعلم أنه سبحانه لما ذكر منافع الأرض والسماء ، بين أنها غير مطلوبة لذاتها ، بل هي مطلوبة لكونها وسائل إلى منافع الآخرة ، فقال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ طه: ٥٥."[٩٨]

وقال في آخر تفسيره للآية :"واعلم أن الله تعالى عدد في هذه الآيات منافع الأرض ، وهي : أنه تعالى جعلها لهم فراشاً ومهاداً يتقلبون عليها ، وسوى لهم فيها مسالك يترددون فيها كيف أرادوا ، وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلف

([٩٥]) التحرير والتنوير ١٦/٢٤٠ .

([٩٦]) نظم الدرر ٥/٢٥ .

([٩٧]) ينظر نظم الدرر ٥/٢٥ .

([٩٨]) التفسير الكبير ٨/ ٦٢ .

دوابهم ، وهي أصلهم الذي منه يتفرعون ، ثم هي كفاتهم إذا ماتوا."[٩٩]

يرى ابن عاشور أن المناسبة هي : تشبيه خلق أصل الإنسان من الأرض ، و تشبيه إخراج الناس إلى الحشر ، هو كإخراج النبات من الأرض ، وذكر المهم للناس من أحوال الأرض ، وهذا كقول الرازي .

أما قول البقاعي فهو استدلال على القدرة على البعث .

وهذا مثال واضح على مدى تأثير فهم المناسبة على التفسير ، وإن كان اختلاف الفهم إنما هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، فالذي ذكره ابن عاشور هو في حقيقته ومضمونه أنه دليل على القدرة على البعث ، وليس فيما ذكر البقاعي -رحمه الله- دليل على التشبيه ، أو على ذكر المهم من أحوال الناس فيها .

٤. قال تعالى : ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴾ طه: ٩٢

وفي ذكر المناسبة لحكاية خطاب موسى لهارون عليهما السلام في قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴾ طه: ٩٢ ، بعد أن وقع الفصل بين أجزاء الحكاية بالجمل المعترضة ، قال ابن عاشور -رحمه الله- : "انتقل موسى من محاورة قومه إلى محاورة أخيه ، فجملة ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ ﴾ ، تابعة لجملة ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًا ﴾ طه: ٨٦ ، ولجملة ﴿ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا ﴾ طه: ٨٧ ، وقد وجدت مناسبة لحكاية خطابه هارون عليه السلام ، بعد أن وقع الفصل بين أجزاء الحكاية بالجمل المعترضة التي منها جملة ﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ ﴾ طه: ٩٠ ؛ الآية ، فهو استطراد في خلال الحكاية للإشعار بعذر هارون كما تقدم ، ويحتمل أن تكون عطفاً على جملة ﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ ﴾ طه: ٩٠ ؛ الآية ، على احتمال كون تلك من حكاية

([٩٩]) التفسير الكبير ٦٢/٨ .

كلام قوم موسى ."[100]

وهذه المناسبة مما تفرد به ابن عاشور -رحمه الله- عن ما ذكره الرازي والبقاعي ، وهو مما يدل على تمكن هذا العالم العظيم من هذا العلم الكبير وسعة اطلاعه .

٥. قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ طه: ١١٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على جملة ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ طه: ٩٩ ، والغرض واحد ، وهو التنويه بالقرآن ، فابتدئ بالتنويه به جزئياً بالتنويه بقصصه ، ثمّ عطف عليه التنويه به كليّاً على طريقة تشبه التذييل لما في قوله : ﴿ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ من معنى عموم ما فيه .

والإشارة بـ. ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ ، نحوُ الإشارة في قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ ، أي : كما سمعته ، لا يُبين بأوضح من ذلك."[101]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ عطف على قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ ﴾ ، أي : ومثل ذلك لا نزال ، وعلى نهجه أنزلنا القرآن كله."[102]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما اشتملت هذه الآية على الذروة من حسن المعاني، فبشرت ويسرت ، وأنذرت وحذرت ، وبينت الخفايا ، وأظهرت الخبايا ، مع ما لها من جلالة السبك وبراعة النظم ، كان كأنه قيل تنبيهاً على جلالتها : أنزلناها على هذا المنوال العزيز المثال ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ أي : ومثل هذا الإنزال ، ﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ أي :

([100]) التحرير والتنوير ٢٩١/١٦ .

([101]) التحرير والتنوير ٣١٣/١٦ .

([102]) التفسير الكبير ١٠٣/٨ .

هذا الذكر كله بعظمتنا ، ﴿ قُرْءَانًا ﴾ جامعاً لجميع المعاني المقصودة ، ﴿ عَرَبِيًّا ﴾ مبيناً لما أودع فيه لكل من له ذوق في أساليب العرب."(١٠٣)

قول ابن عاشور في ذكر المناسبة هنا قريب من قول سابقيه ، إلا أنه زاد عليهما زيادة حسنة في قوله : أنه بدأ بالتنويه به جزئياً ، ثمّ عطف عليه التنويه به كليّاً على طريقة تشبه التذييل .

٦. قال تعـالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ طه: ١١٥ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"لما كانت قصة موسى عليه السلام مع فرعون ، ومع قومه ذات عبرة للمكذبين ، والمعاندين الذين كذبوا النبي ﷺ وعاندوه ، وذلك المقصود من قَصَصها كما أشرنا إليه آنفاً عند قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾ طه: ٩٩ - ١٠٠ ، فكأن النبي ﷺ استحب الزيادة من هذه القِصص ذات العبرة ؛ رجاء أن قومه يفيقون من ضلالتهم ، كما أشرنا إليه قريباً عند قوله : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ طه: ١١٤، أعقبت تلك القصة بقصة آدم عليه السلام ، وما عرّض له به الشيطان ، تحقيقاً لفائدة قوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ طه: ١١٤ ، فالجملة عطف قصة على قصة ، والمناسبة ما سمعتَ."(١٠٤)

في هذه المناسبة نجد أن ابن عاشور لخص قولي الرازي والبقاعي و لم يشمل جميع ما ذكرا ، وقد أجاد الرازي في ذكر تعلق الآية .

فالرازي –رحمه الله– توسع في ذكر تعلق هذه الآية بما قبلها ، وذكر أنّ هذا

---

(١٠٣) نظم الدرر ٤٨/٥ .

(١٠٤) التحرير والتنوير ٣١٨/١٦ .

التعلق من خمسة وجوه فقال :"واعلم أن في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوهاً .

أحدها : أنه تعالى لما قال : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ طه: ٩٩ ، ثم إنه عظم أمر القرآن وبالغ فيه ، ذكر هذه القصة انجازاً للوعد في قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ طه: ٩٩ .

وثانيها : أنه لما قال : ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ طه: ١١٣، أردفه بقصة آدم عليه السلام كأنه قال : إن طاعة بني آدم للشيطان ، وتركهم التحفظ من وساوسه أمر قديم ، فإنا قد عهدنا إلى آدم من قبل ، أي : من قبل هؤلاء الذين صرفنا لهم الوعيد ، وبالغنا في تنبيهه حيث قلنا : ﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ طه: ١١٧، ثم إنه مع ذلك نسي وترك ذلك العهد ، فأمر البشر في ترك التحفظ من الشيطان أمر قديم .

وثالثها : أنه لما قال لمحمد ﷺ : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ طه: ١١٤ ، ذكر بعده قصة آدم عليه السلام ، فإنه بعدما عهد الله إليه ، وبالغ في تجديد العهد وتحذيره من العدو نسي، فقد دل ذلك على ضعف القوة البشرية عن التحفظ ، فيحتاج حينئذ إلى الاستعانة بربه في أن يوفقه لتحصيل العلم ، ويجنبه عن السهو والنسيان .

ورابعها : أن محمداً ﷺ لما قيل له : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ﴾ طه: ١١٤، دل على أنه كان في الجد في أمر الدين ، بحيث زاد على قدر الواجب ، فلما وصفه بالإفراط ، وصف آدم بالتفريط في ذلك ، فإنه تساهل في ذلك ، ولم يتحفظ حتى نسي ، فوصف الأول بالتفريط ، والآخر بالإفراط ؛ ليعلم أن البشر لا ينفك عن نوع زلة .

وخامسها : أن محمداً ﷺ لما قيل له : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ ﴾ ضاق قلبه ، وقال في نفسه : لولا أني أقدمت على ما لا ينبغي ، وإلا لما نهيت عنه فقيل له: إن كنت فعلت ما نهيت عنه ، فإنما فعلته حرصاً منك على العبادة ، وحفظاً لأداء الوحي ، وإن أباك أقدم

على ما لا ينبغي للتساهل وترك التحفظ ، فكان أمرك أحسن من أمره."[105]

وقال البقاعي -رحمه الله- في ذكر قصة آدم عليه السلام :"أتبع ذلك سبحانه قصة آدم عليه السلام ، تحذيراً من الركون إلى ما يسبب النسيان ، وحثاً على رجوع من نسي إلى طاعة الرحمن ، وبياناً لأن ذلك الذي قرره من حلمه وإمهاله ، عادته سبحانه من القدم ، وصفته التي كانت ونحن في حيز العدم ، وأنه جبل الإنسان على النقص ، فلو أخذهم بذنوبهم ما ترك عليها من دابة ، فقال عاطفاً على قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ طه: ١١٣ ، أو ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ طه: ٩٩ ، مؤكداً لما تقدم فيه وعهد به من أمر القرآن ، ومحذراً من الإخلال بذلك ، ولو على وجه النسيان، ومنجزاً لما وعد به من قص أنباء المتقدمين مما يوافق هذا السياق."[106]

٧. قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ طه: ١٣٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله - :"رجوع إلى التنويه بشأن القرآن ، وبأنه أعظم المعجزات ، وهو الغرض الذي انتقل منه إلى أغراض مناسبة من قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ طه: ١١٣، والمناسبة في الانتقال هو ما تضمنه قوله : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ طه: ١٣٠، فجيء هنا بشنع من أقوالهم التي أمر الله رسوله بأن يصبر عليها في قوله : ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ ، فمن أقوالهم التي يقصدون منها التعنت والمكابرة أن قالوا : لولا يأتينا بآية من عند ربّه فنؤمن برسالته ، كما قال تعالى : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ الأنبياء:

---

(105) التفسير الكبير ١٠٥/٨ .

(106) نظم الدرر ٥٠/٥ .

٥."[107]

وقال الرازي -رحمه الله- :"ثم إنه سبحانه بعد هذه الوصية حكى عنهم شبهتهم فكأنه من تمام قوله : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ طه: ١٣٠، وهي قولهم : ﴿ لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ طه: ١٣٣، أوهموا بهذا الكلام أنه يكلفهم الإيمان من غير آية ، وقالوا في موضع آخر : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ الأنبياء: ٥ ، وأجاب الله تعالى عنه بقوله : ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴾ طه: ١٣٣."[108]

أما البقاعي -رحمه الله- ، فيرى أن موقع الآية هنا للتعجب منهم في كونهم ، لا يذعنون للحق أنفة من المجاهرة بالباطل ، أو خوفاً من سوء العواقب.[109]

ويرى أن العطف في الآية :"لعله عطف على ما يقدر في حيز قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ طه: ١٢٨ ، من أن يقال ، وقد أبوا ذلك و لم يعدّوا شيئاً منه آية."[110]

وهنا أيضاً يتبين مدى التأثير في فهم المناسبة ، ففهم ابن عاشور هنا للمناسبة غير ما ذكره الرازي والبقاعي ، فهو يرى أن الآية ذكرت هنا للتنويه بشأن القرآن وبأنه أعظم المعجزات وأن الانتقال في الآية جاء لبيان شنع من أقوال أعداء الرسول ﷺ وهذا مستفاد من قول الرازي .

فقول الرازي : إن هذه الآية ، هي حكاية لشبهتهم ورد لها ، وهي متممة لقوله تعالى :﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ طه: ١٣٠ .

أما البقاعي فذكر أن المناسبة هي ، للتعجب من كونهم لا يذعنون للحق .

---

(١٠٧) التحرير والتنوير ٣٤٤/١٦ .

(١٠٨) التفسير الكبير ١١٦/٨ .

(١٠٩) ينظر نظم الدرر ٦٠/٥ .

(١١٠) نظم الدرر ٦٠/٥ .

٨. قال تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ طه: ١٣٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- في ختام هذه السورة ، وما فيها من شبيه رد العجز على الصدر :"وقد جاءت خاتمة هذه السورة كأبلغ خواتم الكلام ، لإيذانها بانتهاء المحاجة وانطواء بساط المقارعة ، ومن محاسنها أن فيها شبيه رد العجز على الصدر ، لأنّها تنظر إلى فاتحة السورة ، وهي قوله : ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ طه: ٢ ، لأن الخاتمة تدل على أنه قد بلّغ كل ما بعث به من الإرشاد والاستدلال ، فإذا لم يهتدوا به فكفاه انثلاج صدره ، أنه أدى الرسالة والتذكرة ، فلم يكونوا من أهل الخشية ، فتركهم وضلالهم حتى يتبين لهم أنه الحق."[١١١]

وقال البقاعي -رحمه الله- : أن موقع هذه الآية هو جواب عن سؤال مقدر تقديره ما الذي أفعل معهم؟ فقال :"لما علم بهذا أن إيمانهم كالممتنع ، وجدالهم لا ينقطع، بل إن جاءهم الهدى طعنوا فيه ، وإن عذبوا قبله تظلموا ، كان كأنه قيل : فما الذي أفعل معهم؟ فقال : ﴿ قُلْ كُلٌّ ﴾ طه: ١٣٥."[١١٢]

وفي رد العجز على الصدر قال :"ولما كان صاحب الشيء قد لا يكون عالماً بالشيء ، ولا عاملاً بما يعلم منه ، قال : ﴿ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ أي : من الضلالة فحصل على جميع ما ينفعه ، واجتنب جميع ما يضره ، نحن أم أنتم؟ ولقد علموا يقيناً ذلك يوم فتح مكة المشرفة ، واشتد اغتباطهم بالإسلام ، ودخلوا رغبة في الحلم والكرم ، ورهبة من السيف والنقم[١١٣]، وكانوا بعد ذلك يعجبون من توقفهم عنه ، ونفرتهم منه ، وهذا معناه أنه ﷺ ومن اتبعه هم السعداء الأغنياء الراضون في الدنيا والآخرة ، وهو عين قوله

---

(١١١) التحرير والتنوير ٣٤٩/١٦ .

(١١٢) نظم الدرر ٦١/٥ .

(١١٣) ليس كل من دخل في الإسلام يوم فتح مكة كذلك بل القلة القليلة .

تعالى : ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ طه: ٢ ، فقد انطبق الآخر على الأول ، ودل على أن العظيم يعامل بالحلم فلا يعجل."[١١٤]

القول الذي ذكره البقاعي في موقع الآية قول جميل لم يتطرق إلى ذكره ابن عاشور .

أما في مناسبة رد العجز على الصدر فقد أحسن ابن عاشور وأجاد وكان قوله أقوى من قول البقاعي من حيث ربط العجز بالصدر، والله أعلم .

---

(١١٤) نظم الدرر ٥/٦١ .



المطلب الأول : أغراض السوره

المطلب الثاني : مناسبات الآيات



- **اسم السورة** : الأنبياء ، ولا يعرف لها اسم آخر .
- **نزولها** : مكية .
- **ترتيبها في المصحف** : الحادية والعشرون .
- **نظيرها في العدد** : لا نظير لها في العدد .
- **عدد آياتها** : مئة واثنتا عشرة آية ، وقيل إحدى عشرة .[١١٥]

---

(١١٥) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ١/١٨٧ .

أغراض سورة الأ[illegible]

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"والأغراض التي ذكرت في هذه السور هي :

الإنذار بالبعث ، وتحقيق وقوعه ، وإنه لتحققِ وقوعهِ كان قريباً .

وإقامة الحجة عليه بخلق السماوات والأرض عن عدم ، وخلق الموجودات من الماء.

والتحذير من التكذيب بكتاب الله تعالى ورسوله .

والتذكير بأن هذا الرسول ﷺ ما هو إلا كأمثاله من الرسل ، وما جاء إلا بمثل ما جاء به الرسل من قبله .

وذِكْرُ كثيرٍ من أخبار الرسل -عليهم السلام- .

والتنويهُ بشأن القرآن ، وأنه نعمة من الله على المخاطبين ، وشأن رسول الإسلام ﷺ ، وأنه رحمة للعالمين .

والتذكير بما أصاب الأمم السالفة من جراء تكذيبهم رسلهم ، وأن وعد الله للذين كذبوا واقع ، ولا يغرهم تأخيره ، فهو جاءٍ لا محالة .

وحذرهم من أن يغتروا بتأخيره ؛ كما اغتر الذين من قبلهم حتى أصابهم بغتة ، وذكر من أشراط الساعة فتح يأجوج ومأجوج .

وذكّرهم بما في خلق السماوات والأرض من الدلالة على الخالق .

ومن الإيماء إلى أن وراء هذه الحياة حياة أخرى أتقن وأحكم ، لتجزى كل نفس بما كسبت ، وينتصر الحق على الباطل .

ثم ما في ذلك الخلق من الدلائل على وحدانية الخالق ، إذ لا يستقيم هذا النظام بتعدد الآلهة .

وتنـزيه الله تعالى عن الشركاء وعن الأولاد،والاستدلال على وحدانية الله تعالى.

وما يكرهه أحد على فعل ما لا يريد .

وأن جميع المخلوقات صائرون إلى الفناء ، وأعقب ذلك تذكيرهم بالنعمة الكبرى عليهم ، وهي نعمة الحفظ .

ثم عطف الكلام إلى ذكر الرسل والأنبياء ، وتنظير أحوالهم وأحوال أممهم ؛ بأحوال محمد ﷺ وأحوال قومه ، وكيف نصر الله الرسل على أقوامهم واستجاب دعواتهم ، وأن الرسل كلهم جاءوا بدين الله ، وهو دين واحد في أصوله قطّعه الضالون قِطَعاً .

وأثنى على الرسل ، وعلى من آمنوا بهم ، وأن العاقبة للمؤمنين في خير الدنيا وخير الآخرة ، وأن الله سيحكم بين الفريقين بالحق ، ويعين رسلـه على تبليغ شرعه."[١١٦]

([١١٦]) التحرير والتنوير ٦/١٧ .

١. مناسبة الافتتاح بقوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ الأنبياء: ١

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"افتتاح الكلام بهذه الجملة أسلوب بديع في الافتتاح؛ لما فيه من غرابة الأسلوب ، وإدخال الروع على المنذَرين ، فإن المراد بالناس مشركو مكة ، والاقتراب مبالغة في القرب ، فصيغة الافتعال الموضوعة للمطاوعة ؛ مستعملة في تحقق الفعل ، أي : اشتد قرب وقوعه بهم."(١١٧)

وخالف ابن عاشور هنا البقاعي ، وابن الزبير(١١٨)، حيث يرى ابن عاشور أن الافتتاح بهذه الجملة من باب غرابة الأسلوب ، وكذلك لإدخال الروع على المنذَرين ، أما البقاعي فيرى أن الافتتاح بهذا ؛ جاء لبيان انتقال الخبر من علم اليقين في سورة طه ؛ إلى عين اليقين وحق اليقين ، وهو يوم الحساب ، وذلك في سورة الأنبياء .

قال البقاعي -رحمه الله- :"لما ختمت طه بإنذارهم بأنهم سيعلمون الشقي والسعيد ، وكان هذا العلم تارة يكون في الدنيا بكشف الحجاب بالإيمان ، وتارة بمعاينة ظهور الدين ، وتارة بإحلال العذاب ؛ بإزهاق الروح بقتل أو غيره ، وتارة ببعثها يوم الدين ، افتتحت هذه بأجلّ ذلك ، وهو اليوم الذي يتم فيه كشف الغطاء ، فينتقل فيه الخبر من علم اليقين إلى عين اليقين وحق اليقين ، وهو يوم الحساب ، فقال تعالى :

---

(١١٧) التحرير والتنوير ٨/١٧ .

(١١٨) أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن بن الحسين بن الزبير ، الإمام الاستاذ الحافظ أبو جعفر الثقفي العاصمي الغرناطي ، أحد نحاة الأندلس ومحدثيها ، ولد أواخر سنة سبع وعشرين وستمائة ، صنف البرهان في ترتيب سور القرآن ، وملاك التأويل في المتشابه من الآيات ، توفي ابن الزبير سنة ثمان وسبعمائة بغرناطة .[ينظر غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٣٢/١ ؛ وطبقات المفسرين للأدنه وي ص٣٩٧] .

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ الأنبياء: ١."[119]

فيما كان رأي ابن الزبير ؛ الذي نقله عنه البقاعي[120]-رحمهما الله- هو غير ما ذهب إليه ابن عاشور -رحمه الله- ، فيرى ابن الزبير أن الافتتاح بهذا ؛ جيء به لتأنيس النبي ﷺ ، ففي يوم الحساب يحصل النبي ﷺ وصحبه على ثمرة ما كابدوا في ذات الله -سبحانه وتعالى- ، قال -رحمه الله- بعد أن ذكر التأنيس الحاصل للنبي ﷺ في سورة طه : "ثم ابتدئت سورة الأنبياء ببقية هذا التأنيس ، فبيَّن اقتراب الحساب ، ووقوع يوم الفصل المحمود ، فيه ثمرة ما كوبد في ذات الله ، والمتمنى فيه أن لو كان ذلك أكثر ، والمشقة أصعب ، لجليل الثمرة وجميل الجزاء."[121]

وقول ابن الزبير أبعد من قول البقاعي وابن عاشور في فهم المناسبة ، ويمكن الجمع هنا بين قولي البقاعي وابن عاشور بعبارة أخرى فيقال : الافتتاح بهذه الجملة فيه من غرابة الأسلوب ؛ ما يقرع به آذان السامعين ، وعند الاستماع للآية يقع الروع على المنذَرين ، فينتقل به الحال مما سمع من الخبر إلى حق اليقين ، فكأنه يشاهده .

٢. قال تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ الأنبياء: ١١ .

في مناسبة هذه الآية لما قبلها قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على قوله : ﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ﴾ الأنبياء: ٦ ، أو على قوله تعالى : ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ الأنبياء: ٩ ، وهو تعريض بالتهديد .

ومناسبة موقعها أنه بعد أن أخبر أنه صَدَق رُسُلَه وعْدَه ، وهو خبر يفيد ابتداءً

---

(119) نظم الدرر ٦٣/٥ .

(120) نظم الدرر ٦٤/٥ .

(121) البرهان في ترتيب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي ص٢٥٥ .

التنويه بشأن الرسل ونصرِهم وبشأن الذين آمنوا بهم ، وفيه تعريض بنصر محمد ﷺ وذكر إهلاك المكذبين له تبعاً لذلك ، فأعقب ذلك بذكر إهلاك أمم كثيرة من الظالمين ، ووصف ما حل بهم ليكون ذلك مقصوداً بذاته ابتداءً ؛ اهتماماً به ليَقرع أسماعهم ، فهو تعريض بإنذار المشركين بالانقراض بقاعدة قياس المساواة ، وأن الله يُنشىء بعدهم أُمّة مؤمنة كقوله تعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ابراهيم: ١٩ ."[١٢٢]

مفاد المناسبة عند ابن عاشور هو مفادها عند الرازي ؛ إلا أن ابن عاشور جعل مَفَادَ السياق تعريضاً بالتهديد إن لم يؤمنوا ، وأما قول الرازي جعله زجراً لهم عما وقعوا فيه .

قال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم تلك الاعتراضات ، وكانت تلك الاعتراضات ظاهرة السقوط ؛ لأن شرائط الإعجاز لما تمّت في القرآن ؛ ظهر حينئذ لكل عاقل كونه معجزاً ، وعند ذلك ظهر أن اشتغالهم بإيراد تلك الاعتراضات ، كان لأجل حب الدنيا وحب الرياسة فيها ، فبالغ سبحانه في زجرهم عن ذلك فقال : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ الأنبياء: ١١."[١٢٣]

ويرى البقاعي -رحمه الله– أن الآية معطوفة على قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠[١٢٤]، والذي يظهر من قول البقاعي في العطف هنا ، أن العطف ؛ هو منشأ الاختلاف في العبارات بين الرازي ، وابن عاشور .

٣. قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٢ .

([١٢٢]) التحرير والتنوير ٢٣/١٧ .

([١٢٣]) التفسير الكبير ١٢٣/٨ .

([١٢٤]) ينظر نظم الدرر ٧١/٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما ذكر الاعتبار بخلق الأرض وما فيها ، ناسب بحكم الطباق ذكر خلق السماء عقبه ، إلا أن حالة خلق الأرض فيها منافع للناس ، فعقَّب ذكرها بالامتنان بقوله تعالى : ﴿ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ الأنبياء: ٣١ ، وبقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ الأنبياء: ٣١."[١٢٥]

وهذا شبيه بقول البقاعي حيث قال -رحمه الله- :"ولما دلهم بالسماوات والأرض على عظمته ، ثم فصل بعض ما في الأرض لملابستهم له ، وخص الجبال لكثرتها في بلادهم ، أتبعه السماء فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ ﴾ الأنبياء: ٣٢."[١٢٦]

٤. قال تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ الأنبياء:٣٧.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"جملة ﴿ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ معترضة بين جملة ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الأنبياء: ٣٦، وبين جملة ﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي ﴾ ، جعلت مقدمة لجملة ﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي ﴾ .

أمّا جملة ﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي ﴾ ، فهي معترضة بين جملة ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ الأنبياء: ٣٦ ، وبين جملة ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ ﴾ الأنبياء: ٣٨ ، لأن قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ الأنبياء: ٣٦ ؛ يثير في نفوس المسلمين تساؤلاً عن مدى إمهال المشركين ، فكان قوله تعالى : ﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ استئنافاً بيانياً جاء معترضاً بين

---

(١٢٥) التحرير والتنوير ٥٨/١٧ .

(١٢٦) نظم الدرر ٨١/٥ .

الجُمل التي تحكي أقوال المشركين ، وما تفرَّع عليها ، فالخطاب إلى المسلمين الذين كانوا يستبطئون حلول الوعيد الذي توعد الله تعالى به المكذبين .

ومناسبة موقع الجملتين ، أنّ ذكر استهزاء المشركين بالنبي ﷺ ، يُهيج حنق المسلمين عليهم ، فيوَدُّوا أن ينـ ـزل بالمكذبين الوعيد عاجلاً ، فخوطبوا بالتريث ، وأن لا يستعجلوا ربهم ، لأنه أعلم بمقتضى الحكمة في توقيت حلول الوعيد ، وما في تأخير نزوله من المصالح للدين ، وأهمها مصلحة إمهال القوم حتى يدخل منهم كثير في الإسلام ، والوجه أن تكون الجملة الأولى تمهيداً للثانية."[١٢٧]

أدى الفهم الذي فهمه ابن عاشور للمناسبة هنا ؛ إلى اختلاف في المعنى ، فأثر ذلك على بيان من هم المخاطبون في الآية ، فذهب ابن عاشور إلى أن الخطاب للمسلمين، فيما ذهب الرازي ، والبقاعي إلى أن الخطاب هنا للمشركين .

وقال الرازي –رحمه الله– بعد أن ذكر أن المراد بالإنسان قولان :"أما القول الأول : فتقريره أنهم كانوا يستعجلون عذاب الله تعالى ؛ وآياته الملجئة إلى العلم ؛ والإقرار ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ الأنبياء: ٣٨ ، فأراد زجرهم عن ذلك ، فقدم أولاً ذم الإنسان على إفراط العجلة ، ثم نهاهم وزجرهم ، كأنه قال : لا يبعد منكم أن تستعجلوا ، فإنكم مجبولون على ذلك ، وهو طبعكم ، وسجيتكم ، فإن قيل : مقدمة الكلام لا بد وأن تكون مناسبة للكلام ، وكون الإنسان مخلوقاً من العجل يناسب كونه معذوراً فيه ، فلم رتب على هذه المقدمة قوله : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، قلنا : لأن العائق كلما كان أشد ، كانت القدرة على مخالفته أكمل ، فكأنه –سبحانه– نبه بهذا على أن ترك الاستعجال حالة شريفة عالية مرغوب فيها."[١٢٨]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما كان من آيات الأولين التي طلبوها العذاب

([١٢٧]) التحرير والتنوير ٦٧/١٧ .

([١٢٨]) التفسير الكبير ١٤٤/٨ .

بأنواع الهول ، وكانوا هم أيضاً قد طلبوا ذلك واستعجلوا به ﴿ عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾ ص: ١٦، ونحو ذلك ، وكان الذي جرأهم على هذا حلم الله عنهم بإمهاله لهم ، قال معللاً لذلك : ﴿ خُلِقَ ﴾ وبناه للمفعول ، لأن المقصود بيان ما جبل عليه."[١٢٩]

والذي يتبن هنا أن قول الرازي والبقاعي أولى من قول ابن عاشور ، لأن سياق الآيات في المشركين ، وهو أيضاً رأي أشهر المفسرين[١٣٠]، ولا ينبغي صرفه للمسلمين إلا بدليل ، وابن عاشور هنا لم يذكر دليل صرفه .

وقول ابن عاشور أن الخطاب للمسلمين ، هو مضمون قول ابن كثير[١٣١]، ويدل عليه حديثه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾[١٣٢]، وهو خلاف قول أشهر المفسرين .

٥. قال تعالى :﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الأنبياء: ٣٨.

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"نشأ عن ذكر استبطاء المسلمين وعد الله بنصرهم على الكافرين ، ذِكر نظيره في جانب المشركين ، أنهم تساءلوا عن وقت هذا الوعد تهكماً ، فنشأ به القولان ، واختلف الحالان فيكون قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ ، عطفاً على جملة ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ الأنبياء: ٣٧ ، وهذا معبّر عن مقالة

---

(١٢٩) نظم الدرر ٨٣/٥ .

(١٣٠) ينظر جامع البيان للطبري ٢٨/١٧ ؛ والمحرر الوجيز لابن عطية ٨٢/٤ ؛ وتفسير القرآن للسمعاني ٣٨١/٣.

(١٣١) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، الفقيه الشافعي الحافظ عماد الدين ابن الخطيب شهاب الدين ، وكنيته أبو الفداء ، قال الذهبي إمام محدث ومفت بارع ، ولد في سنة سبعمائة ، ومن مؤلفاته تفسير القرآن العظيم ؛ وفضائل القرآن ؛ والبداية والنهاية ، وغير ذلك ، مات في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة .[ينظر طبقات الحفاظ للسيوطي ص٥٣٤ ؛ وطبقات المفسرين للأدنه وي ص٢٦٠] .

(١٣٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٩٩/٣ .

أخرى من مقالاتهم التي يتلقون بها دعوة النبي ﷺ استهزاءً وعناداً .

وذكر مقالتهم هذه هنا ، مناسب لاستبطاء المسلمين النصر ، وبهذا الاعتبار تكون متصلة بجملة ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ الأنبياء: ٣٦ ، فيجوز أن تكون معطوفة عليها."[١٣٣]

فهم ابن عاشور للآية السابقة أثر أيضاً هنا على هذه الآية ، ولكن التأثير حاصل هنا على فهم المناسبة ، والترابط بين الآيتين ، وليس على المعاني والتفسير ، فالجميع يرى أن القائلين هنا ؛ هم المشركون .

٦. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الأنبياء: ٤١ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"عطف على جملة ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي ﴾ الأنبياء:٣٧ تطمين للنبي ﷺ ، وتسلية له."[١٣٤]

قول ابن عاشور هنا اختصار لقول الرازي ، والبقاعي ، فالغرض واحد ، وهو التسلية للنبي ﷺ .

قال الرازي –رحمه الله– :"ثم إنه سبحانه ذكر الوجه الثاني في دفع الحزن عن قلب رسوله فقال : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ الأنبياء: ٤١ ، والمعنى ولقد استهزئ برسل من قبلك يا محمد ، كما استهزأ بك قومك ، ﴿ فَحَاقَ ﴾ أي : نزل وأحاط ﴿ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أي : عقوبة استهزائهم ، وحاق وحق بمعنى ، كزال وزل ، وفي

([١٣٣]) التحرير والتنوير ٦٩/١٧ .

([١٣٤]) التحرير والتنوير ٧٣/١٧ .

هذا تسلية للنبي ﷺ ، والمعنى : فكذلك يحيق بهؤلاء وبال استهزائهم."[135]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان التقدير حاق بهم هذا باستهزائهم بك ، تبعه ما يدل على أن الرسل في ذلك شرع واحد ، تسلية له ﷺ وتأسية ، فقال عاطفاً على ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ﴾ الأنبياء: ٣٦ ، ﴿ وَلَقَدِ ﴾ مؤكداً له لمزيد التسلية ، بمساواة إخوانه من الرسل ، وبتعذيب أعدائه."[136]

٧. قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ الأنبياء: ٤٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"يجوز أن تكون الواو عاطفة هذه الجملة على جملة ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾ الأنبياء: ٤٦ ؛ الآية ، لمناسبة قولهم : ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٤٦ ، ولبيان أنهم مجازَون على جميع ما أسلفوه من الكفر وتكذيب الرسول ، بياناً بطريق ذكر العموم بعد الخصوص في المُجَازَيْن ، فشابه التذييل من أجل عموم قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ الأنبياء: ٤٧ ، وفي المجازَى عليه من أجل قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ الأنبياء: ٤٧.

ويجوز أن تكون الواو للحال من قوله : ﴿ رَبِّكَ ﴾ الأنبياء: ٤٦ ، وتكون نون المتكلم المعظّم ، التفاتاً لمناسبة الجزاء للأعمال ، كما يقال : أدّى إليه الكيل صاعاً بصاع، ولذلك فرّع عليه قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ .

ويجوز أن تكون الجملة معترضة ، وتكون الواو اعتراضية."[137]

([135]) التفسير الكبير ١٤٦/٨ .

([136]) نظم الدرر ٨٥/٥ .

([137]) التحرير والتنوير ٨٠/١٧ .

هنا نجد أنّ ابن عاشور استفاد من فهم المناسبة في هذه الآية ؛ من مضمون تفسير الرازي للآية ، فوظفه بعباراته .

قال الرازي -رحمه الله- :"ثم بين سبحانه وتعالى أن جميع ما ينـ.ـزل بهم في الآخرة لا يكون إلا عدلاً ، فهم وإن ظلموا أنفسهم في الدنيا ، فلن يظلموا في الآخرة ، وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾ ، وصفها الله تعالى بذلك ؛ لأن الميزان قد يكون مستقيماً ، وقد يكون بخلافه ، فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل والقسط ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾."[138]

فيما كان قول البقاعي هنا ألطفَ وأجمل في العبارة ، قال البقاعي -رحمه الله- : "ولما بيّن ما افتتحت السورة ؛ من اقتراب الساعة بالقدرة عليه ، واقتضاء الحكمة له ، وأن كلّ أحدٍ ميتٌ لا يستطيع شيئاً من الدفع عن نفسه فضلاً عن غيره ، وختمت الآيات بإقرار الظالم بظلمه ، وكانت عادة كثير من الناس الجور عند القدرة ، بين أنه سبحانه بخلاف ذلك ، فذكر بعض ما يفعل في حساب الساعة من العدل ، فقال عاطفاً على قوله: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً ﴾ الأنبياء: ٤٠."[139]

٨. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الأنبياء: ٤٨ .

ذكر ابن عاشور في هذا الموضع مناسبتين ، الأولى عن مناسبة الآية لما قبلها ، والثانية عن سبب البدء بذكر قصة موسى وأخيه -عليهما السلام- ، وهو في هذا لم يخرج عن قول سابقيه في ذكر المناسبة ، فتوسع بالحديث وشمل قول سابقيه .

قال -رحمه الله- :"عطف على جملة ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ إلى قوله

([138]) التفسير الكبير ١٤٨/٨ .

([139]) نظم الدرر ٨٧/٥ .

تعالى : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ الأنبياء: ٥ ، لإقامة الحجة على المشركين بالدلائل العقلية ، والإقناعية ، والزجرية ، ثم بدلائل شواهد التاريخ ، وأحوال الأمم السابقة الشاهدة بتنظير ما أوتيه النبي ﷺ ؛ بما أوتيه سلفه من الرسل والأنبياء ، وأنه ما كان بِدْعاً من الرسل في دعوته إلى التوحيد ، تلك الدعوة التي كذبه المشركون لأجلها، مع ما تخلل ذلك من ذكر عناد الأقوام ، وثبات الأقدام ، والتأييد من الملك العلاّم ، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ على ما يلاقيه من قومه ، بأن تلك سنة الرسل السابقين كما قال تعالى : ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾ الإسراء: ٧٧ ، فجاء في هذه الآيات بأخبار من أحوال الرسل المتقدمين .

وفي سَوق أخبار هؤلاء الرسل والأنبياء ، تفصيل أيضاً لما بُنيت عليه السورة من قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ الأنبياء: ٧ ، الآيات ، ثم قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥ ، ثم قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ ﴾ الأنبياء: ٤٥، واتصالها بجميع ذلك اتصال محكم ، ولذلك أعقبت بقوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ الأنبياء: ٥٠ .

وابتدئ بذكر موسى وأخيه مع قومهما ، لأن أخبار ذلك مسطورة ، في كتاب موجود عند أهله يعرفهم العرب ، ولأن أثر إتيان موسى عليه السلام بالشريعة هو أوسع أثر ، لإقامة نظام أمة يلي عظمة شريعة الإسلام .

وافتتاح القصة بلام القسم المفيدة للتأكيد ؛ لتنزيل المشركين في جهل بعضهم بذلك ، وذهول بعضهم عنه ، وتناسي بعضهم إياه منزلة من ينكر تلك القصة .

ومحل التنظير في هذه القصة هو تأييد الرسول ﷺ بكتاب مبين ، وتلقي القوم ذلك

الكتاب بالإعراض والتكذيب .[140]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما تكلم في دلائل التوحيد ، والنبوة، والمعاد ، شرع في قصص الأنبياء -عليهم السلام-، تسلية للرسول ﷺ فيما يناله من قومه ، وتقوية لقلبه على أداء الرسالة ، والصبر على كل عارض دونها ، وذكر ههنا منها قصصاً .

القصة الأولى ، قصة موسى عليه السلام ، ووجه الاتصال أنه تعالى لما أمر رسوله ﷺ أن يقول : ﴿ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ﴾ الأنبياء: ٤٥ ، أتبعه بأن هذه عادة الله تعالى في الأنبياء قبله فقال : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ الأنبياء: ٤٨."[141]

قال البقاعي -رحمه الله- :"ولما قدم في قوله ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم ﴾ الأنبياء: ٢ ؛ الآية ، وغيره أنهم أعرضوا عن هذا الذكر تعللاً بأشياء منها : طلب آيات الأولين ، ونبه على إفراطهم في الجهل بما ردوا من الشرف بقوله : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ الأنبياء: ١٠ ، ومر إلى أن ختم بالتهديد بعذابه ، وأنه يحكم بالقسط ، وكان كتاب موسى عليه السلام بعد القرآن أعظم الكتب السماوية ، وكان أهل الكتاب قد أعرضوا عنه غير مرة على زمن موسى عليه السلام بعبادة العجل وغيره وبعد موته ، مع كون المرسل به اثنين تعاضدا على إبلاغه وتقرير أحكامه ، بعد أن بهرا العقول بما أتيا به من الآيات ، التي منها -كما بين في سورة البقرة والأعراف- التصرف في العناصر الأربعة ، التي هي أصل الحيوان الذي بدأ الله منها خلقه ، ومقصود السورة الدلالة على إعادته ، ومنها ما عذب به من أعرض عن ذكر موسى وهارون -عليهما السلام- ،الذي هو ميزان العدل لما نشر من الضياء المورث للتبصرة الماحقة للظلام ؛ فلا يقع متبعه في

([140]) التحرير والتنوير ٨٧/١٧ .

([141]) التفسير الكبير ١٥٠/٨ .

ظلم ، وكان الحساب تفصيل الأمور ، ومقابلة كل منها بما يليق به ، وذلك بعينه هو الفرقان ، قال سبحانه بعد آية الحساب عاطفاً على : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ ﴾ ، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ﴾."[142]

٩. قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٥١.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أعقبت قصة موسى وهارون -عليهما السلام- ، بقصة إبراهيم عليه السلام فيما أوحي إليه من مقاومة الشرك ، ووضوح الحجة على بطلانه ، لأن إبراهيم كان هو المَثَل الأول قبل مجيء الإسلام في مقاومة الشرك ، إذ قاومه بالحجة ، وبالقوة ، وبإعلان التوحيد ، إذْ أقام للتوحيد هيكلاً[143] بمكة هو الكعبة ، وبجَبل (نابو) من بلاد الكنعانيين حيث كانت مدينةً تسمى يومئذ (لوزا) ، ثم بنى بيت ايل ؛ بالقرب من موضع مدينة (أورشليم) ، في المكان الذي أقيم به هيكل سليمان عليه السلام من بعد ، فكانت قصة إبراهيم مع قومه شاهداً على بطلان الشرك ، الذي كان مماثلاً لحال المشركين بمكة ، الذي جاء محمد ﷺ لقطع دابره ، وفي ذكر قصة إبراهيم تورك على المشركين من أهل مكة ، إذ كانوا على الحالة التي نعاها جدُّهم إبراهيم على قومه ، وكفى بذلك حجة عليهم ، وأيضاً فإن شريعة إبراهيم أشهر شريعة بعد شريعة موسى .

وتأكيد الخبر عنه بلام القَسم ؛ للوجه الذي بيناه آنفاً في تأكيد الخبر عن موسى وهارون ، وهو تنـ.ـزيل العرب في مخالفتهم لشريعة أبيهم إبراهيم ، منـ.ـزلة المنكر ، لكون إبراهيم أوتي رشداً ، وهدياً .

وكذلك الإخبار عن إيتاء الرشد إبراهيم ، بإسناد الإيتاء إلى ضمير الجلالة ، لمثل

---

(١٤٢) نظم الدرر ٥/٨٨ .

(١٤٣) لا ينبغي أن يطلق على قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم هذه العبارة ، وكيف يقارن بما المسميات اليهودية ، فقد نسخت شريعة محمد كل الأديان بعدها ، فليس إلا الإسلام الدين الصحيح .

ما قرّر في قصة موسى وهارون ، للتنبيه على تفخيم ذلك الرشد الذي أوتيه."[١٤٤]

قول ابن عاشور هنا مكمل لقول البقاعي ، فالاختلاف يسير ، والمضمون واحد.

قال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان مقصود السورة الدلالة على القدرة على ما استبعده العرب من إعادة الحيوان بعد كونه تراباً ، وبدأ ذكر الأنبياء بمن صرفه في العناصر الأربعة كما تقدم ؛ قص ذلك من التوراة في سورتي البقرة والأعراف ، إشارة إلى من استبعد عليه ما جعله إلى بعض عبيده أعمى الناس ، تلاه من الأنبياء بمن سخر له واحداً من تلك العناصر ، مرتباً لهم على الأخف في ذلك ؛ فالأخف ، على سبيل الترقي، فبدأهم بذكر من سخر له عنصر النار ، مع التنبيه للعرب على عماهم عن الرشد ، بإنكاره للشرك بعبادة الأوثان على أبيه وغيره ، ودعائهم إلى التوحيد ، والمجاهدة في الله على ذلك حق الجهاد ، وهو أعظم آباء الرادين لهذا الذكر ، والمستمسكين بالشرك تقليداً للآباء ، إثباتاً للقدرة الباهرة الدالة على التوحيد ، الداعي إليه جميع هؤلاء الأصفياء ، هذا مع مشاركته بإنزال الصحف عليه لموسى ومحمد -عليهما الصلاة والسلام- ، ومشاركته لهما في الهجرة ، وإذا تأملت ما في سورتي الفرقان ، والشعراء ازداد ما قلته وضوحاً ، فإنه لما أخبر تعالى أنهم قالوا :﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾الفرقان:٣٢ بدأ بقصة موسى الذي كتب له ربه في الألواح من كل شيء ، وقومه مقرّون بعظمة كتابه ، وأنه أوتي من الآيات ما بهر العقول ، وكفر به مع ذلك كثير منهم ، ولما قال في الشعراء : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ ﴾ الشعراء: ٥ ؛ كما هنا ، صنع كما صنع هنا من البداءة بقصة موسى عليه السلام ، وإيلائها ذكر إبراهيم عليه السلام."[١٤٥]

١٠. قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى

([١٤٤]) التحرير والتنوير ٩٢/١٧ .

([١٤٥]) نظم الدرر ٨٩/٥ .

كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴾ الأنبياء: ٧٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على جملة ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ﴾ الأنبياء: ٥١ ، وقدّم مفعول ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ ﴾ اهتماماً به ، لينبه على أنه محل العناية ، إذ كان قد تأخر ذكر قصته ، بعد أن جرى ذكره تبعاً لذكر إبراهيم عليه السلام ، تنبيهاً على أنه بعث بشريعة خاصة ، وإلى قوم غير القوم الذين بعث إليهم إبراهيم ، وإلى أنه كان في مواطنَ غير المواطن التي حلّ فيها إبراهيم ، بخلاف إسحاق ويعقوب -عليهما السلام- في ذلك كله .

ولأجل البُعد أُعيد فعل الإيتاء ، ليظهر عطفه على ﴿ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ ﴾ الأنبياء: ٥١ ، ولم يُعَد في قصة نوح عليه السلام عَقِب هذه .

وأعقبت قصة إبراهيم ؛ بقصة لوط عليه السلام للمناسبة ، وخص لوط بالذكر من بين الرسل ، لأن أحواله تابعة لأحوال إبراهيم ؛ في مقاومة أهل الشرك ، والفساد ، وإنما لم يذكر ما هم عليه قوم لوط من الشرك ، استغناء بذكر الفواحش الفظيعة التي كانت لهم سنة ، فإنها أثر من الشرك."[١٤٦]

ذكر ابن عاشور في المناسبة هنا لطائف جميلة ، مع توسعٍ أكبر في ذكر المناسبة ، فكلام الرازي ، والبقاعي مختصر جداً ، وقولهما لابن عاشور كاللبنة الأولى لاكتمال البناء .

قال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه بعد بيان ما أنعم به على إبراهيم عليه السلام ، أتبعه بذكر نعمه على لوط عليه السلام ، لما جمع بينهما من قبل."[١٤٧]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان سبحانه قد سخر لصديقه لوط عليه السلام ؛ إهلاك من عصاه في أول الأمر بحجارة الكبريت التي هي من النار ، وفي آخره بالماء الذي

([١٤٦]) التحرير والتنوير ١١١/١٧ .

([١٤٧]) التفسير الكبير ١٦٢/٨ .

هو أقوى من النار ، تلاه به فقال : ﴿ وَلُوطًا ﴾."[148]

١١. قال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨١ .

قول ابن عاشور هنا لم يختلف عن قول سابقيه ، قال -رحمه الله- :"عطف على جملة ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾ الأنبياء: ٧٩ ، بمناسبة تسخيرٍ خارق للعادة في كلتا القصتين معجزة للنبيين -عليهما السلام-."[149]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما ذكر النعم التي خص داود عليه السلام بها ، ذكر بعده النعم التي خص بها سليمان عليه السلام ، وقال قتادة[150]: ورَّث الله تعالى سليمان من داود ملكه ونبوته ، وزاده عليه أمرين ، سخر له الريح والشياطين."[151]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان قد سخر لابنه سليمان عليه السلام الريح التي هي أقوى من بقية العناصر قال : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ﴾ معبراً باللام لأنها كانت تحت أمره لنفعه ولا إبهام في العبارة."[152]

١٢. قال تعالى : ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

---

(148) نظم الدرر ٩٨/٥ .

(149) التحرير والتنوير ١٢٢/١٧ .

(150) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز ، وقيل قتادة بن دعامة بن عكابة ، أبو الخطاب الضرير الأكمه ، ولد في سنة ستين ، حافظ العصر وقدوة المفسرين والمحدثين ، أخذ القرآن ومعانيه ، وروى عن أنس بن مالك وعن غيره ، توفي سنة سبع عشرة ومائة.[ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٦٩/٥ ؛ وطبقات المفسرين للأدنه وي ص١٤] .

(151) التفسير الكبير ١٦٩/٨ .

(152) نظم الدرر ١٠٢/٥ .

الأنبياء: ٨٥ .

في ذكر المناسبة هنا قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على ﴿ وَأَيُّوبَ ﴾ الأنبياء: ٨٣ ، أي : وآتينا إسماعيل وإدريس وذا الكفل حُكماً وعلماً .

وجُمع هؤلاء الثلاثة في سلك واحد ، لاشتراكهم في خصيصة الصبر ، كما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ، جرى ذلك لمناسبة ذكر المثل الأشهر في الصبر وهو أيوب."[١٥٣]

لم يزد ابن عاشور في هذه المناسبة على ما قاله الرازي شيئاً ، في حين أنَّ البقاعي قد خص الحديث في المناسبة بإسماعيل منفرداً دون من تلاه ، وذكر أنَّ العطف للتَّشريف.

قال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما ذكر صبر أيوب ، وانقطاعه إليه ، أتبعه بذكر هؤلاء ، فإنهم كانوا أيضاً من الصابرين على الشدائد ، والمحن ، والعبادة."[١٥٤]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"وأتبعه سبحانه بمن أنبع له من زمزم ماءً باقياً شريفاً ، إشارة إلى شرفه ، وشرف ولده خاتم الرسل ، ببقاء رسالته ، ومعجزته."[١٥٥]

١٣. قال تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على ﴿ وَذَا ٱلۡكِفۡلِ ﴾ الأنبياء: ٨٥ ، وذكر ذي النون في جملة من خُصّوا بالذكر من الأنبياء لأجل ما في قصته من الآيات في الالتجاء

([١٥٣]) التحرير والتنوير ١٢٨/١٧ .

([١٥٤]) التفسير الكبير ١٧٦/٨ .

([١٥٥]) نظم الدرر ١٠٤/٥ .

إلى الله ، والندم على ما صدر منه من الجزع ، واستجابة الله تعالى له."[١٥٦]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ثم أتبعهم من هو أغرب حالاً منهم في الحفظ فقال ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾."[١٥٧]

قول البقاعي في فهم المناسبة أدق من قول ابن عاشور ، فالآية السابقة دلَّ مضمونها على حفظ الله للأنبياء المذكورين وذلك بقوله : ﴿ وَأَدْخَلْنَـٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ﴾ الأنبياء: ٨٦ ، فلذلك أتبعهم بذكر من هو أشد غرابة منهم في الحفظ ، وهو ذي النون ، فإن الله حفظه في بطن الحوت كما حفظه من لجج البحر .

١٤. قال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ الأنبياء: ٨٩ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"كان أمر زكرياء الذي أشار إليه قوله : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾ ، آية من آيات الله في عنايته بأوليائه المنقطعين لعبادته فخُصّ بالذكر لذلك."[١٥٨]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما كان حاصل أمر يونس ، أنه خرج من بطن لم يُعهد الخروج من مثله ، عطف عليه قصة زكريا في هبته له ولداً من بطن لم يُعهد الحمل من مثله في العقم واليأس ، ناظراً إلى أبيه إبراهيم ، أول من ذكر تصريفه في أحاد العناصر ؛ فيما اتفق له من مثل ذلك في ابنه إسحاق ، تكريراً

([١٥٦]) التحرير والتنوير ١٣٠/١٧ .

([١٥٧]) نظم الدرر ١٠٥/٥ .

([١٥٨]) التحرير والتنوير ١٣٥/١٧ .

لأعلام القيامة ، وتقريراً للقدرة التامة."[159]

ما أورده البقاعي في ذكر المناسبة هنا ، رابط جميل واستنتاج رائع أقوى وأدق من قول ابن عاشور ، فالمناسبة التي ذكرها ابن عاشور عامة ، ويمكن ذكرها بين الآيات السابقات في قصص الأنبياء مع تغيير في الجمل .

١٥. قال تعالى : ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء: ٩١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما انتهى التنويه بفضل رجال من الأنبياء ، أعقب بالثناء على امرأة نبية ، إشارة إلى أن أسباب الفضل غير محجورة ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ ﴾ الأحزاب: ٣٥ الآية ، هذه هي مريم ابنة عمران."[160]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما استدل على الساعة ؛ بما وهب لهؤلاء القوم ؛ من أهل الطاعة من التصرف في العناصر وغيرها ، إلى أن ذكر أنه خرق العادة في إبداع يحيى عليه السلام بين والدين لا يولد لمثلهما ، لأن أباه زكريا عليه السلام ، كان قد صار إلى حالة الكبر وييس من الأعضاء عظيمة ، وأمه كانت - مع وصولها إلى مثل تلك الحال - عاقراً في حال شبابها ، تلاه بإبداع ابن خالته عيسى عليه السلام ، الذي هو علم للساعة على حال أغرب من حاله ، فأخرجه من أنثى بلا ذكر ، إشارة إلى قرب الوقت لضعف الأمر ، كضعف الأنثى بالنسبة إلى الذكر ، فقال : ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾."[161]

الاختلاف في مريم -عليها السلام- هل هي نبية أم لا ؟ ، أدى إلى ذكر المناسبة

([159]) نظم الدرر ١٠٧/٥ .

([160]) التحرير والتنوير ١٣٧/١٧ .

([161]) نظم الدرر ١٠٨/٥ .

على هذا الوجه عند ابن عاشور ، وهو في هذا يخالف جمهور الناس في أنه لم تنبأ امرأة[١٦٢].

وقد أحسن البقاعي في ذكر المناسبة ، والرابط في هذه الآية .

١٦. قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٤.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"جملة مستأنفة قصد منها إعادة ذكر البعث ، والاستدلال على وقوعه وإمكانه إبطالاً لإحالة المشركين وقوعه ، بعلة أن الأجساد التي يدّعي بعثها قد انتابها الفناء العظيم ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ الرعد: ٥ ، والمناسبة في هذا الانتقال هو ما جرى من ذكر الحشر ، والعقاب ، والثواب ، من قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ الآية."[١٦٣]

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد ما ذكر حال الفريقين :"ولما كانت هذه الأفعال على غاية من الأهوال ، تتشوف بها النفس إلى معرفة اليوم الذي تكون فيه ، قال تعالى شافياً لعيّ هذا السؤال ، زيادة في تهويل ذلك اليوم لمن له وعي."[١٦٤]

في فهم المناسبة هنا اختلاف بين ابن عاشور والبقاعي ، فالفهم الذي فهمه ابن عاشور هنا راجع إلى ربط الآية بغرض من الأغراض الأساسية للسورة ، دفعه إلى ذلك ما ذُكر من الحشر والعقاب في الآيات السابقات ، أما البقاعي فيرى أن الآية : جواب عن سؤال مقدر تقديره متى هذا اليوم ، فكان الجواب ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ ﴾ ، وهذا هو

---

(١٦٢) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية ٤٣٤/١ ؛ والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ٣٤٩/٢ .

(١٦٣) التحرير والتنوير ١٥٧/١٧ .

(١٦٤) نظم الدرر ١١٥/٥ .

وجه الربط .

وكلا المناسبتين جميل من حيث ما ذكرا من موقع الآية .

١٧. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ الأنبياء: ١٠٥ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"إن كان المراد بالأرض أرض الجنة كما في قوله تعالى في سورة الزمر : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ﴾ الزمر: ٧٣ - ٧٤ ، فمناسبة ذكر هذه الآية عقب التي تقدمتها ظاهرة ، ولها ارتباط بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ الأنبياء: ٤٤.

وإن كان المراد أرضاً من الدنيا ، أي : مصيرها بيد عباد الله الصالحين ، كانت هذه الآية مسوقة لوعد المؤمنين بميراث الأرض التي لقوا فيها الأذى ، وهي أرض مكة وما حولها ، فتكون بشارة بصلاح حالهم في الدنيا ، بعد بشارتهم بحسن مآلهم في الآخرة ، على حد قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النحل: ٩٧."[١٦٥]

ومما تقدم تبين أنه نشأ باختلاف المراد بالأرض الاختلاف في المناسبتين ، فلكل معنى مناسبة ، والأشياء بضدها تتبين ، ففي اختلاف المعاني ظهرت مناسبتان ، والعكس صحيح كما مر معنا في قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ الأنبياء: ٣٧ ، فقد ذُكرت مناسبتان اختلف باختلافهما المعنى .

---

(١٦٥) التحرير والتنوير ١٦١/١٧ .

وقال البقاعي –رحمه الله– في المناسبة للآية :"ولما ذكر صدقه في الوعد ، وسهولة الأفعال عليه ، وكان من محط كثير مما مضى ، أن من فعل ما لا يرضي الله غيّر عليه ، كائناً من كان ، ومن فعل ما أمره به نصره وأيده ولو بعد حين ، كما أشير إليه بقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾الأنبياء: ٤ ، وما بعده من أشكاله ، حتى ختم بقوله : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا ﴾ الأنبياء: ٤٤ الآية ، قال تعالى عاطفاً على ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾الأنبياء: ١٠ ، وما عطف عليه من أشباهه مذكراً بما وعد على لسان داود عليه السلام."[١٦٦]

الاختلاف في فهم المناسبة بين ابن عاشور ، والبقاعي يسير في الجملة ، فقول ابن عاشور في المناسبة هو أنه : وعد من الله بتوريث الأرض لعباده الصالحين ، وبشارة بصلاح حالهم في الدنيا ، بعد البشارة بحسن مآلهم في الآخرة في الآيات السابقات .

في حين يرى البقاعي أن المناسبة ، تذكير بالوعد على لسان داوود عليه السلام ، وموقع الآية العطف على الشبيه .

و لم يذكر البقاعي إلا مناسبة واحدة ، لأنه يرى أن المراد بالأرض اسم جنس لكل أرض في الدنيا ، والمحشر ، والآخرة ، وغير ذلك[١٦٧].

وقول ابن عاشور في ذكر المناسبتين أدق ، فليس كل أرض تورث كما ذكر البقاعي ، فإن أرض المحشر ليس لأحد فيها نصيب ، فالملك يومئذ لله سبحانه، ولا إرث فيها ، فالناس فيها سواسية حفاة عراة ، حتى يحصل الفصل ، ويتميز الفريقان.

١٨. قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء: ١٠٧ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"أقيمت هذه السورة على عماد إثبات الرسالة

---

(١٦٦) نظم الدرر ١١٧/٥ .

(١٦٧) ينظر نظم الدرر ١١٧/٥ .

لمحمد ﷺ ، وتصديق دعوته ، فافتتحت بإنذار المعاندين باقتراب حسابهم ، ووشك حلول وعد الله فيهم ، وإثبات رسالة محمد ﷺ ، وأنه لم يكن بدعاً من الرسل ، وذُكروا إجمالاً، ثم ذُكرت طائفة منهم على التفصيل ، وتُخُلّل ذلك بمواعظ ودلائل .

وعطفت هذه الجملة على جميع ما تقدم من ذكر الأنبياء ؛ الذين أوتوا حكماً وعلماً ، وذكر ما أوتوه من الكرامات ، فجاءت هذه الآية مشتملة على وصف جامع لبعثة محمد ﷺ ، ومزيتها على سائر الشرائع ؛ مزية تناسب عمومها ودوامها ، وذلك كونها رحمة للعالمين ، فهذه الجملة عطف على جملة ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء: ٩١ ، ختاماً لمناقب الأنبياء ، وما بينهما اعتراض واستطراد .

ولهذه الجملة اتصال بآية ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ الأنبياء: ٣."[١٦٨]

وقال البقاعي –رحمه الله– بعد أن تحدث عن قوله تعالى :﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ قال :"ولما كان هذا مشيراً إلى رشادهم ؛ فكان التقدير ، فما أرسلناك إلا لإسعادهم ، والكفاية لهم في البلاغ إلى جنات النعيم ، عطف عليه ما يفهم سبب التأخير ، لإنجاز ما يستعجله غير العابدين من العذاب ، فقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾."[١٦٩]

في فهم المناسبة هنا رجع ابن عاشور إلى أغراض السورة وبنى عليها المناسبة ، أما البقاعي فقد نظر للآية التي قبلها ، وكلٌ حسنٌ من جهته ، والله أعلم .

([١٦٨]) التحرير والتنوير ١٦٤/١٧ .

([١٦٩]) نظم الدرر ١٢٥/٥ .

المبحث الثالث : سورة الحج

تمهيد ، ومطلبان



المطلب الثاني : مناسبات الآيات



- **اسم السورة** : الحج و لم يرد لها اسم آخر .
- **نزولها** : اختلف في سورة الحج ، هل هي مكية ، أم مدنية؟

فقال بعضهم مكية إلا ثلاث آيات ، وقال بعضهم هي مدنية إلا آيات ، وقيل إنها مدنية ، وقال الجمهور هذه السورة بعضها مكي ، وبعضها مدني ، وهي مختلطة أي : لا يعرف المكي بعينه ، ولا المدني بعينه .[١٧٠]

- **ترتيبها في المصحف** : الثانية والعشرون .
- **عدد آياتها** : وهي سبعون وأربع آيات ، وقيل خمس ، وقيل ست ، وقيل سبع ، وقيل ثمان .[١٧١]
- **نظيرها في العدد** : سورة الرحمن .

---

(١٧٠) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٤/١٠٥ .

(١٧١) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ١/١٨٩ .

أغراض سورة الحج

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"ومن أغراض هذه السورة :

خطاب الناس بأمرهم أن يتقوا الله ، ويخشوا يوم الجزاء وأهواله .

والاستدلال على نفي الشرك .

وخطاب المشركين بأن يقلعوا عن المكابرة في الاعتراف بانفراد الله تعالى بالإلهية ، وعن المجادلة في ذلك ؛ اتباعاً لوساوس الشياطين ، وأن الشياطين لا تغني عنهم شيئا ، ولا ينصرونهم في الدنيا ولا في الآخرة .

وتفظيع جدال المشركين في الوحدانية ؛ بأنهم لا يستندون إلى علم ، وأنهم يعرضون عن الحجة ليضلوا الناس .

وأنهم يرتابون في البعث ، وهو ثابت لا ريبة فيه ، وكيف يرتابون فيه بعلة استحالة الإحياء بعد الإماتة ، ولا ينظرون أن الله أوجد الإنسان من تراب ثم من نطفة ثم طوره أطوارا .

وأن الله ينـزل الماء على الأرض الهامدة فتحيى ، وتُخْرِجُ من أصناف النبات ، فالله هو القادر على كل ذلك ، فهو يحيي الموتى ، وهو على كل شيء قدير .

وأن مجادلتهم بإنكار البعث صادرة عن جهالة ، وتكبر عن الامتثال لقول الرسول ﷺ .

ووصف المشركين بأنهم في تردد من أمرهم في اتباع دين الإسلام .

والتعريض بالمشركين بتكبرهم عن سنة إبراهيم عليه السلام ، الذي ينتمون إليه ، ويحسبون أنهم حماة دينه ، وأمناء بيته ، وهم يخالفونه في أصل الدين .

وتذكير لهم بما من الله عليهم في مشروعية الحج من المنافع ، فكفروا نعمته .

وتنظيرهم في تلقي دعوة الإسلام بالأمم البائدة ، الذين تلقوا دعوة الرسل

بالإعراض والكفر ، فحل بهم العذاب .

وأنه يوشك أن يحل بهؤلاء مثله ، فلا يغرهم تأخير العذاب ، فإنه إملاء من الله لهم ، كما أملى للأمم من قبلهم ، وفي ذلك تأنيس للرسول ﷺ والذين آمنوا ، وبشارة لهم بعاقبة النصر على الذين فتنوهم وأخرجوهم من ديارهم بغير حق .

وأن اختلاف الأمم بين أهل هدى وأهل ضلال ، أمر به افترق الناس إلى ملل كثيرة .

وأن يوم القيامة هو يوم الفصل بينهم ، لمشاهدة جزاء أهل الهدى وجزاء أهل الضلال .

وأن المهتدين والضالين ؛ خصمان اختصموا في أمر الله ، فكان لكل فريق جزاؤه.

وسلّى الله رسوله ﷺ والمؤمنين ، بأن الشيطان يفسد في قلوب أهل الضلالة آثار دعوة الرسل ، ولكن الله يحكم دينه ، ويبطل ما يلقي الشيطان ، فلذلك ترى الكافرين يعرضون وينكرون آيات القرآن .

وفيها التنويه بالقرآن ، والمتلقين له بخشية وصبر ، ووصف الكفار بكراهيتهم القرآن ، وبغض المرسل به ، والثناء على المؤمنين ، وأن الله يسَّر لهم اتباع الحنيفية وسماهم المسلمين .

والإذن للمسلمين بالقتال ، وضمان النصر ، والتمكين في الأرض لهم .

وختمت السورة بتذكير الناس بنعم الله عليهم ، وأن الله اصطفى خلقاً من الملائكة ومن الناس ، فأقبل على المؤمنين بالإرشاد إلى ما يقربهم إلى الله زلفى ، وأن الله هو مولاهم وناصرهم."[١٧٢]

([١٧٢]) التحرير والتنوير ١٨٣/١٧ .

١. قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ الحج: ١٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"موقع هذه الآية غامض ، ومُفادها كذلك ، ولنبدأ ببيان موقعها ، ثم نتبعه ببيان معناها ، فإن بين موقعها ومعناها اتصالاً .

فيحتمل أن يكون موقعها استئنافاً ابتدائياً ؛ أُرِيدَ به ذكر فريق ثالث غير الفريقين المتقدمين في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الحج: ٨ ؛ الآية ، وقوله : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الحج: ١١ ، وهذا الفريق الثالث : جماعة أسلموا واستبطئوا نصْر المسلمين ، فأيسوا منه ، وغاظهم تعجُّلهم للدخول في الإسلام ، وأن لم يتريثوا في ذلك ، وهؤلاء هم المنافقون .

ويحتمل أن يكون موقعها تذييلاً لقوله : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الحج: ١١ ؛ الآية ، بعد أن اعتُرض بين تلك الجملة ، وبين هاته بجمل أخرى ، فيكون المراد : أن الفريق الذين يعبدون الله على حرف ، والمخبر عنهم بقوله : ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ الحج: ١١ ، هم قوم يظنون أن الله لا ينصرهم في الدنيا ، ولا في الآخرة إنْ بقُوا على الإسلام."[١٧٣]

وقال البقاعي -رحمه الله- :" ولما أفهم ما تقدم أن هذا الإله المدعو إليه قادر على كل من النفع والضر بالاختيار ، وأن تجويز الوقوع لكل منهما منه على حد سواء ، نبه

---

(١٧٣) التحرير والتنوير ٢١٧/١٧ .

على ذلك بقوله مستأنفاً : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾."[174]

قول البقاعي الذي ربط به الآيات سبقت جميل جداً وذلك بأن الله يدلل على هذه القدرة سبحانه .

وقول ابن عاشور الثاني ، في أن الآية تذييل لما قبلها ؛ قول حسن .

أما القول الأول ، فعلى حسب الخلاف في السورة ، هل هي مكية أم مدنية؟ فإن كانت الآية من المدني ؛ فالمناسبة حسنة ، وإن كانت من المكي ، فكيف يكون الحديث عن فريق لم يتكون بعد ، إن كان المراد المنافقين ، وإن كان غيرهم ممن أسلم ثم ارتد ، فهو أقرب ، والله أعلم .

٢. قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ الحج: ١٦ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"لما تضمنت هذه الآيات تبيين أحوال الناس تجاه دعوة الإسلام بما لا يبقى بعده التباس ، عقبت بالتنويه بتبيينها بأن شُبّه ذلك التبيينُ بنفسه، كناية عن بلوغه الغاية في جنسه ، بحيث لا يلحق بأوضح منه ، أي : مثل هذا الإنزال أنزلنا القرآن آيات بيّنات.

فالجملة معطوفة على الجُمل التي قبلها ، عطف غرض على غرض ، والمناسبة ظاهرة ، فهي استئناف ابتدائي ، وعطف على التنويه تعليل إنزاله كذلك ، بأن الله يهدي من يريد هديه ؛ أي : بالقرآن ، فلام التعليل محذوفة ، وحذف حرف الجر مع (أن) مطّرد."[175]

قول ابن عاشور هنا كقول البقاعي في المعنى ، وهو التنويه بالقرآن وبعظمته

([174]) نظم الدرر ١٣٩/٥ .

([175]) التحرير والتنوير ٢٢١/١٧ .

وإعجازه ، وأن لا مثيل له ، وأنه آيات بيِّنات ، يهدي به الله من يريد هدايته .

وهذا قول البقاعي -رحمه الله- قال :"ولما بين سبحانه هذه الآيات المرئية ، في هذه الأساليب العلية ، هذا البيان الشافي الهادي بإعجاز حكمه ، بين أنه معجز أيضاً بنظمه."(١٧٦)

٣. قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ الحج: ١٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"جملة مستأنفة ؛ لابتداء استدلال على انفراد الله تعالى بالإلهية ، وهي مرتبطة بمعنى قوله : ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾، إلى قوله : ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ الحج: ١٢ - ١٣ ، ارتباط الدليل بالمطلوب ، فإنّ دلائل أحوال المخلوقات كلها ؛ عاقلها وجمادها ، شاهدة بتفرد الله بالإلهية ، وفي تلك الدلالة شهادة على بطلان دعوة من يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه .

وما وقع بين هاتين الجملتين استطرادٌ ، واعتراضٌ."(١٧٧)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان جميع ما تقدم في هذه السورة دالاً على أنه على كل شيء قدير ، وأنه يفعل ما يريد ، وختم ذلك بأنه بكل شيء عليم ، لم يغب ولا يغيب شيء عنه ، فاقتضى ذلك قيوميته ، وكان بحيث يستعظم لكثرة الخلائق ، فكيف بأحوالهم ، قرَّر ذلك في جواب من كأنه سأل ، فهي في معنى العلة ، فقال :

---

(١٧٦) نظم الدرر ١٣٩/٥ .

(١٧٧) التحرير والتنوير ٢٢٥/١٧ .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾."[178]

منشأ الاختلاف بين ابن عاشور والبقاعي ، هو الوجه الذي رُبِطَت به الآية ، فابن عاشور ربطها بقوله تعالى : ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾، إلى قوله : ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ الحج: ١٢ - ١٣ ، فناسب أن تكون الآية برهاناً على الألوهية .

وربطها البقاعي بالآيات الدالة على قدرته –سبحانه–، وأنه يفعل ما يريد ، وأنه بكل شيء عليم ، فجاءت الآية جواباً عن سؤال مقدر ، من هو هذا العظيم؟ فكان الجواب ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ الحج: ١٨.

٤. قال تعالى : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ الحج: ١٩ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"مقتضى سياق السورة ، واتصال آي السورة ، وتتابعها في النـ.ـزول ، أن تكون هذه الآيات ؛ متصلة النـ.ـزول بالآيات التي قبلها ، فيكون موقع جملة ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ﴾ موقع الاستئناف البياني ، لأن قوله : ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ الحج: ١٨ ، يثير سؤال من يسأل عن بعض تفصيل صفة العذاب الذي حقّ على كثير من الناس ؛ الذين لم يسجدوا لله تعالى ، فجاءت هذه الجملة لتفصيل ذلك ، فهي استئناف بياني ، فاسم الإشارة المثنى مشير إلى ما يفيده قوله تعالى :

---

(178) نظم الدرر ١٤١/٥ .

﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ من انقسام المذكورين إلى فريقين ، أهل توحيد وأهل شرك كما يقتضيه قوله : ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ من كون أولئك فريقين ، فريق يسجد لله تعالى وفريق يسجد لغيره ، فالإشارة إلى ما يستفاد من الكلام بتنـ.ـزيله منـ.ـزلة ما يشاهد بالعين ، ومثلها كثير في الكلام."[179]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما قسم الناس إلى مخالف ومؤالف ، أتبعه جزاءهم بما يُرغب المؤالف ، ويُرهب المخالف ، على وجه موجب للأمر بالمعروف ، الذي من جملته الجهاد لوجهه خالصاً فقال : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ﴾."[180]

لا خلاف بين ابن عاشور والبقاعي ، في ذكر المناسبة ، ووجه الربط بين الآيتين ، والمعنى واحد ، إلا أن البقاعي زاد وربط الآية بسبب النـ.ـزول المذكور في الآية أيضاً ، مما جعله يذكر الجهاد هنا .

٥. قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الحج: ٢٥ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"هذا مقابل قوله ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ الحج: ٢٤ ، بالنسبة إلى أحوال المشركين ؛ إذ لم يسبق لقوله ذلك مقابل في الأحوال المذكورة في آية ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ الحج: ٢٤، كما تقدم ، فموقع هذه الجملة الاستئناف البياني ، والمعنى : كما كان سبب استحقاق المؤمنين ذلك النعيم ؛ اتباعهم صراط الله ، كذلك كان سبب استحقاق المشركين ذلك العذاب ؛ كفرهم وصدّهم عن

([179]) التحرير والتنوير ٢٢٧/١٧ .

([180]) نظم الدرر ١٤٢/٥ .

سبيل الله .

وفيه مع هذه المناسبة لما قبله ، تخلّص بديع إلى ما بعده ؛ من بيان حقّ المسلمين في المسجد الحرام ، وتهويل أمر الإلحاد فيه ، والتنويه به ، وتنـزيهه عن أن يكون مأوى للشرك ورجس الظلم والعُدوان."[181]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى بعد أن فصل بين الكفار والمؤمنين ، ذكر عظم حرمة البيت ، وعظم كفر هؤلاء."[182]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بين ما للفريقين ، وتضمن ما للفريق الثاني بيان أعمالهم ؛ الدالة على صدق إيمانهم ، كرر ذكر الفريق الأول ، لبيان ما يدل على استمرار كفرهم ، ويؤكد بيان جزائهم."[183]

المعنى الذي ذكره الرازي ، هو ما ذهب إليه ابن عاشور في ذكر التخلص .

أما البقاعي فقد ذكر أن المناسبة ، تكرار للتأكيد على الاستمرار في الكفر ، وبيان جزائهم .

وفهم ابن عاشور أدق من قول البقاعي ، وأشمل من قول الرازي .

٦. قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ الحج: ٣٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف بياني جواباً لسؤال يخطر في نفوس المؤمنين ، ينشأ من قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الحج: ٢٥؛ الآية ، فإنه توعّد المشركين على صدّهم عن سبيل الله والمسجد الحرام ؛ بالعذاب

([181]) التحرير والتنوير ٢٣٥/١٧ .

([182]) التفسير الكبير ٢١٦/٨ .

([183]) نظم الدرر ١٤٥/٥ .

الأليم ، وبشّر المؤمنين المخبتين والمحسنين بما يتبادر منه ضد وعيد المشركين ، وذلك ثواب الآخرة ، وطال الكلام في ذلك بما تبعه ، لا جرم تشوفت نفوس المؤمنين إلى معرفة عاقبة أمرهم في الدنيا ، وهل يُنتصر لهم من أعدائهم ، أو يدّخر لهم الخير كله إلى الدار الآخرة ، فكان المقام خليقاً بأن يُطَمئنَ الله نفوسهم ، بأنه كما أعد لهم نعيم الآخرة ، هو أيضاً مدافع عنهم في الدنيا وناصرهم."[١٨٤]

وقال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أنه تعالى لما بين ما يلزم الحج ومناسكه ، وما فيه من منافع الدنيا والآخرة ، وقد ذكرنا من قبل أن الكفار صدوهم ، أتبع ذلك ببيان ما يزيل الصد ، ويؤمن معه التمكن من الحج ، فقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾."[١٨٥]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما ذكر –سبحانه– الحج المذكر للمهاجرين بأوطاهم ، بعد المخاصمة التي أنزلت في غزوة بدر ، وذكر ما يفعل فيه من القربات ، عَظُمَ اشتياق النفوس إلى ذلك ، وتذكرت علو المشركين ؛ الذي يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ، وظهورهم ومنعهم لمن أراد هذه الأفعال ، على هذه الأوصاف الخالصة والأحوال الصالحة ، وفتنتهم له ، فأجابها سبحانه عن هذا السؤال بقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾."[١٨٦]

الفهم الذي فهمه ابن عاشور في ذكره للمناسبة ، قريب من قول البقاعي ، إلا أن في عباراتهم اختلافاً كبيرا .

أما الرازي فقد حصر الأمر في إزالة الصد ، وعلى التمكن من الحج ، وهو حسن، ولكن الأمر أوسع من ذلك ، ولا يجب حصره ، والتعميم أولى ، فالله يدافع عن الذين آمنوا في كل زمان ومكان .

([١٨٤]) التحرير والتنوير ٢٧١/١٧ .

([١٨٥]) التفسير الكبير ٢٢٨/٨ .

([١٨٦]) نظم الدرر ١٥٦/٥ .

٧. قال تعالى :﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ الحج: ٤٥ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"تفرَّع ذكر جملة ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ﴾ ، على جملة ﴿ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ الحج: ٤٤ ، فعطفت عليها بفاء التفريع والتعقيب في الذكر لا في الوجود ، لأن الإملاء لكثير من القرى ثم أخذها بعد الإملاء لها ، يبين كيفيّة نكير الله وغضبه على القرى الظالمة ويفسره ، فناسب أن يذكر التفسير عقب المفسر بحرف التفريع ، ثم هو يفيد بما ذكر فيه من اسم كثرة العَدد شُمولاً للأقوام الذين ذُكروا من قبل في قوله : ﴿ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ الحج: ٤٢ ؛ إلى آخره ، فيكون لتلك الجملة بمنـزلة التذييل."(١٨٧)

وقال الرازي –رحمه الله– :"فكأنه تعالى لما بين حال قوم من المكذبين ، وأنه عجل إهلاكهم ، أتبعه بما دل على أن لذلك أمثالاً ، وإن لم يذكر مفصلاً."(١٨٨)

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما كانت هذه الأمم السبعة أكثر أهل الأرض ، بل كانت أمة منهم أهل الأرض كما مضى بيانه في الأعراف(١٨٩)، فكيف بمن عداهم ممن كان في أزمانهم وبعدهم ، وأخبر سبحانه وتعالى أن عادته فيهم الإملاء ثم الإهلاك ، تسبب عن ذلك تهويل الإخبار عنهم وتكثيرهم ، فقال تعالى شارحاً للأخذ والإمهال على طريق النشر المشوش : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ ، كهؤلاء المذكورين وغيرهم."(١٩٠)

---

(١٨٧) التحرير والتنوير ٢٨٥/١٧ .

(١٨٨) التفسير الكبير ٢٣٢/٨ .

(١٨٩) ينظر نظم الدرر ٤٧/٣ .

(١٩٠) نظم الدرر ١٥٩/٥ .

حاصل الأقوال في المناسبة أنها تتكون من جزئين ، الأول : أن المذكورين في الآيات الماضية مَثَل ، وليسوا هم كل المكذبين ، الثاني : بيان كيفية الإهلاك .

فابن عاشور هنا ينقل عن سابقيه في فهم المناسبة ، فقوله كقول البقاعي ، أما الرازي فقد تحدث عن أحد جزئي المناسبة ، وهو أن هذا مَثَل من أمثال الأمم الظالمة .

٨. قال تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ الحج: ٤٧ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"عطف على جملة ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ ﴾ الحج: ٤٢، عطف القصة على القصة ، فإن من تكذيبهم أنهم كذبوا بالوعيد ، وقالوا : لو كان محمد صادقاً في وعيده لعُجّل لنا وعيده ، فكانوا يسألونه التعجيل بنزول العذاب استهزاءً ، كما حكى الله عنهم في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الأنفال:٣٢. وقال : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ السجدة: ٢٨ ، فذكر ذلك في هذه الآية بمناسبة قوله : ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ الحج: ٤٤."[١٩١]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما قدم سبحانه أن الضال المضل له خزي في الدنيا، وقدم أنه يدفع عن الذين آمنوا وينصرهم ، وساق الدليل الشهودي على ذلك لمن كان جامد الفهم مقيداً بالوهم ، بالقرى الظالمة التي أنجز هلاكها ، وختم بإنكار عماهم عن ظاهر الآيات البيِّنات ، قال عاطفاً على ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ ﴾ ، معجباً منهم وموضحاً لعماهم : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾."[١٩٢]

([١٩١]) التحرير والتنوير ٢٩٠/١٧ .

([١٩٢]) نظم الدرر ١٦١/٥ .

قول ابن عاشور في ذكر المناسبة هنا ، أنها من باب العطف ، فعطف تكذيبهم للرسول ﷺ باستعجالهم العذاب ، على تكذيب الأمم السابقة لرسلهم -عليهم السلام-، وذِكْرُ الاستعجال هنا مقابل إملاء الله لهم قال تعالى : ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

وقول البقاعي في ذكر المناسبة ، أنها للتعجب من حالهم ، ولإيضاح عماهم .

وكلا المناسبتين حسنة من حيث ما ذكرا ، فالعطف هو سبب الاختلاف في ذكر المناسبة .

٩. قال تعالى : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الحج: ٥٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"آذنت الغاية التي في قوله : ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ الحج: ٥٥ ، أن ذلك وقت زوال مرية الذين كفروا ، فكان ذلك منشأ سؤال سائل عن صورة زوال المرية ، وعن ماذا يلقونه عند زوالها ، فكان المقام أن يجاب السؤال بجملة ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ ، إلى آخر ما فيها من التفصيل ، فهي استئناف بياني."[١٩٣]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كانوا من الكثرة والقوة بمكان ، كان كأنه قيل: كيف يغلبون؟ فقال جواباً عن ذلك : ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾."[١٩٤]

الفهم الذي فهمه ابن عاشور أدق من فهم البقاعي ، فقد ربط ابن عاشور الآية بالآية السابقة ، وعند النظر للسؤال الناشئ ، نجد أن الجواب المذكور ؛ إجابة حقيقيةً ومفصلةً وشارحةً للسؤال .

([١٩٣]) التحرير والتنوير ٣٠٩/١٧ .

([١٩٤]) نظم الدرر ١٦٦/٥ .

أما البقاعي فكان رَبْطُه للآية غير دقيق ، وليس في قوله تعالى : ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ إجابة لكيف يغلبون ؛ إن كان المراد في الدنيا ، وهو غالب على أمره سبحانه في الدنيا والآخرة .

١٠. قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ الحج: ٦٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"انتقال إلى التذكير بنعم الله تعالى على الناس ؛ بمناسبة ما جرى من قوله : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ الحج: ٦١، والمقصود : التعريض بشكر الله على نعمه ، وأن لا يعبدوا غيره ، كما دلّ عليه التذييل عقب تعداد هذه النعم بقوله : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ الحج: ٦٦ ، أي : الإنسان المشرك ، وفي ذلك كله إدماج الاستدلال على انفراده بالخلق والتدبير ، فهو الرب الحق المستحق للعبادة ، والمناسبة هي ما جرى من أن الله هو الحق ، وأن ما يدْعُونه الباطل ، فالجملة مستأنفة استئنافاً ابتدائياً."[١٩٥]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما دل على قدرته من قبل بما ذكره من ولوج الليل في النهار ونبه به على نعمه ، أتبعه بأنواع أخر من الدلائل على قدرته ونعمته."[١٩٦]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما دل ما تضمنه رزقه سبحانه للميت في سبيله بقتل أو غيره ؛ على إحيائه له ، ودل سبحانه على ذلك ، وعلى أنه خير الرازقين بما له من العظمة ، وختم بهذين الوصفين ، أتبعه دليلاً آخر على ذلك كله بآية مشاهدة جامعة

([١٩٥]) التحرير والتنوير ٣١٧/١٧ .

([١٩٦]) التفسير الكبير ٢٤٦/٨ .

بين العالم العلوي والسفلي ، قاضية بعلوه وكبره ، فقال : ﴿ أَلَمۡ تَرَ ﴾."[197]

اتفقت الأقوال على معنى واحد في ذكر المناسبة ، وهي الدلالة على قدرة الله وعظمته ، وزاد ابن عاشور معنىً أخر ، وقد جاءت تلك الزيادة لتعدد الروابط التي ربطها بالآية ، وكذلك للنظر للآيات التالية لهذه الآية ، والمعنى الذي ذكره ، هو التذكير بنعم الله تعالى ، والمقصود منه التعريض بشكره وعدم عبادة غيره .

١١. قال تعالى : ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ الحج: ٦٤ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"الجملة خبر ثان عن اسم الجلالة في قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ الحج: ٦٣ ، للتنبيه على اختصاصه بالخالقية والملك الحق ، لِيُعْلَمَ مِن ذلك أنه المختص بالمعبودية ، فيرد زعم المشركين ؛ أن الأصنام له شركاء في الإلهية ، وصرف عبادتهم إلى أصنامهم ، والمناسبة هي ذكر إنزال المطر وإنبات العشب ، فما ذلك إلا بعض ما في السماوات وما في الأرض .

وإنما لم تعطف الجملة على التي قبلها مع اتحادهما في الغرض ، لأن هذه تتنزل من الأولى منزلة التذييل بالعموم الشامل لما تضمنته الجملة التي قبلها ، ولأن هذه لا تتضمن تذكيراً بنعمه."[198]

وقال الرازي –رحمه الله– :"والمعنى أن كل ذلك منقاد له ، غير ممتنع من التصرف فيه ، وهو غني عن الأشياء كلها ، وعن حمد الحامدين أيضاً ، لأنه كامل لذاته ، والكامل لذاته ؛ غني عن كل ما عداه في كل الأمور."[199]

([197]) نظم الدرر ١٦٩/٥ .

([198]) التحرير والتنوير ٣١٩/١٧ .

([199]) التفسير الكبير ٢٤٧/٨ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما اقتضى ذلك أنهى التصرف ؛ لأنه لا بد بعد اختلاط الماء بالتراب من أمور ينشأ عنها النبات على تلك الهيئات الغريبة المختلفة ، فأوجب ذلك أن يكون هو المالك المطلق."[200]

المعنى هنا واحد ، والجميع متفقون في ذكر المناسبة ، فالملك المطلق لله الحق ، فهو غني سبحانه عما أنشأه لخلقه غير مفتقرٍ له ، ولا شريك معه .

١٢. قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴾ الحج: ٦٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"بعد أن أُدمج الاستدلال على البعث بالمواعظ والمنن والتذكير بالنعم ، أُعيد الكلام على البعث هنا بمنـزلة نتيجة القياس ، فذُكّر الملحدون بالحياة الأولى التي لا ريب فيها ، وبالإماتة التي لا يرتابون فيها ، وبأنّ بعد الإماتة إحياء آخر ، كما أخذ من الدلائل السابقة ، وهذا محل الاستدلال ، فجملة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاكُمۡ ﴾ ، عطف على جملة ﴿ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ ﴾ ، لأن صدر هذه من جملة النعم ، فناسب أن تعطف على سابقتها المتضمنة امتناناً واستدلالاً كذلك."[201]

وقال الرازي -رحمه الله- :"المعنى أن من سخر له هذه الأمور ، وأنعم عليه بها ، فهو الذي أحياه ، فنبه بالإحياء الأول على إنعام الدنيا علينا بكل ما تقدم ، ونبه بالإماتة والإحياء الثاني على نعم الدين علينا ، فإنه سبحانه وتعالى خلق الدنيا بسائر أحوالها للآخرة ، وإلا لم يكن للنعم على هذا الوجه معنى."[202]

([200]) نظم الدرر ١٧٠/٥ .

([201]) التحرير والتنوير ٣٢٦/١٧ .

([202]) التفسير الكبير ٢٤٨/٨ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بين سبحانه جملاً من أمهات الدين ، وأتبعها الإعانة لأهله على المعتدين ، وختم بما بعد الموت للمهاجرين ، ترغيباً في منابذة الكافرين، وعرّف بما له من تمام العلم وشمول القدرة ، ومثّل ذلك بأنواع من التصرف في خلق السماوات والأراضين ، وأنهاه بالدلالة على أنه كله لنفع الآدميين نعمة منه ، تلا ذلك بما هو أكبر منه نعمة عليهم فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ﴾."[٢٠٣]

القول هنا كالقول في الآية السابقة فالجميع متفقون على المعنى ، ولا تخلوا الأقوال من زيادة أو نقص ، وابن عاشور هنا أشرك الاستدلال على البعث مع تعدد النعم .

١٣. قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ الحج: ٧٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أعقبت تضاعيف الحجج والمواعظ والإنذارات التي اشتملت عليها السورة مما فيه مقنع للعلم بأن إله الناس واحد ، وأن ما يعبد من دونه باطل ، أعقبت تلك كلها بمثل جامع لوصف حال تلك المعبودات وعابديها."[٢٠٤]

وقال :"وفي افتتاح السورة بـ. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ ، وتنهيتها بمثل ذلك ، شبه بردّ العجز على الصدر ، ومما يزيده حسناً أن يكون العجز جامعاً لما في الصدر وما بعده، حتى يكون كالنتيجة للاستدلال ، والخلاصة للخطبة ، والحوصلة للدرس."[٢٠٥]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما بين من قبل أنهم يعبدون من دون

([٢٠٣]) نظم الدرر ١٧٢/٥ .

([٢٠٤]) التحرير والتنوير ٣٣٧/١٧ .

([٢٠٥]) التحرير والتنوير ٣٣٨/١٧ .

الله مالا حجة لهم فيه ولا علم ، ذكر في هذه الآية ما يدل على إبطال قولهم."[٢٠٦]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما أخبر تعالى عن أنه لا حجة لعابد غيره ، وهدد من عاند ، أتبعه بأن الحجة قائمة على أن ذلك الغير في غاية الحقارة ، ولا قدرة له على دفع ما هدد به عابدوه ولا على غيره ، فكيف بالصلاحية لتلك الرتبة الشريفة ، والخطة العالية المنيفة ، فقال منادياً أهل العقل منبهاً تنبيهاً عاماً : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾."[٢٠٧]

المعاني المذكورة في ذكر المناسبة ثلاثة : قول ابن عاشور أن الآية : وصف لحال تلك المعبودات وعابديها ، وقول الرازي أن الآية : للدلالة على إبطال قولهم ، وقول البقاعي أن الآية : لإقامة الحجة على أن المعبودين من دون الله لا قدرة لهم .

ولا خلاف بين المعاني المذكورة ، ويمكن جمعها في قول واحد وهو : أن الآية وصف لحال تلك المعبودات وعابديها ، جيء بها لإبطال قولهم بدعوة غير لله ، ولإقامة الحجة على عدم قدرتهم حتى على خلق ذباب .

١٤. قال تعالى : ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾الحج: ٧٤ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"تذييل للمثل بأن عبادتهم الأصنام مع الله استخفاف بحق إلهيته تعالى ، إذ أشركوا معه في أعظم الأوصاف أحقر الموصوفين ، وإذ استكبروا عند تلاوة آياته –تعالى– عليهم ، وإذ همُّوا بالبطش برسوله."[٢٠٨]

وقال البقاعي –رحمه الله– بعد حديثه عن الآية السابقة :"ولما أنتج هذا جهلهم بالله ، عبر عنه بقوله : ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾."[٢٠٩]

([٢٠٦]) التفسير الكبير ٢٥١/٨ .

([٢٠٧]) نظم الدرر ١٧٦/٥ .

([٢٠٨]) التحرير والتنوير ٣٤٢/١٧ .

([٢٠٩]) نظم الدرر ١٧٧/٥ .

المناسبتان مكملتان لبعضهما ، فَعَبَدة الأصنام استخفوا بحق الله ، وذلك لجهلهم به سبحانه .

١٥. قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج: ٧٤ .[٢١٠]

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ، تعليل لمضمون الجملة قبلها ، فإن ما أشركوهم مع الله في العبادة كلٌّ ضعيفٌ ذليل ، فما قدروه حق قدره ، لأنه قوي عزيز ، فكيف يشاركه الضعيف الذليل ، والعدول عن أن يقال : ما قدرتم الله حق قدره إلى أسلوب الغيبة التفات ؛ تعريضاً بهم بأنهم ليسوا أهلاً للمخاطبة توبيخاً لهم ، وبذلك يندمج في قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ تهديد لهم بأنه ينتقم منهم على وقاحتهم .

وتوكيد الجملة بحرف التوكيد ولام الابتداء ؛ مع أن مضمونها مما لا يختلف فيه ، لتنزيل علمهم بذلك منزلة الإنكار ، لأنهم لم يجروا على موجب العلم حين أشركوا مع القوي العزيز ضعفاء أذلة."[٢١١]

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد الحديث عن قوله : ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ :"ولما كان كأنه قيل : ما قدره؟ قال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾."[٢١٢]

ذكر ابن عاشور أن التذييل بهذه الجملة تعليل لما قبلها ، والتعليل هنا عبارة عن جواب لمضمون الآية السابقة وهو في هذا موافق لقول البقاعي .

([٢١٠]) جَعَلْتُ تذييل الآية المختومة بصفات الله وأسمائه سبحانه وتعالى ، مناسبةً مستقلةً ؛ لقلة الحديث عنها ، في الكتب التي عُنِيَت بذكر المناسبات .

([٢١١]) التحرير والتنوير ٣٤٣/١٧ .

([٢١٢]) نظم الدرر ١٧٧/٥ .

١٦. قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ الحج: ٧٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما نفت الآيات السابقة أن يكون للأصنام التي يعبدها المشركون مزية في نصرهم بقوله : ﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ الحج: ٧١ ، وقوله: ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ الحج: ٧٣ ، ونعى على المشركين تكذيبهم الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : ﴿ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾ الحج: ٧٢ ، وقد كان من دواعي التكذيب أنهم أحالوا أن يأتيهم رسول من البشر : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞ ﴾ الأنعام: ٨ ؛ أي : يصاحبه ، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ الفرقان: ٢١ ، أعقب إبطال أقوالهم بأن الله يصطفي من شاء اصطفاءه من الملائكة ومن الناس دون الحجارة ، وأنه يصطفيهم ليرسلهم إلى الناس ، أي : لا ليكونوا شركاء .

فلا جرم أبطل قوله : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ جميع مزاعمهم في أصنامهم .

فالجملة استئناف ابتدائي ، والمناسبة ما علمت."[٢١٣]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما قدم ما يتعلق بالإلهيات ، ذكر ههنا ما يتعلق بالنبوات."[٢١٤]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما نصب الدليل على أن ما دعوه لا يصلح أن يكون شيء منه إلهاً ، بعد أن أخبر أنه لم ينـزل إليهم حجة بعبادتهم لهم ، وختم بما له سبحانه من وصفي القوة والعزة ، بعد أن أثبت أن له الملك كله ، تلا ذلك بدليله الذي

([٢١٣]) التحرير والتنوير ٣٤٣/١٧ .

([٢١٤]) التفسير الكبير ٢٥٣/٨ .

تقتضيه سعة الملك وقوة السلطان ؛ من إنزال الحجج على ألسنة الرسل بأوامره ونواهيه ، الموجب لإخلاص العبادة له ، المقتضي لتعذيب تاركها ، فقال : ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي ﴾."[215]

قول الرازي من باب المقابلة ، وهو المنطلق لقول ابن عاشور ، الذي توسع فيه ، وأجاد في ربط الآيات حتى استنتج هذه المناسبة .

أما البقاعي فقد ربط الآية بقوله : ﴿ لَقَوِيٌّ ﴾ ، وقوله ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ فجاءت المناسبة على ما ذكر .

وقول ابن عاشور أدق ، وذلك بالنظر لعموم الآيات القريبة الماضية ، وسياقها .

١٧. قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ الحج: ٧٥ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"وجملة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ تعليل لمضمون جملة ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي ﴾ ، لأن المحيط علمه بالأشياء هو الذي يختص بالاصطفاء، وليس لأهل العقول ما بلغت بهم عقولهم من الفطنة والاختيار ؛ أن يطّلِعوا على خفايا الأمور ، فيصطفوا للمقامات العليا من قد تخفى عنهم نقائصهم بله اصطفاء الحجارة الصماء."[216]

وقال البقاعي –رحمه الله– بعد حديثه عن الاصطفاء :"ولما كان ذلك لا يكون إلا بالعلم ، قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾."[217]

([215]) نظم الدرر ٥/١٧٧ .

([216]) التحرير والتنوير ١٧/٣٤٤ .

([217]) نظم الدرر ٥/١٧٧ .

الذي يسمع ويبصر يكون عالماً بكل ما يرى ويسمع ، فكيف بالسميع البصير الذي يعلم كل شيء سبحانه ، فالعلم هو لب القول في المناسبتين .

١٨. قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الحج: ٧٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما كان خطاب المشركين فاتحاً لهذه السورة وشاغلاً لمعظمها ، عَدَا ما وقع اعتراضاً في خلال ذلك ، فقد خوطب المشركون بـ. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ أربع مرات ، فعند استيفاء ما سيق إلى المشركين من الحجج والقوارع ، والنداء على مساوي أعمالهم ، خُتمت السورة بالإقبال على خطاب المؤمنين بما يُصلح أعمالهم ، وينوّه بشأنهم .

وفي هذا الترتيب إيماء إلى أن الاشتغال بإصلاح الاعتقاد ، مقدم على الاشتغال بإصلاح الأعمال."[٢١٨]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما تكلم في الإلهيات ، ثم في النبوات، أتبعه بالكلام في الشرائع."[٢١٩]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أثبت سبحانه أن الملك والأمر له وحده ، وأنه قد أحكم شرعه وحفظ رسله ، وأنه يُمَكِّنُ لمن يشاء أيَّ دين شاء ، وختم ذلك بما يصلح للترغيب والترهيب ، وكانت العادة جارية بأن الملك إذا برزت أوامره وانبثت دعاته ؛ أقبل إليه مقبلون ، خاطب المقبلين إلى دينه وهم الخلص من الناس ، فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾."[٢٢٠]

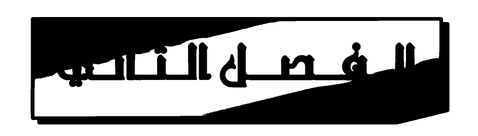
([٢١٨]) التحرير والتنوير ٣٤٥/١٧ .

([٢١٩]) التفسير الكبير ٢٥٣/٨ .

([٢٢٠]) نظم الدرر ١٧٩/٥ .

جميع المناسبات المذكورة هنا بمعنىً واحد ، فالآية خوطب بها المؤمنون المقبلون إلى دينه ، وبالآية هذه بُدِئ الحديث عن التشريع .

وقول ابن عاشور :"وفي هذا الترتيب إيماء إلى أن الاشتغال بإصلاح الاعتقاد ، مقدم على الاشتغال بإصلاح الأعمال" كلام رائع بين فيه أهمية التوحيد الذي هو أساس كل عمل ، والله أعلم .



سورة المؤمنون ، والنور ، والفرقان ، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : سورة المؤمنون . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتها

ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثاني : سورة النور . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتها

ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثالث : سورة الفرقان . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتها

ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلـب الثـاني : مناسبات الآيات .



المطلب الأول : أغراض السورة

المطلب الثاني : مناسبات الآيات



- **اسم السورة** : المؤمنون ، ولم يذكر لها غير هذا الاسم .
- **نوعها** : مكية .
- **ترتيبها في المصحف** : الثالثة والعشرون .
- **عدد آياتها** : مئة وثماني عشرة آية وقيل تسع عشرة آية .[221]
- **نظيرها في العدد** : لا نظير لها في عدد آياتها .

---

(٢٢١) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ص ١١٩ .

أغراض سورة المؤمنون

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذه السورة تدور آيها حول محور تحقيق الوحدانية وإبطال الشرك ونقض قواعده ، والتنويه بالإيمان وشرائعه .

فكان افتتاحها بالبشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم ، على ما تحلوا به من أصول الفضائل الروحية والعملية ، التي بها تزكية النفس واستقامة السلوك .

وأعقب ذلك بوصف خلق الإنسان أصله ونسله ؛ الدال على تفرد الله تعالى بالإلهية لتفرده بخلق الإنسان ونشأته ، ليبتدئ الناظر بالاعتبار في تكوين ذاته ، ثم بعدمه بعد الحياة ، ودلالة ذلك الخلق على إثبات البعث بعد الممات ، وأن الله لم يخلق الخلق سدىً ولعبا .

وانتقل إلى الاعتبار بخلق السماوات ، ودلالته على حكمة الله تعالى .

وإلى الاعتبار والامتنان بمصنوعات الله تعالى التي أصلها الماء ، الذي به حياة ما في هذا العالم من الحيوان والنبات ، وما في ذلك من دقائق الصنع ، وما في الأنعام من المنافع، ومنها الحمل .

ومن تسخير المنافع للناس وما أوتيه الإنسان من آلات الفكر والنظر .

وورد ذكر الحمل على الفلك ، فكان منه تخلص إلى بعثه نوح ، وحدث الطوفان.

وانتقل إلى التذكير ببعثة الرسل للهدى والإرشاد إلى التوحيد ، والعمل الصالح ، وما تلقاها به أقوامهم من الإعراض والطعن والتفرق ، وما كان من عقاب المكذبين ، وتلك أمثال لموعظة المعرضين عن دعوة محمد ﷺ ، فأعقب ذلك بالثناء على الذين آمنوا واتقوا .

وبتنبيه المشركين على أن حالهم مماثل لأحوال الأمم الغابرة ، وكلمتهم واحدة ،

فهم عرضة لأن يحل بهم ما حل بالأمم الماضية المكذبة .

وقد أراهم الله مخائل العذاب ، لعلهم يقلعون عن العناد ، فأصروا على إشراكهم؛ بما ألقى الشيطان في عقولهم .

وذكروا بأنهم يقرون إذا سئلوا بأن الله مفرد بالربوبية ، ولا يجرون على مقتضى إقرارهم أنهم سيندمون على الكفر عندما يحضرهم الموت ، وفي يوم القيامة .

وبأنهم عرفوا الرسول وخبروا صدقه وأمانته ، ونصحه المجرد عن طلب المنفعة لنفسه إلا ثواب الله ، فلا عذر لهم بحال في إشراكهم وتكذيبهم الرسالة ، ولكنهم متبعون أهواءهم معرضون عن الحق .

وما تخلل ذلك من جوامع الكلم .

وختمت بأمر النبي ﷺ أن يغض عن سوء معاملتهم ، ويدفعها بالتي هي أحسن ، ويسأل المغفرة للمؤمنين ، وذلك هو الفلاح الذي ابتدئت به السورة."[٢٢٢]

([٢٢٢]) التحرير والتنوير ١٨/٦ .

مناسبات الآيات في سورة المؤمنون

١. قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ المؤمنون: ١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- في مناسبة الافتتاح بهذه الآية :"افتتاح بديع ، لأنه من جوامع الكلم ، فإن الفلاح غاية كل ساع إلى عمله ، فالإخبار بفلاح المؤمنين دون ذكر متعلّق بفعل الفلاح ؛ يقتضي في المقام الخطابي تعميم ما به الفلاح المطلوب ، فكأنه قيل : قد أفلح المؤمنون في كل ما رغبوا فيه .

ولما كانت همة المؤمنين منصرفة إلى تمكن الإيمان ، والعمل الصالح من نفوسهم ، كان ذلك إعلاماً بأنهم نجحوا فيما تعلقت به هممهم من خير الآخرة ، وللحق من خيْر الدنيا ، ويتضمن بشارة برضى الله عنهم ، ووعداً بأن الله مكمل لهم ما يتطلبونه من خير."(٢٢٣)

لم يتحدث هنا أيٌّ من الرازي ، والبقاعي -رحمهما الله- عن مناسبة الافتتاح بهذه الآية ، وذكر البقاعي عند هذه الآية المناسبة بينها وبين خاتمة سورة الحج ، وهذا النوع من المناسبات لا يراه ابن عاشور فاكتفيت بذكر قول ابن عاشور في مناسبة الافتتاح .

٢. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ المؤمنون: ١٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"الواو عاطفة غرضاً على غرض ، ويسمى عطف القصّة على القصّة ، فللجملة حكم الاستئناف ، لأنها عطف على جملة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ المؤمنون: ١ ؛ التي هي ابتدائية ، وهذا شروع في الاستدلال على انفراد الله

---

(٢٢٣) التحرير والتنوير ٨/١٨ .

تعالى بالخلق ، وبعظيم القدرة التي لا يشاركه فيها غيره ، وعلى أن الإنسان مربوب لله تعالى وحده ، والاعتبار بما في خلق الإنسان ، وغيره من دلائل القدرة ، ومن عظيم النعمة ، فالمقصود منه إبطال الشرك ؛ لأن ذلك الأصل الأصيل في ضلال المعرضين عن الدعوة المحمدية .

ويتضمن ذلك امتناناً على الناس بأنه أخرجهم من مهانة العدم ، إلى شرف الوجود ، وذلك كله ليَظهر الفرق بين فريق المؤمنين ؛ الذين جَروا في إيمانهم على ما يليق بالاعتراف بذلك ، وبين فريق المشركين ؛ الذين سلكوا طريقاً غير بينة ، فحادوا عن مقتضى الشكر بالشرك .

وتأكيد الخبر بلام القسم ، وحرف التحقيق ، مراعىً فيه التعريض بالمشركين المترّلين منـ .زلة من ينكر هذا الخبر ؛ لعدم جريهم على موجب العلم."[224]

وقال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أنه سبحانه لما أمر بالعبادات في الآية المتقدمة ، والاشتغال بعبادة الله ؛ لا يصح إلا بعد معرفة الإله الخالق ، لا جرم عقبها بذكر ما يدل على وجوده ، واتصافه بصفات الجلال ، والوحدانية ، فذكر من الدلائل أنواعاً."[225]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما كان التقدير : فلقد حكمنا ببعث جميع العباد بعد الممات ، فريقاً منهم إلى النعيم ، وفريقاً إلى الجحيم ، فإنا قادرون على الإعادة ، وإن تمزقتم وصرتم تراباً ، فإنه تراب له أصل في الحياة ، كما قدرنا على البداءة ، فلقد خلقنا أباكم آدم من تراب الأرض قبل أن يكون للتراب أصل في الحياة ، عطف عليه قوله ، دلالة على هذا المقدر ، واستدلالاً على البعث ، مظهراً له في مقام العظمة ، مؤكداً إقامة لهم بإنكارهم للبعث مقام المنكرين ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾."[226]

([224]) التحرير والتنوير ٢١/١٨ .

([225]) التفسير الكبير ٢٦٤/٨ .

([226]) نظم الدرر ١٨٦/٥ .

حاصل المناسبات واحد ، والمعاني متقاربة ، وهي معرفة الله الإله الحـ ق ، وأنه المتفرد بالخلق ، الذي أحسن كل شيء خلقه ، فهو القادر على البعث بعد البلى ، لا يعجزه شيءٌ في الأرض ، ولا في السماء .

والعبارات التي ذكرها ابن عاشور في حديثه أبلغ وأجمل ، وأوسع في ذكره للمناسبة .

٣. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ المؤمنون: ١٧ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"انتقال من الاستدلال بخلق الإنسان إلى الاستدلال بخلق العوالم العلوية ، لأن أمرها أعجب ، وإن كان خلق الإنسان إلى نظره أقرب ، فالجملة عطف على جملة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ المؤمنون: ١٢ ، وإنما ذكر هذا عقب قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ المؤمنون: ١٦ ، للتنبيه على أن الذي خلق هذا العالم العلوي ؛ ما خلقه إلاّ لحكمة ، وأن الحكيم لا يهمل ثواب الصالحين على حسناتهم ، ولا جزاء المسيئين على سيئاتهم ، وأنّ جعْله تلك الطرائق فوقنا بحيث نراها ؛ ليدلنا على أن لها صلة بنا ، لأن عالم الجزاء كائن فيها ، ومخلوقاته مُستقرة فيها ، فالإشارة بهذا الترتيب ، مثل الإشارة بعكسه في قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الدخان: ٣٨ - ٤٠."[٢٢٧]

([٢٢٧]) التحرير والتنوير ٢٦/١٨ .

وقال البقاعي –رحمه الله- :"ولما بيَّن لهم أنَّ فِكْرَهُم فيهم يكفيهم ، ولاعتقاد البعث يعنيهم ، أتبعه دليلاً آخر بالتذكير بخلق ما هو أكبر منهم ، وبتدبيرهم بخلقه ، وخلق ما فيه من المنافع لاستبقائهم ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ ﴾."[228]

لا فرق هنا بين المناسبتين ، والمعنى واحد .

٤. قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١٨ .

قال ابن عاشور –رحمه الله- :"مناسبة عطف إنزال ماء المطر على جملة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ﴾ المؤمنون: ١٧ ، أن ماء المطر ينـزل من صوب السماء ، أي : من جهة السماء .

وفي إنزال ماء المطر دلالة على سعة العلم ، ودقيق القدرة ، وفي ذلك أيضاً مِنَّةٌ على الخلق ، فالكلام اعتبارٌ وامتنان من قوله : ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ ﴾ إلى آخره."[229]

وقال البقاعي –رحمه الله- :"ولما ساق سبحانه هذين الدليلين على القدرة على البعث ، أتبعهما بما هو من جنسهما ، ومُشَاكِل للأول منهما ، وهو مع ذلك دليل على ختام الثاني ؛ من أنه من أجلّ النعم التي يجب شكرها ، فقال : ﴿ وَأَنزَلْنَا ﴾."[230]

القول في المناسبتين واحد ، والمعنى متحد ، وقول البقاعي أجمل في ذكر المناسبة ، وكان ربطه للمناسبة أوسع من ابن عاشور ولا يلغي هذا قوله ؛ فقوله قوي وجميل .

([228]) نظم الدرر ٥/١٨٩ .

([229]) التحرير والتنوير ١٨/٢٨ .

([230]) نظم الدرر ٥/١٩٠ .

٥. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ المؤمنون: ٢٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما كان الاستدلال والامتنان اللذان تقدما ؛ موجهيْن إلى المشركين الذين كفروا بالنبي ﷺ ، واعتلوا لذلك بأنهم لا يؤمنون برسالة بشر مثْلهم ، وسألوا إنزال ملائكة ، ووسموا الرسول عليه الصلاة والسلام بالجنون ، فلما شابهوا بذلك قوم نوح ، ومن جاء بعدهم ، ناسب أن يضرب لهم بقوم نوح مثلٌ ؛ تحذيراً مما أصاب قوم نوح من العذاب ، وقد جرى في أثناء الاستدلال والامتنان ؛ ذكر الحمل في الفلك ، فكان ذلك مناسبة للانتقال ، فحصل بذلك حسن التخلص ، فيعتبر ذكر قصص الرسل ؛ إما استطراداً في خلال الاستدلال على الوحدانيَّة ، وإمَّا انتقالاً كما سيأتي عند قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾.

وتصدير الجملة بلام القسم ؛ تأكيد للمضمون التهديدي من القصة ، فالمعنى تأكيد الإرسال إلى نوح وما عُقِّب به ذلك .

وعطف مقالة نوح على جملة إرساله بفاء التعقيب ، لإفادة أدائه رسالة ربه بالفور من أمْره ، وهو شأن الامتثال."(٢٣١)

وقال الرازي -رحمه الله- :"واعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد ، أردفها بالقصص ، كما هو العادة في سائر السور ، وهي ههنا."(٢٣٢)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان التقدير : فلقد حملنا نوحاً ومن أردنا ممن آمن به من أولاده ، وأهله ، وغيرهم على الفلك ، وأغرقنا من عانده من أهل الأرض قاطبة بقدرتنا ، ونصرناه عليهم بعد ضعفه عنهم بأيدينا ، وقوتنا ، وجعلناه وذريته هم

---

(٢٣١) التحرير والتنوير ١٨/٤٠ .

(٢٣٢) التفسير الكبير ٨/٢٧٠ .

الوارثين ، وكنتم ذرية في أصلابهم ، وكثرناهم حتى ملأنا منهم الأرض ، دلالة على ما قدمنا من تفردنا كما أجرينا عادة هذا الكتاب الكريم ، بذكر عظيم البطش بعد أدلة التوحيد ، وأتبعناه بعده الرسل الذين سمعتم بهم ، وعرفتم بعض أخبارهم ، يا من أنكر الآن رسالة البشر ، لإنكار رسالة هذا النبي الكريم ، عطف عليه يهدد بإهلاك الماضين ، للرجوع عن الكفر ، ويذكر بنعمة النجاة للإقبال على الشكر ، ويسلي هذا النبي الكريم ومن معه من المؤمنين ؛ لمن كُذِّبَ قبله من النبيين ، وأوذي من أتباعهم ، ويدل على أنه يفضل من عباده من يشاء بالرسالة ، كما فضل طينة الإنسان على سائر الطين ، وعلى أن الفلاح بالإرث والحياة الطيبة في الدارين ؛ مخصوص بالمؤمنين كما ذكر أول السورة ، فذكر نوحاً لأن قصته أشهر القصص ، ولأن قومه كانوا ملء الأرض ، ولم تغن عنهم كثرتهم ، ولا نفعتهم قوتهم ، ولأنه الأب الثاني بعد الأب الأول المشار إليه بالطين ، ولأن نجاته ونجاة المؤمنين معه كانت بالفلك المختوم به الآية قبله."[٢٣٣]

المناسبة التي ذكرها البقاعي أفضل ، وذلك لحسن الرابط الذي اختاره بين الآيتين، ولا يلغي ذلك قول ابن عاشور ، فهو قد ذكر مناسبة حسنة ، غير أن الرابط الذي ذكره لم يأخذه عن الآيات السابقات ، وإنما من الفهم العام لإيراد الآيات ، والذي يعد غرضاً من الأغراض المسوقة في هذه السورة.

٦. قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ المؤمنون: ٢٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف بياني ، لأن ما حكي عن صدهم الناس عن تصديق دعوة نوح ، وما لفقوه من البهتان في نسبته إلى الجنون ، مما يثير سؤال مَن يسأل عن ماذا صنع نوح حين كذّبه قومه ، فيجاب بأنه قال : ﴿ رَبِّ ٱنصُرْنِي بِمَا

([٢٣٣]) نظم الدرر ١٩٤/٥ .

﴿ كَذَّبُونِ ﴾."[234]

ابن عاشور هنا لم يأت بجديد ، فهو ينقل عن البقاعي .

قال البقاعي -رحمه الله- :"فكأنه قيل : فما قال؟ فقيل : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴾."[235]

٧. قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴾ المؤمنون: ٣١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"تعقيب قصة نوح وقومه ؛ بقصة رسول آخر ، أي: أخرى ، وما بعدها من القصص يراد منه ؛ أن ما أصاب قوم نوح على تكذيبهم له لم يكن صدفة ، ولكنه سنة الله في المكذبين لرسله ، ولذلك لم يعيَّن القرن ، ولا القرون بأسمائهم .

والقرن : الأمة ، والأظهر أن المراد به هنا ثمود ، لأنه الذي يناسبه قوله في آخر القصة ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ ﴾ المؤمنون: ٤١ ، لأن ثمود أُهلكوا بالصاعقة ، ولقوله : ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾ المؤمنون: ٤٠، مع قوله في سورة الحجر : ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴾ الحجر: ٨٣ ، فكان هلاكهم في الصباح ، ولعل تخصيصهم بالذكر هنا دون عاد ، خلافاً لما تكرر في غير هذه الآية ، لأن العبرة بحالهم أظهر لبقاء آثار ديارهم بالحِجر كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧

([234]) التحرير والتنوير ١٨/٤٥ .

([235]) نظم الدرر ٥/١٩٦ .

﴿وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الصافات: ١٣٧ - ١٣٨."(٢٣٦)

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن هذه القصة هي قصة هود عليه السلام في قول ابن عباس { ، وأكثر المفسرين ، واحتجوا عليه بحكاية الله تعالى قول هود : ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ الأعراف: ٦٩ ، ومجيء قصة هود ، عقيب قصة نوح في سورة الأعراف ، وسورة هود ، والشعراء ، وقال بعضهم المراد بهم صالح وثمود ، لأن قومه الذين كذبوه ؛ هم الذين هلكوا بالصيحة."(٢٣٧)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بين سبحانه وتعالى تكذيبهم ، وما عذبهم به ، وكان القياس موجباً ، لأن من يأتي بعدهم يخشى مثل مصرعهم ، فيسلك غير سبيلهم ، ويقول غير قيلهم ، بين أنه لم تنفعهم العبرة ، فارتكبوا مثل أحوالهم ، وزادوا على أقوالهم، وأفعالهم ، لإرادة ذلك من الفاعل المختار ، الواحد القهار ، وأيضاً فإنه لما كان المقصود – مع التهديد والدلالة على القدرة ، والاختيار – الدلالة على تخصيص المؤمنين بالفلاح ، والبقاء بعد الأعداء ، وكان إهلاك المترفين أدل على ذلك ، اقتصر على ذكرهم وأبهمهم ؛ ليصح تنـ.ـزيل قصتهم على كل من ادعى فيهم الإتراف من الكفرة ، ويترجح إرادة عاد لما أعطوا مع ذلك من قوة الأبدان ، وعظم الأجسام ، وبذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ، وإرادة ثمود لما في الشعراء والقمر ، مما يشابه بعض قولهم هنا ، وللتعبير عن عذابهم بالصيحة ، ولموافقتهم لقوم نوح في تعليل ردهم بكونه بشراً ، وطوى الإخبار عمن بعدهم بغير التكذيب ، والإهلاك لعدم الحاجة إلى ذكر شيء غيره ، فقال : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا ﴾."(٢٣٨)

قول ابن عاشور في المناسبة قريب من قول البقاعي ، وزاد البقاعي على أن إهلاك المكذبين سنة وعبرة ، أن فيه الدلالة على تخصيص المؤمنين بالفلاح ، والبقاء بعد الأعداء.

---

(٢٣٦) التحرير والتنوير ٤٩/١٨ .

(٢٣٧) التفسير الكبير ٢٧٥/٨ .

(٢٣٨) نظم الدرر ١٩٨/٥ .

ثم إن المفسرين اختلفوا في تعيين المراد بالأمة ، وهذه الأقوال هي من ذكر المناسبة، فالنظر للقصص في السور المختلفة ، وربطها بهذه القصة ، ومواقعها ، وسياق الآيات ، وغير ذلك ، كل هذا يعد ذكراً لنوع من أنواع المناسبة .

والذي يتبيَّن والله أعلم ، أن هذه القصة ؛ هي قصة هود عليه السلام ، لأن جمهور المفسرين على ذلك ، وابن عباس رضي الله عنه الذي عُلِّمَ التأويل هو من قال ذلك ، مع ما ذكره البقاعي من المطابقة في ما ذكر من قصة عادٍ قوم هود في سورتي الشعراء والقمر .

٨. قال تعالى : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ المؤمنون: ٤٣.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ معترضة بين المتعاطفة ، وهي استئناف بياني لما يؤذن به قوله : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ﴾ من كثرتها ، ولا يؤذن به وصفهم بـ. ﴿ ءَاخَرِينَ ﴾ من جهل الناس بهم ، ولما يؤذن به عطف جملة ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ المؤمنون: ٤٤ ؛ من انقراض هذه القرون بعد الأمة التي ذكرت قصتها آنفاً في قوله : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾ ؛ دون أن تجيئهم رسل ، فكان ذلك كله مما يثير سؤال سائل عن مدة تعميرهم ، ووقت انقراضهم ، فيجاب بالإجمال ، لأن لكل قرن منهم أجلاً ، عيَّنه الله يبقى إلى مثله ثم ينقرض ويخلفه قرن آخر يأتي بعده ، أو يعمِّر بعده قرن كان معاصراً له ، وأن ما عيِّن لكل قرن لا يتقدمه ، ولا يتأخر عنه كقوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ يونس: ٤٩."[٢٣٩]

وقال الرازي -رحمه الله- :"أما قوله : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ ، فيحتمل في هذا الأجل ، أن يكون المراد آجال حياتها وتكليفها ، ويحتمل آجال موتها

([٢٣٩]) التحرير والتنوير ٦٠/١٨ .

وهلاكها ، وإن كان الأظهر في الأجل إذا أطلق أن يراد به وقت الموت ، فبين أن كل أمة لها آجال مكتوبة في الحياة والموت لا يتقدم ولا يتأخر ، منبهاً بذلك على أنه عالم بالأشياء قبل كونها ، فلا توجد إلا على وفق العلم ، ونظيره قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ نوح: ٤."[٢٤٠]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ثم أخبر بأنه لم يعجل على أحد منهم قبل الأجل الذي حده له بقوله : ﴿مَا تَسْبِقُ﴾ ، ولعله عبر بالمضارع إشارة إلى أنه ما كان شيء من ذلك ولا يكون ، وأشار إلى الاستغراق بقوله : ﴿مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ أي : الذي قدرناه لهلاكها ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنه."[٢٤١]

الذي ذهب إليه ابن عاشور في الجواب عن السؤال المثار ، هو عين قول الرازي في تفسيره للآية ، وهو ما ذهب إليه البقاعي أيضاً .

و لم ينص على ذكر المناسبة غير ابن عاشور ، الذي قال أن الآية عبارة عن جواب لسؤال يثار عن مدة تعميرهم ، ووقت انقراضهم ، وكان قول الرازي والبقاعي تفسيراً للآية .

٩. قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ المؤمنون: ٥١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"يتعيَّن تقدير قول محذوف اكتفاء بالمقول ، وهو استئناف ابتدائي ، أي قلنا : يا أيها الرسل كلوا ، والمحكي هنا حكي بالمعنى ، لأن الخطاب المذكور هنا لم يكن موجهاً للرسل في وقت واحد ؛ بضرورة اختلاف

([٢٤٠]) التفسير الكبير ٢٧٧/٨ .

([٢٤١]) نظم الدرر ٢٠١/٥ .

عصورهم، فالتقدير : قلنا لكل رسول مِمَّنْ مضَى ذكرُهم ؛ كُلْ من الطيبات ، واعمل صالحاً ، إني بما تعمل عليم .

وذلك على طريقة التوزيع لمدلول الكلام ، وهي شائعة في خطاب الجماعات ، ومنه : ركب القوم دوابَّهم .

والغرض من هذا بيان كرامة الرسل عند الله ، ونزاهتهم في أمورهم الجسمانيَّة والروحانيَّة ، فالأكل من الطيبات نزاهة جسميَّة ، والعمل الصالح نزاهة نفسانيَّة .

والمناسبة لهذا الاستئناف هي قوله : ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ المؤمنون: ٥٠ ، وليحصل من ذلك الرد على اعتقاد الأقوام المعلّلين تكذيبهم رسلهم ؛ بعلة أنهم يأكلون الطعام كما قال تعالى في الآية السابقة : ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ المؤمنون: ٣٣ ، وقال : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ الفرقان: ٧ ، وليبطل بذلك ما ابتدعه النصارى من الرهبانيَّة ، وهذه فوائد من الاستدلال والتعليم ، كان لها في هذا المكان الوقع العظيم ".[٢٤٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بين أن عيسى عليه السلام على منهاج إخوانه من الرسل في الأكل والعبادة وجميع الأحوال ، زاد في تحقيق ذلك بياناً لمن ضل بأن اعتقد فيه ما لا يليق به ، فقال مخاطباً لجميعهم بعد إهلاك من عاندهم من قومهم ؛ على وجه يشمل ما قبل ذلك ، رداً لمن جعله موجباً لإنكار الرسالة ، وتبكيتاً لمن ابتدع الرهبانية من أمة عيسى عليه السلام ؛ إعلاماً بأن كل رسول قيل له معنى هذا الكلام فعمل به ، فكانوا كأنهم نودوا به في وقت واحد ، فعبر بالجمع ليكون أفخم له ، فيكون أدعى لقبوله :

---

(٢٤٢) التحرير والتنوير ٦٨/١٨ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾ من عيسى وغيره ﴿ كُلُوا۟ ﴾ أنتم ومن نجيناه معكم بعد إهلاك المكذبين."[243]

القول الذي ذكر ابن عاشور في ذكر المناسبة هنا ، استفاده من قول الرازي في تفسيره للآية[244].

ولا اختلاف بين ما ذكره ابن عاشور ، وما ذكره البقاعي ، فالمعنى واحد ، إلا أن ابن عاشور زاد في حديثه ذكر الغرض من هذه الآية ، وَذَكَرَ أن الآية استئناف ابتدائي، في حين أن البقاعي ذَكَرَ أن الآية من باب التأكيد ؛ زيادةً في التحقيق .

١٠. قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ المؤمنون: ٥٧ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"هذا الكلام مقابل ما تضمنته الغمرة من قوله : ﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ ﴾ المؤمنون: ٥٤ ؛ من الإعراض عن عبادة الله ، وعن التصديق بآياته ، ومن إشراكهم آلهة مع الله ، ومن شحهم عن الضعفاء ، وإنفاق مالهم في اللذات، ومن تكذيبهم بالبعث ، كل ذلك مما شملته الغمرة ، فجيء في مقابلها بذكر أحوال المؤمنين ، ثناءً عليهم ، ألا ترى إلى قوله بعد هذا : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾ المؤمنون: ٦٣.

فكانت هذه الجملة كالتفصيل لإجمال الغمرة ؛ مع إفادة المقابلة بأحوال المؤمنين ، واختير أن يكون التفصيل بذكر المقابل ؛ لحسن تلك الصفات ، وقبح أضدادها ، تنـزيهاً للذكر عن تعداد رذائلهم ، فحصل بهذا إيجاز بديع ، وطباق من ألطف البديع ، وصون للفصاحة من كراهة الوصف الشنيع."[245]

---

(٢٤٣) نظم الدرر ٥/٢٠٦ .

(٢٤٤) ينظر التفسير الكبير ٨/٢٨٠ .

(٢٤٥) التحرير والتنوير ١٨/٧٦ .

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما ذم من تقدم ذكره بقوله : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ ثم قال : ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ بيَّن بعده صفات من يسارع في الخيرات ، ويشعر بذلك."[٢٤٦]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر أهل الافتراق ، أتبعهم أهل النفاق ، فكان كأنه قيل : فمن الذي يكون له الخيرات؟ فأجيب بأنه الخائف من الله ، فقيل معبراً بما يناسب أول السورة من الأوصاف ، بادئاً بالخشية لأنها الحاملة على تجديد الإيمان."[٢٤٧]

الاختلاف في هذه المناسبة اختلاف في الأسلوب والعبارات ، فالقول واحد ، والمعنى متفق .

١١. قال تعالى : ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ المؤمنون: ٦٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"تذييل لما تقدم من أحوال الذين من خشية ربهم مشفقون ، لأنه لما ذكر ما اقتضى مخالفة المشركين لما أمروا به من توحيد الدين ، وذكر بعده ما دل على تقوى المؤمنين بالخشية ، وصحة الإيمان ، والبذل ، ومسارعتهم في الخيرات ، ذيَّل ذلك بأن الله ما طلب من الذين تقطعوا أمرهم ؛ إلا تكليفاً لا يشق عليهم، وبأن الله عذر من المؤمنين من لم يبلغوا مبلغ من يفوقهم في الأعمال ؛ عذراً يقتضي اعتبار أجرهم على ما فاتهم ، إذا بذلوا غاية وسعهم . قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى

([٢٤٦]) التفسير الكبير ٢٨٢/٨ .

([٢٤٧]) نظم الدرر ٢٠٩/٥ .

ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾التوبة: ٩١."[٢٤٨]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما ذكر كيفية أعمال المؤمنين المخلصين ، ذكر حكمين من أحكام أعمال العباد."[٢٤٩]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ وَلَا ﴾ أي : والحال أنَّا لا نكلفهم ، ولكنه عم فقال : ﴿ نُكَلِّفُ نَفْسًا ﴾ أي : كافرة ومؤمنة ﴿ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ فلا يقدر عاص على أن يقول : كنت غير قادر على الطاعة ، ولا يظن بنا مؤمن أنَّا نؤاخذه بالزلة ، والهفوة ، فإن أحداً لا يستطيع أن يقدرنا حق قدرنا ، لأن مبنى المخلوق على العجز."[٢٥٠]

ذكر ابن عاشور أن الآية تذييل لما قبلها حتى لا يكونوا كالذين تقطعوا أمرهم ، فقد أمروا بما يطيقون فعصوا ، وهو عذرٌ من الله للمؤمنين ، فالله يعطي الأجر كاملاً لمن بذل غاية جهده دون تقصير .

وقول الرازي أن الآية لبيان حكمين من أعمال العباد .

والتفسير الذي ذكره البقاعي أوسع ، وأعم ، وكلٌّ حسن .

فابن عاشور نظر للآيات القريبة التي قبل هذه الآية ، في حين أن الرازي نظر للآية من منظور فقهي ، أما البقاعي وإن كان قوله أقرب إلى التفسير فقد نظر لعموم الآيات السابقات ، فشملت الآية الكافر المكذب ، بقوله :"فلا يقدر عاصٍ" ، وشملت المؤمنين المذكورين في الآيات التي سبقت هذه الآية في قوله :"ولا يظن بنا مؤمن".

([٢٤٨]) التحرير والتنوير ١٨/٧٨ .

([٢٤٩]) التفسير الكبير ٨/٢٨٤ .

([٢٥٠]) نظم الدرر ٥/٢١٠ .

١٢. قال تعالى : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون: ٩٦ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"لما أنبأ الله رسوله ﷺ بما يلمح له بأنه منجز وعيده من الذين كذبوه ، فعلم الرسول والمسلمون أن الله ضمن لهم النصر ؛ أعقب ذلك بأن أمره بأن يدفع مكذبيه بالتي هي أحسن ، وأن لا يضيق بتكذيبهم صدره ، فذلك دفع السيئة بالحسنة ، كما هو أدب الإسلام."(٢٥١)

وقال الرازي –رحمه الله– :"أما قوله : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ المؤمنون: ٩٦ ، فالمراد منه أن الأولى به عليه السلام أن يعامل به الكفار ، فأمر باحتمال ما يكون منهم من التكذيب وضروب الأذى ، وأن يدفعه بالكلام الجميل كالسلام ، وبيان الأدلة على أحسن الوجوه ، وبيَّن له أنه أعلم بحالهم منه عليه السلام ، وأنه سبحانه لما لم يقطع نعمه عنهم ، فينبغي أن يكون هو عليه السلام مواظباً على هذه الطريقة ، قال صاحب «الكشاف»(٢٥٢) قوله : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ المؤمنون: ٩٦ ؛ أبلغ من أن يقال بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل ، والمعنى الصفح عن إساءتهم ، ومقابلتها بما أمكن من الإحسان ، حتى إذا اجتمع الصفح ، والإحسان ، وبذل الطاقة فيه، كانت حسنة مضاعفة بإزاء السيئة .

وقيل هذه الآية منسوخة بآية السيف ، وقيل محكمة ، لأن المداراة محثوث عليها ما لم تؤدِّ إلى نقصان دين ، أو مروءة."(٢٥٣)

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما لاح من هذا أن أخذهم وتأخيرهم في الإمكان على حد سواء ، وكانوا يقولون ويفعلون ما لا صبر عليه ؛ إلا بمعونة من الله ، كان كأنه

---

(٢٥١) التحرير والتنوير ١١٩/١٨ .

(٢٥٢) للزمخشري ٢٠٣/٣ .

(٢٥٣) التفسير الكبير ٢٩١/٨ .

قال : فماذا أفعل فيما تعلم من أمرهم؟ فقال آمراً له بمداواته : ﴿ ٱدۡفَعۡ ﴾ ، وفخم الأمر بالموصول ؛ لما فيه من الإيهام المشوق للبيان ، ثم بأفعل التفضيل فقال : ﴿ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ أي : من الأقوال والأفعال بالصفح ، والمداراة ﴿ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ ثم خفف عنه ما يجد من ثقلها بقوله : ﴿ نَحۡنُ أَعۡلَمُ ﴾ أي : من كل عالم ﴿ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ في حقك ، وحقنا ، فلو شئنا منعناهم منه ، أو عاجلناهم بالعذاب ، وليس أحد بأغير منا ، فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ."[٢٥٤]

قول ابن عاشور هنا استفاده من قول الرازي ، والبقاعي ، فهو عبارة عن تلخيص لقول سابقيه ، والله أعلم .

([٢٥٤]) نظم الدرر ٥/٢٢١ .



المطلب الأول : أغراض السوره

المطلب الثاني : مناسبات الآيات



- **اسم السورة** : سورة النور ، ولم يرد لها اسم آخر .
- **نوعها** : مدنية .
- **ترتيبها في المصحف** : الرابعة والعشرون .
- **عدد آياتها** : ستون وآيتان ، وقيل ثلاث ، وقيل أربع .[٢٥٥]
- **نظيرها في العدد** : لا نظير لها في عدد آياتها .

---

(٢٥٥) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ص١٩٣ ؛ ومرشد الخلان إلى معرفة عد آي القرآن لعبدالرزاق موسى ص١٢٢ .

أغراض سورة النور

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"شملت من الأغراض كثيراً من أحكام معاشرة الرجال للنساء ، ومن آداب الخُلْطَةِ ، والزيارة .

وأول ما نزلت بسببه ؛ قضية التزوج بامرأةٍ اشتهرت بالزنى ، وصُدِّر ذلك ببيان حد الزنى ، وعقاب اللذين يقذفون المحصنات ، وحكم اللعان .

والتعرض إلى براءة عائشة < ، مما أرجفه عليها أهل النفاق ، وعقابهم ، والذين شاركوهم في التحدث به .

والزجر عن حب إشاعة الفواحش بين المؤمنين والمؤمنات ، والأمر بالصفح عن الأذى ، مع الإشارة إلى قضية مِسْطَح بن أُثاثة[٢٥٦] .

وأحكام الاستئذان في الدخول إلى بيوت الناس المسكونة ، ودخول البيوت غير المسكونة .

وآداب المسلمين والمسلمات في المخالطة ؛ وإفشاء السلام .

والتحريض على تزويج العبيد ، والإماء ، والتحريض على مكاتبتهم ؛ أي : إعتاقهم على عوض يدفعونه لمالكيهم .

وتحريم البغاء الذي كان شائعا في الجاهلية ، والأمر بالعفاف .

---

(٢٥٦) مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي المطلبي ﷺ ، كان اسمه عوفا ، وأما مسطح فهو لقبه ، وأمه بنت خالة أبي بكر ﷺ ، أسلمت وأسلم أبوها قديما ، شهد مسطح بدراً ، وكان ممن خاض في الإفك على عائشة ﷺ ، وكان أبو بكر ﷺ ينفق عليه ، فأقسم أن لا ينفق عليه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ النور: ٢٢، فعاد أبو بكر ﷺ ينفق عليه ، ومات مسطح سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان ، ويقال عاش إلى خلافة علي ، وشهد معه صفين ، ومات في تلك السنة سنة سبع وثلاثين .[ينظر أسد الغابة لابن الأثير ٣٨٠/٤ ؛ والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٩٣/٦] .

وذم أحوال أهل النفاق ، والإشارة إلى سوء طويتهم مع النبي ﷺ .

والتحذير من الوقوع في حبائل الشيطان .

وضرب المثل لهدي الإيمان ، وضلال الكفر .

والتنويه ببيوت العبادة ، والقائمين فيها .

وتخلل ذلك وصف عظمة الله تعالى ، وبدائع مصنوعاته ، وما فيها من منن على الناس .

وقد أردف ذلك بوصف ما أعده الله للمؤمنين ، وأن الله علم بما يضمره ك.ل أحد ، وأن المرجع إليه والجزاء بيده ."[٢٥٧]

([٢٥٧]) التحرير والتنوير ١٨/ ١٤٠ .

١٣. قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ النور:١٠.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وفي ذكر وصف «الحكيم» هنا ؛ مع وصف ﴿ تَوَّابٌ ﴾ ، إشارة إلى أن في هذه التوبة حكمة ، وهي استصلاح الناس ."[٢٥٨]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ تَوَّابٌ ﴾ أي : رجاع بالعصاة إليه ، ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يحكم الأمور ، فيمنعها من الفساد ؛ بما يعلم من عواقب الأمور لفضح كل عاص ، ولم يوجب أربعة شهداء ستراً لكم ، ولأمر بعقوبته بما توجبه معصيته ، ففسد نظامكم ، واختل نقضكم وإبرامكم ، ونحو ذلك مما لا يبلغ وصفه ، فتذهب النفس فيه كل مذهب ، فهو كما قالوا : رب مسكوت عنه ؛ أبلغ من منطوق به ، ثم علل ما اقتضته ﴿ وَلَوْلَا ﴾ من نحو : ولكنه لم يفعل ذلك إفضالا عليكم ورحمة لكم ، بقوله على وجه التأكيد ، لما عرف من حال كثير ممن غضب لله ولرسوله ؛ من إرادة العقوبة للآفكين بضرب الأعناق ، منبهاً لهم على أن ذلك يجر إلى مفسدة كبيرة."[٢٥٩]

المناسبة التي ذكرها البقاعي هنا في تذييل الآية ، أبلغ إلى القلوب من حديث ابن عاشور ، وكان ربط البقاعي للآية شاملاً للآيات السابقات ، مبيناً مدى روعة الختم بهذين الوصفين ، في أن الله هو التواب الحكيم .

ولم يتطرق الرازي -رحمه الله- في حديثه عند تفسير هذه الآية من ذلك بشيء .

---

(٢٥٨) التحرير والتنوير ١٦٩/١٨ .

(٢٥٩) نظم الدرر ٢٣٩/٥ .

١٤. قال تعالى : ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النور: ١٨.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"ومناسبة التذكير بصفتي العلم ، والحكمة ظاهرة."[٢٦٠]

وقال الرازي -رحمه الله- :"ثم بين أنه لكونه عليماً حكيماً ، يؤثر بما يجب أن يبينه ، ويجب أن يطاع لأجل ذلك ؛ لأن من لا يكون عالماً لا يجب قبول تكليفه ؛ لأنه قد يأمر بما لا ينبغي ، ولأن المكلف إذا أطاعه فقد لا يعلم أنه أطاعه ، وحينئذ لا يبقى للطاعة فائدة ، وأما من كان عالماً ، لكنه لا يكون حكيماً ، فقد يأمره بما لا ينبغي ، فإذا أطاعه المكلف ، فقد يعذب المطيع ، وقد يثيب العاصي ، وحينئذ لا يبقى للطاعة فائدة ، وأما إذا كان عليماً حكيماً ، فإنه لا يأمر إلا بما ينبغي ، ولا يهمل جزاء المستحقين ، فلهذا ذكر هاتين الصفتين ، وخصهما بالذكر."[٢٦١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿عَلِيمٌ﴾ فثقوا ببيانه ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يضع شيئاً إلا في أحكم مواضعه ؛ وإن دق عليكم فهم ذلك ، فلا تتوقفوا في أمر من أوامره ، واعلموا أنه لم يختر لنبيه ﷺ ؛ إلا الخلص من عباده على حسب منازلهم عنده وقربهم من قلبه."[٢٦٢]

قول البقاعي تلخيص لقول الرازي ، والربط الذي ذكره البقـاعي في اختيـار الخلص من عباده لنبيه ﷺ ، قول حسن .

١٥. قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النور: ١٩ .

---

(٢٦٠) التحرير والتنوير ١٨٣/١٨ .

(٢٦١) التفسير الكبير ٣٤٤/٨ .

(٢٦٢) نظم الدرر ٢٤٥/٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما حذر الله المؤمنين من العود إلى مثل ما خاضوا به من الإفك ؛ على جميع أزمنة المستقبل ، أعقب تحذيرهم بالوعيد على ما عسى أن يصدر منهم في المستقبل ، بالوعيد على محبة شيوع الفاحشة في المؤمنين ، فالجملة استئناف ابتدائي ، واسم الموصول يعم كل من يتصف بمضمون الصلة ، فيعم المؤمنين ، والمنافقين ، والمشركين ، فهو تحذير للمؤمنين ، وإخبار عن المنافقين ، والمشركين."[263]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما بين ما على أهل الإفك ، وما على من سمع منهم ، وما ينبغي أن يتمسكوا به من آداب الدين ؛ أتبعه بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ ﴾ ، ليعلم أن من أحب ذلك ؛ فقد شارك في هذا الذم ، كما شارك فيه من فعله ومن لم ينكره ، وليُعلم أن أهل الإفك كما عليهم العقوبة فيما أظهروه ، فكذلك يستحقون العقاب ؛ بما أسرُّوه من محبة إشاعة الفاحشة في المؤمنين ، وذلك يدل على وجوب سلامة القلب للمؤمنين ، كوجوب كف الجوارح والقول عما يضر بهم."[264]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان من أعظم الوعظ ؛ بيان ما يستحق على الذنب من العقاب ، أدبهم تأديباً ثالثاً أشد من الأولين ، فقال واعظاً ، ومقبحاً لحال الخائضين في الإفك ، ومحذراً ، ومهدداً : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ ﴾."[265]

قول ابن عاشور هنا كقول سابقيه ، وعبارات الرازي أفضل ، وزاد الرازي في حديثه ؛ أن أهل الإفك يستحقون العقاب ؛ بما أسروه من محبة إشاعة الفاحشة في المؤمنين .

([263]) التحرير والتنوير ١٨/١٨٤ .

([264]) التفسير الكبير ٨/٣٤٥ .

([265]) نظم الدرر ٥/٢٤٥ .

١٦. قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ النور: ٢٠ .

الحديث هنا عن تذييل الآية بقولة تعالى :﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذه ثالث مرة كرر فيها ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ ، وحذف في الأول ، والثالث ، جواب ﴿ وَلَوْلَا ﴾ ؛ لتذهب النفس كل مذهب ممكن في تقديره بحسب المقام .

وقد ذكر في المرة الأولى وصف الله بأنه تواب حكيم للمناسبة المتقدمة ، وذكر هنا بأنه رؤوف رحيم ؛ لأن هذا التنبيه الذي تضمنه التذييل فيه انتشال للأمة من اضطراب عظيم في أخلاقها وآدابها وانفصام عرى وحدتها ، فأنقذها من ذلك رأفة ورحمة لآحادها وجماعتها ، وحفظاً لأواصرها .

وذكر وصف الرأفة والرحمة هنا ؛ لأنه قد تقدمه إنقاذه إياهم من سوء محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، تلك المحبة التي انطوت عليها ضمائر المنافقين ، كان إنقاذ المؤمنين من التخلق بها رأفة بهم من العذاب ، ورحمة لهم بثواب المتاب."[٢٦٦]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ رَءُوفٌ ﴾ بكم في نصب ما يزيل جهلكم ، بما يحفظ من سرائركم ، بإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، ونصب الحدود الزاجرة عن الجهل الحاملة على التقوى التي هي ثمرة العلم ، فإن الرأفة كما تقدم في الحج وغيرها تقيم المرؤوف به ؛ لأنها ألطف الرحمة وأبلغها ، على أقوم سنن ، حتى تحفظ بمسراها في سره ظهور ما يستدعي العفو ، وتارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الأدلة ، وتارة يضم إلى ذلك الفعل بخلق الهداية في القلب ؛ بما للمرؤوف به من الوصلة ؛ بسهولة الانقياد ، وقوة الاستعداد ، ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ بما يثبت لكم من الدرجات ، على ما منحكم به من ثمرات ذلك

---

(٢٦٦) التحرير والتنوير ١٨/١٨٥ .

الحفظ من الأعمال المرضية ، والجواب محذوف تقديره : لترككم في ظلمات الجهل تعمهون ، فثارت بينكم الفتن حتى تفانيتم ، ووصلتم إلى العذاب الدائم بعد الهم اللازم."[٢٦٧]

ذَكَرَ ابن عاشور كلاماً رائعاً أجاد فيه ، وأحسن في ذكر المناسبة ، والرابط .

أما البقاعي فكان ربطه للآية جيداً ، إلا أن عباراته أقرب إلى بيان المعنى من ذكر المناسبة .

١٧. قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٢١ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"هذه الآية نزلت بعد العشر الآيات المتقدمة ، فالجملة استئناف ابتدائي ، ووقوعه عقب الآيات العشر التي في قضية الإفك مشير إلى أن ما تضمنته تلك الآيات من المناهي ، وظنون السوء ، ومحبة شيوع الفاحشة ، كله من وساوس الشيطان ، فشبه حال فاعلها في كونه متلبساً بوسوسة الشيطان ؛ بهيئة الشيطان يمشي ، والعامل بأمره يتبع خطى ذلك الشيطان."[٢٦٨]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما أخبرهم بأنه ما أنـ.ـزل لهم هذا الشرع على لسان هذا الرسول الرؤوف الرحيم إلا رحمة لهم . بعد أن حذرهم موارد الجهل نهاهم عن التمادي فيه ؛ في سياق معلم أن الداعي إليه الشيطان العدو ، فقال ساراً لهم ؛ بالإقبال عليهم بالنداء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾."[٢٦٩]

---

[٢٦٧] نظم الدرر ٥/٢٤٦ .

[٢٦٨] التحرير والتنوير ١٨/١٨٦ .

[٢٦٩] نظم الدرر ٥/٢٤٦ .

ذكر ابن عاشور أن الآية : تشبيه بهيئة الشيطان لمن وقع في وساوس الشيطان في الآيات السابقات .

وقال البقاعي : الآية جيء بها للنهي عن التمادي في المحذورات المذكورة ، فإن الداعي لها هو الشيطان .

والمعنى في المناسبتين واحد ، وهو التحذير من الشيطان ووساوسه ، وسبل غوايته، فهو الدال على كل ضلال .

١٨. قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٢١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"تذييل بين الوعد والوعيد ، أي : سميع لمن يشيع الفاحشة ، عليم بما في نفسه من محبّة إشاعتها ، وسميع لمن ينكر على ذلك ، عليم لما في نفسه من كراهة ذلك ، فيجازي كلاً على عمله .

وإظهار اسم الجلالة فيه ، ليكون التذييل مستقلاً بنفسه ، لأنه مما يجري مجرى المثل."[٢٧٠]

وقال الرازي -رحمه الله- :"فالمراد أنه يسمع أقوالكم في القذف ، وأقوالكم في إثبات البراءة ، عليم بما في قلوبكم من محبة إشاعة الفاحشة ، أو من كراهيتها ، وإذا كان كذلك ، وجب الاحتراز عن معصيته."[٢٧١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ختم الآية بما لا تصح التزكية بدونه فقال : ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ أي : الذي له جميع صفات الكمال ﴿ سَمِيعٌ ﴾ أي : لجميع أقوالهم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بكل ما يخطر في بالهم ، وينشأ عن أحوالهم ، وأفعالهم ، فهو خبير بمن هو أهل للتزكية ، ومن ليس بأهل لها ، فاشكروا الله على تزكيته لكم من الخوض في مثل ما

---

(٢٧٠) التحرير والتنوير ١٨٨/١٨ .

(٢٧١) التفسير الكبير ٣٤٨/٨ .

خاض فيه غيركم ؛ ممن خذله نوعاً من الخذلان ، واصبروا على ذلك منهم ، ولا تقطعوا إحسانكم عنهم ، فإن ذلك يكون زيادة في زكاتكم ، وسبباً لإقبال من علم فيه الخير منهم ، فقبلت توبته ، وغسلت حوبته ، وهذا المراد من قوله : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾."[272]

قول ابن عاشور في المناسبة عبارة عن نقلٍ لقول الرازي ، ولم يأت البقاعي بجديد، إلا أن عباراته أفضل ، كما أنه جمع في الربط ، فنظر للآية المختومة بهذه الصفات، والآية اللاحقة .

١٩. قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النور: ٢٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على جملة : ﴿ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ النور: ٢١ ، عطف خاص على عام للاهتمام به ، لأنه قد يخفى أنه من خطوات الشيطان ، فإن من كيد الشيطان ، أن يأتي بوسوسة في صورة خواطر الخير ؛ إذا علم أن الموسوس إليه من الذين يتوخون البر والطاعة ، وأنه ممن يتعذر عليه ترويج وسوسته ؛ إذا كانت مكشوفة."[273]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى كما أدَّب أهل الإفك ومن سمع كلامهم ، كما قدمنا ذكره ، فكذلك أدَّب أبا بكر ، لما حلف أن لا ينفق على مسطح أبداً."[274]

([272]) نظم الدرر ٢٤٧/٥ .

([273]) التحرير والتنوير ١٨٨/١٨ .

([274]) التفسير الكبير ٣٤٨/٨ .

في هذه المناسبة نظر ابن عاشور إلى العموم المذكور في الآيتين ، وهو خطوات الشيطان ووساوسه ، بينما كانت نظرة الرازي إلى الخاص ، وهو سبب النـزول ، وكان البقاعي قد ذكر الحديث عن هذه الآية ، في ختام الآية السابقة ، وذكر أن الختام بتلك الصفتين تمهيداً لهذه الآية .

ويمكن الجمع هنا فيقال : أنه لما حذر من مكائد الشيطان ، ووساوسه ، وطرقه ، نبه إلى أنه لا يسلم منها أحد ؛ غير من عصمه الله ، ولو سلم منها أحد لسلم منها صدِّيق الأمة وأفضلها ﷺ .

٢٠. قال تعالى : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ النور: ٢٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وعُطف ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ على جملة ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ زيادة في الترغيب في العفو والصفح ، وتطميناً لنفس أبي بكر في حنثه ، وتنبيهاً على الأمر بالتخلق بصفات الله تعالى."[٢٧٥]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان الجواب قطعاً كما أجاب الصديق ﷺ : بلى والله ، إنا لنحب أن يغفر الله لنا ، وكان كأنه قيل : فاغفروا لمن أساء إليكم ، فالله حكم عدل ، يجازيهم على إساءتهم إليكم إن شاء ، والله عليم شكور ، يشكر لكم ما صنعتم إليهم ، عطف عليه قوله : ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ أي : مع قدرته الكاملة ، وعلمه الشامل ﴿ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ من صفته ذلك ، إن شاء يغفر لكم ذنوبكم ؛ بأن يمحوها ؛ فلا يدع لها أثراً ، ويرحمكم بعد محوها ؛ بالفضل عليكم كما فعلتم معهم ، فإن الجزاء من جنس العمل."[٢٧٦]

([٢٧٥]) التحرير والتنوير ١٨/١٩٠ .

([٢٧٦]) نظم الدرر ٥/٢٤٨ .

لا خلاف في ذكر المناسبة ، والمعنى واحد .

٢١. قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ النور: ٢٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"ذكرنا أن من أكبر الأغراض في هذه السورة ، تشريع نظام المعاشرة والمخالطة العائلية في التجاور ، فهذه الآيات استئناف لبيان أحكام التزاور ، وتعليم آداب الاستئذان ، وتحديد ما يحصل المقصود منه ، كيلا يكون الناس مختلفين في كيفيته ؛ على تفاوت اختلاف مداركهم في المقصود منه ، والمفيد."[٢٧٧]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى عدل عما يتصل بالرمي والقذف ، وما يتعلق بهما من الحكم إلى ما يليق به ؛ لأن أهل الإفك إنما وجدوا السبيل إلى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة ، فصارت كأنها طريق التهمة ، فأوجب الله تعالى أن لا يدخل المرء بيت غيره ؛ إلا بعد الاستئذان ، والسلام ؛ لأن في الدخول لا على هذا الوجه وقوع التهمة ، وفي ذلك من المضرة ما لا خفاء به ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾."[٢٧٨]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أنهى سبحانه الأمر في براءة عائشة < ، على هذا الوجه الذي كساها به من الشرف ما كساها ، وحلاها برونقه من مزايا الفضل ما حلاها ، وكأن أهل الإفك قد فتحوا بإفكهم هذا الباب ؛ الظنون السيئة ، عدواة من إبليس لأهل هذا الدين ، بعد أن كانوا في ذلك وفي كثير من سجاياهم - إذ قانعاً منهم بداء الشرك - على الفطرة الأولى ، أمر تعالى رداً لما أثار بوسواسه من الداء ، بالتنـ.زه عن مواقع التهم ، والتلبس بما يحسم الفساد فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾."[٢٧٩]

---

(٢٧٧) التحرير والتنوير ١٩٦/١٨ .

(٢٧٨) التفسير الكبير ٣٥٦/٨ .

(٢٧٩) نظم الدرر ٢٥٢/٥ .

المناسبات متقاربة في المعنى والمقصود واحد وهو التذكير بجملة من الآداب ، وحديث البقاعي أخذه من فهم الرازي للمناسبة ، وصاغه بعباراته مع بعض الزيادة .

والمناسبة التي ذكرها الرازي ، وتبعه في المعنى البقاعي كانت بسبب النظر للآيات السابقات ، وكيفية ربطها بهذه الآية ، في حين أن ابن عاشور جعلها جملة مستأنفة ، فكانت نظرته للآية من جهة الأغراض المذكورة في السورة ، وهو تشريع نظام المعاشرة ، والمخالطة العائلية في التجاور .

وكل حسن فيما ذهب إليه من ذكر المناسبة ، إلا أن قول الرازي ، والبقاعي أولى ، فمتى استطاع المفسر ربط الآية بالآية التي قبلها مباشرة دون تعسف ، أو تكلف ، وكان ذكر المناسبة صحيحاً ، قدمت على غيرها ، مع الملاحظة أن الجمع بين وجوه ذكر المناسبة أولى ، والله أعلم .

٢٢. قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٢٨ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"وقوله : ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ تذييل لهذه الوصايا ، بتذكيرهم بأن الله عليم بأعمالهم ، ليزدجر أهل الإلحاح عن إلحاحهم ؛ بالتثقيل، وليزدجر أهل الحيل ، أو التطلع من الشقوق ونحوها. وهذا تعريض بالوعيد ، لأن في ذلك عصياناً لما أمر الله به ، فعلمه به كناية عن مجازاته فاعليه بما يستحقون."(٢٨٠)

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما كان التقدير : فالله يجازيكم على امتثال أمره ، وكان الإنسان قد يفعل في البيوت الخالية وغيرها من الأمور الخفية ما يخالف ما أدّب به

(٢٨٠) التحرير والتنوير ١٨/٢٠١ .

سبحانه مما صورته مصلحة ، وهو مفسدة ، عطف على ذلك المقدر قوله : ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ أي : الملك الأعلى .

ولما كان المراد المبالغة في العلم ، قدم الجار ليصير كما إذا سألت شخصاً عن علم شيء ، فقال لك : ما أعلم غيره ، فقال : ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي : وإن التبس أمره على أحذق الخلق ، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ لا يخفى عليه شيء منه وإن دق ، فإياكم ومشتبهات الأمور ، فإذا وقفتم للاستئذان فلا تقفوا تجاه الباب ، ولكن على يمينه أو يساره ، لأن الاستئذان إنما جعل من أجل البصر ، وتحاموا النظر إلى الكوى التي قد ينظر منها أحد من أهل البيت ؛ ليعرف من على الباب ، هل هو ممن يؤنس به فيؤذن له ، أو لا ؛ فيُرَد ، ونحو هذا من أشكاله مما لا يخفى على متشرع فطن ، يطير طائر فكره في فسيح ما أشار إليه مثل قوله ﷺ : « إذا حدث الرجل حديثاً فالتفت فهي أمانة »[٢٨١] رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي عن جابر ﷺ ."[٢٨٢]

قول ابن عاشور في المناسبة هو عبارة عن اختصار بليغ شامل لقول البقاعي ، وزاد ابن عاشور ، أن فيه كناية عن مجازات الفاعلين بما يستحقون.

٢٣. قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ النور: ٣٠ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أعقب حكم الاستئذان ، ببيان آداب ما تقتضيه المجالسة بعد الدخول ، وهو أن لا يكون الداخل إلى البيت محدقاً بصره إلى امرأة فيه ، بل

---

(٢٨١) رواه الإمام أحمد واللفظ له في مسند جابر بن عبدالله ، حديث رقم [١٥١٠٤] ، ٣٧٩/٣ ؛ وأبو داود في كتاب الآداب ، باب في نقل الحديث ، حديث رقم [٤٨٦٨] ، ٢٦٧/٤ ؛ ورواه الترمذي في أبواب البر والصلة ، باب ما جاء أن المجالس أمانة ، حديث [١٩٥٩] ، ٣٤١/٤ ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن وإنما نعرفه من حديث ابن أبي ذئب .

(٢٨٢) نظم الدرر ٢٥٣/٥ .

إذا جالسته المرأة غض بصره ، واقتصر على الكلام ، ولا ينظر إليها ؛ إلا النظر الذي يعسر صرفه."[٢٨٣]

وقال البقاعي -رحمه الله- في ذكر المناسبة ، وذلك عند الحديث عن خاتمة الآية السابقة من قوله : ﴿ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ قال :"تحذيراً من أن تزاحموا أحداً في مباح بما يؤذيه ، ويضيق عليه ، معتلين بأصل الإباحة ، أو يؤذن لكم في منـ.زل ؛ فتبطنوا فيه الخيانة ، فإنه وإن وقع الاحتراز من الخونة بالحجاب ، فلا بد من الخلطة لما بني عليه الإنسان من الحاجة إلى العشرة ، ولذلك اتصل به على طريق الاستئناف قوله تعالى ؛ مقبلاً على أعلى خلقه فهماً وأشدهم لنفسه ضبطاً دون بقيتهم ، إشارة إلى صعوبة الأمر، وخطر المقام ، مخوفاً لهم بالإعراض عنهم ، بالتردي برداء الكبر ، والاحتجاب في مقام القهر : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فعبر بالوصف إشارة إلى عدم القدرة على الاحتراز من المخالط بعد الخلطة ، وأنه لا يعف فيها إلا من رسخ الإيمان في قلبه ؛ لخفاء الخيانة حينئذ، بخلاف ما سبق في المنع من الدخول حيث كان التعبير بـ. ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾."[٢٨٤]

ذكر ابن عاشور أن المناسبة هي : ذكر أدب آخر ترتَّب على الأدب المذكور سابقاً ، فبعد الاستئذان نبه إلى ما يجب فعله بعد الدخول .

وجاء ذكر المناسبة عند البقاعي وذلك عند قوله : ورتَّب على ذلك أنه لا يَعِفُّ عن الخيانة إلا من رسخ الإيمان في قلبه .

ويمكن الجمع فيقال : المناسبة ، ذكر أدب آخر ترتَّب على الاستئذان ، وكان الخطاب فيه للمؤمنين ، لأنهم هم الذين يتحقق فيهم غض البصر وحفظ الفرج .

([٢٨٣]) التحرير والتنوير ٢٠٣/١٨ .

([٢٨٤]) نظم الدرر ٢٥٥/٥ .

٢٤. قال تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ النور: ٣٠ .

الحديث هنا عن مناسبة التذييل بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وذيل بجملة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ، لأنه كناية عن جزاء ما يتضمنه الأمر من الغض ، والحفظ ، لأن المقصد من الأمر الامتثال."(٢٨٥)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان المقام صعباً لميل النفوس إلى الدنايا ، واتباعها للشهوات ، علل هذا الأمر مرغباً ، ومرهباً بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ ﴾ أي : الذي لا يخفى عليه شيء ؛ لما له من الإحاطة الكاملة ﴿ خَبِيرٌ ﴾ ، ولما كان وازع الحياء مع ذلك مانعاً عظيماً ، فلا يخالف إلا بمعالجة وتدرب ، عبر بالصنعة فقال : ﴿ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ أي : وإن تناهوا في إخفائه ، ودققوا في تدبير المكر فيه."(٢٨٦)

ذكر ابن عاشور أن المناسبة كناية عن جزاء غض البصر ، وحفظ الفرج ، والمقصد الامتثال ، وهو قريب من قول البقاعي ، فالترغيب والترهيب ؛ حاصله الجزاء ، فمن رغب ، وغض ، وحفظ ، كان جزاءه الحسنى ، ومن لم يفعل ، كان جزاءه العقاب.

٢٥. قال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٣٢ .

---

(٢٨٥) التحرير والتنوير ٢٠٤/١٨ .

(٢٨٦) نظم الدرر ٢٥٧/٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"الذي يؤخذ من استقراء القرآن وصف الواسع المطلق ، إنما يراد به سعة الفضل ، والنعمة ، ولذلك يقرن بوصف العلم ونحوه ، قال تعالى : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ النساء: ١٣٠ ، أما إذا ذكرت السعة بصيغة الفعل ، فيراد بها الإحاطة فيما تُميِّزُ به كقوله تعالى : ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ الأعراف: ٨٩ .

وذكر ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بعد ﴿ وَٰسِعٌ ﴾ إشارة إلى أنه يعطي فضله على مقتضى ما علمه من الحكمة في مقدار الإعطاء."[٢٨٧]

وقال الرازي -رحمه الله- :"أما قوله : ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ فالمعنى أنه سبحانه في الإفضال لا ينتهي إلى حد تنقطع قدرته على الإفضال دونه ، لأنه قادر على المقدورات التي لا نهاية لها ، وهو مع ذلك عليم بمقادير ما يصلحهم من الإفضال ، والرزق."[٢٨٨]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان التقدير : فالله ذو فضل عظيم ، عطف عليه قوله : ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ أي : ذو الجلال والإكرام ﴿ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي : فهو بسعة قدرته يسوق ما كتبه للمرأة على يد الزوج ، وبشمول علمه يسبب أسبابه."[٢٨٩]

قول البقاعي هنا هو ذكر للمناسبة ، وربط التذييل بما ذكر قبله في الآية ، بينما كان قول ابن عاشور والرازي أقرب إلى ذكر المعنى ، وكان ذكرهما للمعنى على وجه العموم ، أما البقاعي فكان ذكره للمناسبة على وجه خاص .

([٢٨٧]) التحرير والتنوير ٢١٧/١٨ .

([٢٨٨]) التفسير الكبير ٣٧١/٨ .

([٢٨٩]) نظم الدرر ٣٦١/٥ .

٢٦. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ النور: ٣٤ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"ذُيِّلت الأحكام والمواعظ التي سبقت بإثبات نفعها وجدواها ؛ لما اشتملت عليه مما ينفع الناس ، ويقيم عمود جماعتهم ، ويميز الحق من الباطل ، ويزيل من الأذهان اشتباه الصواب بالخطأ ، فيعلم الناس طرق النظر الصائب ، والتفكير الصحيح ، وذلك تنبيه لما تستحقه من التدبر فيها ، ولنعمة الله على الأمة بإنزالها، ليشكروا الله حق شكره .

ووصف هذه الآيات المنـ.ـزلة بثلاث صفات ، كما وصف السورة في طالعتها بثلاث صفات ، والمقصد من الأوصاف في الموضعين هو الإمتنان ، فكان هذا يشبه رد العجز على الصدر."[290]

وقال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أنه سبحانه لما ذكر في هذه السورة هذه الأحكام ، وصف القرآن بصفات ثلاث."[291]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما أتم سبحانه هذه الآيات في براءة عائشة < ، ومقدماتها وخواتيمها ، قال عاطفاً على قوله أولها : ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾."[292]

الاختلاف في ذكر المناسبة هنا كبير ، فذكر ابن عاشور أن المناسبة هي تذييلٌ للأحكام ، والمواعظ السابقة .

وذكر الرازي أن الآية وصف للقرآن .

([290]) التحرير والتنوير ٢٢٨/١٨ .

([291]) التفسير الكبير ٣٧٧/٨ .

([292]) نظم الدرر ٢٦٣/٥ .

وذكر البقاعي أن الآية معطوفة على ما ذكر في أول السورة ، من قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

أما في ذكر المعنى فلا خلاف بينهم .

ولعل قول ابن عاشور في ذكر المناسبة أحق من سابقيه ، ففي الآيات التي يكون فيه تشريع ، أو تذكير بنعم الله ، أو بيان حال من سبق ، ونحو ذلك ، يكون ختامها بقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وبقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ وبقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ونحو ذلك ، كما هو الحال في الآية المذكورة ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٣ ، وقوله تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ النور: ١ ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٣ .

٢٧. قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٣٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أتبع منةَ الهداية الخاصة في أحكام خاصة ؛ المفادة من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ الآية ، بالامتنان بأن الله هو

مكون أصول الهداية العامة ، والمعارف الحقّ للناس كلهم ، بإرسال رسوله بالهدى ، ودين الحق ، مع ما في هذا الامتنان ؛ من الإعلام بعظمة الله تعالى ومجده ، وعموم علمه وقدرته .

والذي يظهر لي أن جملة ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ معترضة بين الجملة التي قبلها ، وبين جملة ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ ، وأن جملة ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ ، بيان لجملة ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ النور: ٣٤ ، كما سيأتي في تفسيرها ، فتكون جملة ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، تمهيداً لجملة ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾.

ومناسبة موقع جملة ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ بعد جملة ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ ، أن آيات القرآن نور ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ النساء: ١٧٤ ، وقال : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ المائدة: ١٥ ، فكان قوله : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ كلمة جامعة لمعان جمّة ، تتبع معاني النور في إطلاقه في الكلام .

وموقع الجملة عجيب من عدة جهات ، وانتقال من بيان الأحكام ، إلى غرض آخر من أغراض الإرشاد ، وأفانين من الموعظة ، والبرهان."[٢٩٣]

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد الحديث عن الآية السابقة :"ثم علل إنزاله لذلك على هذا السنن الأقوم ، والنظم المحكم ، بقوله : ﴿ ٱللَّهُ ﴾ أي : الذي أحاطت قدرته وعلمه ، ﴿ نُورُ ﴾ أي : ذو نور ، ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ لأنه مظهرهما بإيجادهما ، وإيجاد أهلهما ، وهاديهم بالتنوير بالعلم ؛ الجاعل صاحبه بهدايته إلى الصراط المستقيم ؛ كالماشي في نور الشمس ، لا يضع شيئاً في غير موضعه ، كما أن الماشي في النور ، لا يضع رجلاً في غير موضعها اللائق بها ، ولا شك أن النور هو : ما به تظهر الأشياء

([٢٩٣]) التحرير والتنوير ٢٣٠/١٨ .

وتنكشف ، فهو سبحانه مظهرهما ، وهما وما فيهما دال على ظهوره ، وأنه تام القدرة ، شامل العلم ، حاوٍ لصفات الكمال ، منـ.ـزه عن شوائب النقص."[٢٩٤]

ذكر ابن عاشور أن المناسبة امتنان من الله على عباده ، فلما ذكر في الآية السابقة منة الهداية في بعض الأحكام ، أعقبها في هذه الآية بمنة أخرى ، وهي منة الهداية إلى نوره الحق ، وصراطه المستقيم .

وذكر البقاعي أن المناسبة تعليل للآية السابقة ، فشدت بيان الآيات والأمثلة ، والمواعظ ، ووضوحها ، كما هو الحال في أن الله نور السموات والأرض ، فوضوح نور الله تعليلٌ لوضوح الآيات ، والأمثلة ، والمواعظ لمن له أدنى تعقل .

الاختلاف واضح في ذكر المناسبتين ، وكلٌ حسن فيما ذهب إليه من ذكر المناسبة حسب فهمه .

٢٨. قال تعالى : ﴿ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٣٥ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"وجملة ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ تذييل لمضمون الجملتين قبلها ، أي : لا يعزب عن علمه شيء ، ومن ذلك علم من هو قابل للهدى ، ومن هو مصرّ على غيّه ، وهذا تعريض بالوعد للأولين ، والوعيد للآخرين."[٢٩٥]

وقال الرازي –رحمه الله– :"ثم بين أنه سبحانه ﴿ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، وذلك كالوعيد لمن لا يعتبر ، ولا يتفكر في أمثاله ، ولا ينظر في أدلته ، فيعرف وضوحها ، وبعدها عن الشبهات."[٢٩٦]

([٢٩٤]) نظم الدرر ٢٦٣/٥ .

([٢٩٥]) التحرير والتنوير ٢٤٤/١٨ .

([٢٩٦]) التفسير الكبير ٣٩١/٨ .

وقال البقاعي –رحمه الله– :"﴿ وَٱللَّهُ ﴾ أي : الذي له جميع صفات الكمال ، ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي : منها ، ومن غيرها ، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ يبين كل شيء بما يسهل سبيله، فثقوا بما يقول ، وإن لم تفهموه أنفسكم ، وأمعنوا النظر فيه يفتح لكم سبحانه ما انغلق منه."[297]

ذكر ابن عاشور أن الجملة تذييل لمضمون الجملتين قبلها ، ثم ذهب في قوله إلى ما ذهب إليه الرازي في حديثه ، وكان حديث البقاعي مختلف عنهما .

وكلٌّ حسن ، ويمكن الجمع فيقال : ذكر الصفة بهذا الموضع تذييل لما قبلها ، فلا يعزب عن علمه شيء ، فثقوا بالعليم الذي يبين كل شيء بما يسهل سبيله ، وأمعنوا النظر في كل شيء يفتح لكم سبحانه ما انغلق منه .

وفي التذييل بهذا تعريض بالوعد والوعيد ، لمن لا يتفكر ، ولا يعتبر .

٢٩. قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ النور: ٤١ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"أُعقِب تمثيل ضلال أهل الضلالة ، وكيف حرمهم الله الهدى في قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ النور:٣٩- ٤٠ ، بطلب النظر والاعتبار ، كيف هدى الله تعالى كثيراً من أهل السماوات والأرض ؛ إلى تنزيه الله المقتضي الإيمان به وحده ، وبما ألهم الطير إلى أصواتها المعربة عن بهجتها بنعمة وجودها ، ورزقها ، الناشئَين عن إمداد الله إياها بهما، فكانت أصواتها دلائل حال على تسبيح الله ، وتنزيهه عن الشريك ، فأصواتها تسبيح بلسان الحال .

---

(٢٩٧) نظم الدرر ٥/٢٦٥ .

والجملة استئناف ابتدائي ، ومناسبته ما علمت."[298]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما وصف أنوار قلوب المؤمنين ، وظلمات قلوب الجاهلين ، أتبع ذلك بدلائل التوحيد."[299]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان قيام الأمور ، وظهورها كل ظهور ، إنما هو بالنور ، حساً : بالإيجاد ، ومعنىً : بجعل الموجودات آيات مرئيات تدل على موجدها، قال تعالى دالاً على ما أخبر به من أنه وحده نور السماوات والأرض ، أي : موجدهما بعلمه وقدرته ، ومن أن من كساه من نوره ؛ فإن في يوم البعث الذي يجازي فيه الخلق على ما يقتضيه العلم الذي هو النور في الحقيقة من مقادير أعمالهم ، ومن أعراه من النور هلك : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ ﴾."[300]

ذكر ابن عاشور أن المناسبة هي طلب النظر والاعتبار في ضلال أهل الضلالة ، وحرمانهم الهدى في الآيات السابقات ، وفي هداية الله في هذه الآية لكثير من أهل الأرض والسماء ، وما بينهما من الطيور ؛ لتنـ.زيهه المقتضي الإيمان به وحده .

وذكر الرازي أن المناسبة هي لبيان دلائل التوحيد .

فالذي يسبِّح له أهل السموات والأرض ، والطيور بينهما ، حقيق بأن يكون الإله المعبود ، مع ما في خلق تلك الطيور من الدلائل على قدرة الصانع المدبر سبحانه.[301]

وذكر البقاعي أن المناسبة للدلالة على ما أخبر به ؛ من أنه وحده نور السماوات والأرض ، الذي أوجدهما بعلمه ، وقدرته .

اختلف ابن عاشور في ذكره للمناسبة عن الرازي ، والبقاعي ، ولكن المعنى المذكور في الآية واحد ، وهو أنه الإله الحق ، المبدع الصنع ، العليم بكل حال .

([298]) التحرير والتنوير ٢٥٧/١٨ .

([299]) التفسير الكبير ٤٠١/٨ .

([300]) نظم الدرر ٢٧١/٥ .

([301]) ينظر التفسير الكبير ٤٠١/٨-٤٠٢ .

٣٠. قال تعالى : ﴿ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ النور:٤١.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ تذييل ؛ وهو إعلام بسعة علم الله تعالى الشامل للتسبيح ، وغيره من الأحوال."[٣٠٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان التقدير : فالله قدير على جميع تلك الشؤون، عطف عليه قوله : ﴿ وَاللَّهُ ﴾ أي : المحيط علماً وقدرة ﴿ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ بما ثبت مما أخبركم به في هذه السورة عن دقائق أقوالكم وأحوالكم ، وضمائركم وأفعالكم."[٣٠٣]

المناسبتان متشابهان ، والمعنى واحد .

٣١. قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ النور: ٤٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ تعليلٌ وتذييل ، ووقع فيه إظهار اسم الجلالة في مقام الإضمار ؛ ليكون كلاماً مستقلاً بذاته ، لأن شأن التذييل أن يكون كالمثل."[٣٠٤]

---

(٣٠٢) التحرير والتنوير ١٨/٢٥٩ .

(٣٠٣) نظم الدرر ٥/٢٧٢ .

(٣٠٤) التحرير والتنوير ١٨/٢٦٦ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كانت هـ .ـذه الأدلـ .ـة نـ .ـاظرة إلى البعـ .ـث أتم نظر ، وكانوا منكرين لـ .ـه ، أكـ .ـد قولـ .ـه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ أي : الـ .ـذي لـ .ـه الكمـ .ـال المطلق ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من ذلك وغيره ﴿ قَدِيرٌ ﴾."[305]

قول البقاعي هنا فيه ذكر لمناسبة الختم بهذا التذييل ، فالقادر على فعل ذلك ابتداءً جدير بإعادته ، وهو أسهل عليه .

وكان قول ابن عاشور في ذكر المناسبة قول عام .

٣٢. قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٥١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف بياني ، لأن الإخبار عن الذين يعرضون ، عندما يدعون إلى الحكومة ، بأنهم ليسوا بالمؤمنين ، في حين أنهم يظهرون الإيمان ، يثير سؤال سائل عن الفاصل الذي يميز بين المؤمن الحق ، وبين الذي يرائي بإيمانه ، في حين يُدعى إلى الحكومة عند رسول الله ﷺ ، فيقتضي أن يبين للسائل الفرق بين الحالين ؛ لئلا يلتبس عنده الإيمان المزور ، بالإيمان الصادق ، فقد كان المنافقون يموهون ؛ بأن إعراض من أعرض منهم عن التحاكم عند رسول الله ، ليس لتزلزل في إيمانه بصدق الرسول ، ولكنه إعراض لمراعاة أعراض من العلائق الدنيوية ، كقول بشْر : إن الرسول يُبغضني ، فبيّن الله بطلان ذلك ، بأن المؤمن لا يرتاب في عدل الرسول ، وعدم مصانعته .

وقد أفاد هذا الاستئناف أيضاً الثناء على المؤمنين الأحقاء ، بضد ما كان ذماً للمنافقين ، وذلك من مناسبات هذا الاستئناف على عادة القرآن في إرداف التوبيخ بالترغيب ، والوعيد بالوعد ، والنذارة بالبشارة ، والذم بالثناء ."[306]

([305]) نظم الدرر ٢٧٤/٥ .

([306]) التحرير والتنوير ٢٧٣/١٨ .

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما حكى قول المنافقين وما قالوه وما فعلوه ، أتبعه بذكر ما كان يجب أن يفعلوه ، وما يجب أن يسلكه المؤمنون ، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾."[307]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما نفى عنهم الإيمان الكامل بما وصفهم به ، كان كأنه سئل عن حال المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾."[308]

قول ابن عاشور هنا كقول سابقيه ، إلا أن في ذكره للمناسبة تفصيلاً أكثر ، وقد زاد على قولهما : أن الاستئناف فيه ثناء على المؤمنين .

٣٣. قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ النور: ٥٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ صالحة لتذييل الاحتمالات المتقدمة ، وهي تعليل لما قبلها."[309]

وقال الرازي -رحمه الله- :"﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي : بصير لا يخفى عليه شيء من سرائركم ، وإنه فاضحكم لا محالة ، ومجازيكم على نفاقكم."[310]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ إِنَّ اللَّهَ ﴾ أي : الذي له الإحاطة بكل شيء ﴿ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وإن اجتهدتم في إخفائه ، فهو ينصب عليه دلائل يعرفه بها عباده، فالحلف غير مغنٍ عن الحالف ، والتسليم غير ضار للمسلم."[311]

([307]) التفسير الكبير ٤١١/٨ .

([308]) نظم الدرر ٢٧٦/٥ .

([309]) التحرير والتنوير ٢٧٩/١٨ .

([310]) التفسير الكبير ٤١٢/٨ .

قول ابن عاشور هنا أيضاً قول عام ، وهو شامل لقول سابقيه ، وجاء قول الرازي والبقاعي ؛ في أن الله مظهر ما يخفيه المنافقون في سرائرهم وإن اجتهدوا في إخفائه، وهو بيان حقيقي لما في أول هذه الآية من مناسبة التذييل بذلك ، وقولهما خاص بهذه الآية دون الآيات السابقات خلافاً لما ذكره ابن عاشور من التعميم .

٣٤. قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ النور: ٥٥ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"والأشبه أن هذا الكلام استئناف ابتدائي ، انتقل إليه بمناسبة التعرض إلى أحوال المنافقين ؛ الذين أبقاهم على النفاق تردّدُهم في عاقبة أمر المسلمين ، وخشيتُهم أن لا يستقر بالمسلمين المُقام بالمدينة ، حتى يغزوهم المشركون ، أو يخرجهم المنافقون حين يجدون الفرصة لذلك ، كما حكى الله تعالى من قول عبد الله بن أبيّ : ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ المنافقون: ٨ ، فكانوا يظهرون الإسلام اتقاء من تمام أمر الإسلام ، ويبطنون الكفر ممالاة لأهل الشرك ، حتى إذا ظهروا على المسلمين لم يلمزوا المنافقين بأنهم قد بدّلوا دينهم ، مع ما لهذا الكلام من المناسبة مع قوله : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ النور: ٥٤ ، فيكون المعنى : وإن تطيعوه تهتدوا ، وتُنصروا ، وتأمنوا .

([٣١١]) نظم الدرر ٥/٢٧٧ .

ومع ما روي من حوادث تخوف المسلمين ضُعفهم أمام أعدائهم ، فكانوا مشفقين من غزو أهل الشرك ، ومن كيد المنافقين ، ودلالتهم المشركين على عورات المسلمين ، فقيل كانت تلك الحوادث سبباً لنـ . زول هذه الآية."[٣١٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد الحديث عن قوله : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ :"ولما لاح بهذا الإذن في الكف عن قتل النبي ﷺ للمنافقين ؛ لئلا يقول الناس : إن محمداً استنصر بقوم ، فلما نصره الله بهم أقبل يقتلهم ، فيمتنع من يسمع ذلك من الدخول في الإسلام ، فتكون مفسدة قتلهم أعظم من مفسدة إبقائهم ، لأن الدين لم يكن حينئذ تمكن تمكناً لا يؤثر فيه مثل ذلك ، تشوفت النفوس إلى أن هذا الحال هل يستمر؟ فجلى الله عنهما هذا الكرب بقوله ؛ بياناً لأن تمكن الدين غير مفتقر إليهم سواء أقبلوا ، أو أدبروا : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾."[٣١٣]

استفاد ابن عاشور في ذكره للمناسبة من تفسير الرازي للآية ، وذلك بقوله: "اعلم أن تقدير النظم ، بلّغ أيها الرسول ، وأطيعوه أيها المؤمنون ، فقد وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات أي : الذين جمعوا بين الإيمان ، والعمل الصالح ، أن يستخلفهم في الأرض ، فيجعلهم الخلفاء ، والغالبين ، والمالكين."[٣١٤]

وما ذكر ابن عاشور من المناسبة قريب في المعنى من قول البقاعي بالجملة ، فكلاهما ذكر تخوف المسلمين ، والآية جواب عن هذا التخوف .

٣٥. قال تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ النور: ٥٧ .

([٣١٢]) التحرير والتنوير ٢٨١/١٨ .

([٣١٣]) نظم الدرر ٢٧٨/٥ .

([٣١٤]) التفسير الكبير ٤١٢/٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف ابتدائي لتحقيق ما اقتضاه قوله : ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ ، فقد كان المشركون يومئذٍ لم يزالوا في قوة وكثرة، وكان المسلمون لم يزالوا يخافون بأسهم ، فربما كان الوعد بالأمن من بأسهم متلقىً بالتعجب ، والاستبطاء الشبيه بالتردد ، فجاء قوله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ تطميناً ، وتسلية.

والخطاب لمن قد يخامره التعجب ، والاستبطاء دون تعيين .

والمقصود من النهي عن هذا الحسبان التنبيه على تحقيق الخبر."[٣١٥]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان الكفار من الكثرة والقوة بمكان ، كان الحال جديراً بتأكيد معنى التمكين ، جواباً لسؤال من كأنه قال : وهل ذلك ممكن فقال : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾."[٣١٦]

المناسبتان مكملتان لبعضهما ، فالمناسبة التي ذكرها ابن عاشور قريبة من قول البقاعي ، غير أن ابن عاشور أجاد في ذكرها ، حاوياً لجميع أبعادها.

وكان قول البقاعي أن الآية جواب لسؤال مقدر ، فيما يرى ابن عاشور أن الآية جيء بها للتسلية ، والتطمين .

٣٦. قال تعالى : ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٠ .

([٣١٥]) التحرير والتنوير ٢٩٠/١٨ .

([٣١٦]) نظم الدرر ٢٨١/٥ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"هذه الآية مخصّصة لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ النور: ٣١ .

ومناسبة هذا التخصيص هنا ؛ أنه وقع بعد فرض الاستئذان في الأوقات التي يضع الرجال والنساء فيها ثيابهم عن أجسادهم ، فعطف الكلام إلى نوع من وضع الثياب عن لابسها ، وهو وضع النساء القواعد بعض ثيابهن عنهن ، فاستثني من عموم النساءُ النساءَ المتقدمات في السن ، بحيث بلغن إبان الإياس من المحيض ، فرخص لهن أن لا يضربن بخمرهن على جيوبهن ، وأن لا يدنين عليهن من جلابيبهن."[٣١٧]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما ذكر سبحانه اقتبال الشباب ، في تغيير حكم الحجاب ، أتبعه الحكم عند إدبار الشباب ، في إلقاء الظاهر من الثياب ، فقال : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ ﴾."[٣١٨]

المناسبتان مختلفتان ، والمراد منهما واحد ؛ القواعد من النساء ، وكلا القولين حسن .

فذكر ابن عاشور أن المناسبة تخصيص القواعد من النساء ؛ بإلقاء بعض الثياب .

وذكر البقاعي أن المناسبة هي لمقابلة حالة الشباب وذكر الحجاب ، بإدبار الشباب وإلقاء الثياب ، والله أعلم .

([٣١٧]) التحرير والتنوير ٢٩٦/١٨ .

([٣١٨]) نظم الدرر ٢٨٣/٥ .



المطلب الأول : أغراض السوره

المطلب الثاني : مناسبات الآيات



- **اسم السورة** : الفرقان ، ولم يرد لها اسم آخر .
- **نزولها** : وقد وردت أقوال في كونها مكية ، أم مدنية ؟ فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقتادة : هي مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة ، وهي : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ﴾ الفرقان: ٦٨ ، إلى قوله سبحانه : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الفرقان: ٧٠ ، وقال الضحاك[٣١٩]: هي مدنية إلا أولها، إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا نُشُورًا ﴾ الفرقان:٣ ، فهو مكي ، وقد اتفق الجمهور على أنها مكية.[٣٢٠]
- **ترتيبها في المصحف** : الخامسة والعشرون .
- **عدد آياتها** : سبع وسبعون آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف.[٣٢١]
- **نظيرها في العدد** : لا نظير لها في عدد آياتها .

---

(٣١٩) الضحاك بن مزاحم الهلالي من بني عبد مناف ، ويكنى أبا القاسم ، صاحب التفسير ، أتى خراسان وأقام بها مات سنة اثنتين ومائة ، وقيل خمس ، وقيل ست .[ينظر طبقات المفسرين للأدنه وي ص١٠ ؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٩٨/٤] .

(٣٢٠) ينظر تفسير القرطبي١/١٣ .

(٣٢١) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ص١٩٤ .

أغراض سورة الفرقان

قال ابن عاشور -رحمه الله- : "واشتملت هذه السورة على الابتداء بتحميد الله تعالى ، وإنشاء الثناء عليه ، ووصفه بصفات الإلهية والوحدانية فيها .

وأُدْمِجَ في ذلك التنويهُ بالقرآن ، وجلال مُنَزِّله ، وما فيه من الهدى ، وتعريضٌ بالامتنان على الناس بهديه ، وإرشاده إلى اتقاء المهالك ، والتنويه بشأن النبي ﷺ .

وأقيمت هذه السورة على ثلاث دعائم .

الأولى : إثبات القرآن منزّلٌ من عند الله ، والتنويه بالرسول المنزل عليه ﷺ ، ودلائل صدقه ، ورفعة شأنه عن أن تكون له حظوظ الدنيا ، وأنه على طريقة غيره من الرسل ، ومن ذلك تلقى قومُه دعوتَه بالتكذيب .

الدعامة الثانية : إثبات البعث والجزاء ، والإنذار بالجزاء في الآخرة ، والتبشير بالثواب فيها للصالحين ، وإنذار المشركين بسوء حظهم يومئذ ، وتكون لهم الندامة على تكذيبهم الرسول ﷺ ، وعلى إشراكهم ، واتِّباع أئمة كفرهم .

الدعامة الثالثة : الاستدلال على وحدانية الله ، وتفرده بالخلق ، وتنزيهه عن أن يكون له ولد ، أو شريك ، وإبطال إلهية الأصنام ، وإبطال ما زعموه من بنوة الملائكة لله تعالى .

وافتُتِحت في آيات كل دعامة من هذه الثلاث بجملة ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى ﴾ الخ .

قال الطيبي[٣٢٢] :"مدار هذه السورة على كونه ﷺ مبعوثا إلى الناس كافة ،

(٣٢٢) حسن بن محمد بن عبد الله ، شرف الدين الطيبي الأصل ، وهو من علماء الحديث ، والتفسير والبيان ، كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن ، له مؤلفات كثيرة ، منها التفسير للقرآن العظيم ، والحاشية على تفسير الكشاف ؛ المسمى فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ؛ وكتاب التبيان في المعاني، توفي

ينذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولهذا جعل براعة استهلالها ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١. "

وذكر بدائعَ من صنعه تعالى جمعاً بين الاستدلال ، والتذكير .

وأعقب ذلك بتثبيت الرسول ﷺ على دعوته ، ومقاومته الكافرين .

وضرب الأمثال للحالين ببعثة الرسل السابقين ، وما لقوا من أقوامهم ، مثل قوم موسى ، وقوم نوح ، وعاد ، وثمود ، وأصحاب الرس ، وقوم لوط .

والتوكل على الله ، والثناء على المؤمنين به ، ومدح خصالهم ، ومزايا أخلاقهم ، والإشارة إلى عذاب قريب يحل بالمكذبين."[٣٢٣]

وهو- =ينتظر الصلاة ، في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .[ينظر طبقات المفسرين للأدنه وي ٢٧٧/١ ؛ والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ١٨٥/٢] .

[٣٢٣] التحرير والتنوير ١٨/ ٣١٤ .

٣٧. قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"افتتاح بديع لندرة أمثاله في كلام بلغاء العرب ، لأن غالب فواتحهم أن تكون بالأسماء مجردة ، أو مقترنة بحرف غير منفصل ، مثل قول طرفة :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ...[٣٢٤]

أو بأفعال المضارعة ونحوها ، كقول امرىء القيس :

قِفَا نَبْكِ...[٣٢٥]

أو بحروف التأكيد ، أو الاستفهام ، أو التنبيه مثل : (إن) ، و (قد) ، والهمزة ، و (هل) ، ومن قبيل هذا الافتتاح قول الحارث بن حلزة :

آذَنَتْنا بِبَيْنِهَا أسماءُ ...[٣٢٦]

وقول النابغة :

كتمتُكَ ليلا بالجمومين ساهراً وهَمَّيْن هَمّاً مستكنّاً وظاهرا [٣٢٧]

([٣٢٤]) صدر البيت الأول لمعلقة طرفة بن العبد .[ينظر جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص١٢٥ ؛ وديوان طرفة ، تقديم عبدالقادر محمد مايو ص٥١] .

([٣٢٥]) جزء من صدر البيت الأول لمعلقة امرئ القيس .[ينظر جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص٧٩ ؛ وديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص٨] .

([٣٢٦]) صدر البيت الأول لمعلقة الحارث بن حلزة .[ينظر طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ١٥١/١ ؛ شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الاسترباذي ٢٤٤/٤] .

([٣٢٧]) مطلع قصيدة النابغة الذبياني التي يمدح بها النعمان ويعتذر إليه .[ينظر أساس البلاغة للزمخشري ص٣١٦ ؛

وبهذه الندرة يكون في طالع هذه السورة براعة المطلع ، لأن الندرة من العزة ، والعزّةُ من محاسن الألفاظ ، وضدها الابتذال."(٣٢٨)

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن الله سبحانه وتعالى تكلم في هذه السورة في التوحيد ، والنبوة ، وأحوال القيامة ، ثم ختمها بذكر صفات العباد المخلصين الموقنين ، ولما كان إثبات الصانع ، وإثبات صفات جلاله يجب أن يكون مقدماً على الكل ، لا جرم افتتح الله هذه السورة بذلك ، فقال : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾."(٣٢٩)

كلا القولين في مناسبة الافتتاح بهذه الآية جميل ، فهو افتتاح بديع لندرة أمثاله في كلام بلغاء العرب ، فصدِّرت السورة بالثناء على نفسه سبحانه بإنزاله الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيرا .

وكان حديث البقاعي عن المناسبة بين خاتمة سورة النور وهذه الآية ، وهذا لا يراه ابن عاشور ، فلم تذكر تلك المناسبة هنا .

٣٨. قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ الفرقان: ٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"انتقال من ذكر كفرهم في أفعالهم ؛ إلى ذكر كفرهم بأقوالهم الباطلة .

والإظهار هنا لإفادة أن مضمون الصلة ؛ هو علة قولهم هذا ، أي : ما جرأهم على هذا البهتان ؛ إلا إشراكهم وتصلبهم فيه ، وليس ذلك لشبهة تبعثهم على هذه المقالة

وديوان النابغة ، تحقيق فوزي عطوي ص٦٩] .

(٣٢٨) التحرير والتنوير ٣١٥/١٨ .

(٣٢٩) التفسير الكبير ٤٢٨/٨ .

لانتفاء شبهة ذلك ، بخلاف ما حكي آنفاً من كفرهم بالله ، فإنهم تلقوه من آبائهم ، فالوصف الذي أجري عليهم هنا مناسب لمقالتهم ، لأنها أصل كفرهم .

وهذه الجملة مقابلة جملة ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ الفرقان: ١ ، فهي المقصود من افتتاح الكلام كما آذنت بذلك فاتحة السورة ، وإنما أخرت هذه الجملة التي تقابل الجملة الأولى ؛ مع أن مقتضى ظاهر المقابلة ؛ أن تذكر هذه الجملة قبل جملة ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ الفرقان: ٣ ؛ اهتماماً بإبطال الكفر المتعلق بصفات الله."[330]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه تكلم أولاً في التوحيد ، وثانياً في الرد على عبدة الأوثان ، وثالثاً في هذه الآية تكلم في مسألة النبوة ، وحكى سبحانه شبههم في إنكار نبوة محمد ﷺ."[331]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما وصف منـ.ـزل الفرقان بما لا يحيط به علم أحد غيره من الشؤون ، فاتضح بذلك إعجاز المنـ.ـزل الذي أبان ذلك ، وهو هذا القرآن ، وأنه وحده الفرقان ، عجب من حال المكذبين به فقال موضع «وقالوا» : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾."[332]

فصَّل ابن عاشور في ذكر المناسبة ، وأجاد في ذكر متعلقات الآية ، وذكر أن المناسبة انتقال إلى ذكر كفرهم بأقوالهم الباطلة ، بعد ذكر كفرهم في أفعالهم ، وهو في المعنى قريب من قول الرازي .

وذكر البقاعي أن المناسبة تعجب من حال المكذبين بالقرآن .

الاختلاف في هذه المناسبة يسير ، ويمكن الجمع فيقال المناسبة هي : انتقال لبيان

([330]) التحرير والتنوير ٣٢٢/١٨ .

([331]) التفسير الكبير ٤٣٢/٨ .

([332]) نظم الدرر ٢٩٥/٥ .

كفرهم بالأقوال بعد بيان كفرهم بالأفعال ، ففي هذه الآية تعجب من حال المكذبين بالقرآن ، الذي هو في حقيقته إنكار لنبوة محمد ﷺ .

٣٩. قال تعالى : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الفرقان: ٦ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"والتعريف في ﴿ ٱلسِّرَّ ﴾ تعريف الجنس يستغرق كل سر ، ومنه إسرار الطاعنين في القرآن عن مكابرة وبهتان ، أي : يعلم أنهم يقولون في القرآن ما لا يعتقدونه ظلماً ، وزوراً منهم ، وبهذا يعلم موقع جملة ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ؛ ترغيباً لهم في الإقلاع عن هذه المكابرة ، وفي اتباع دين الحق ، ليغفر الله لهم ، ويرحمهم ، وذلك تعريض بأنهم إن لم يقلعوا ، ويتوبوا ، حَق عليهم الغضب والنقمة."[٣٣٣]

وقال الرازي –رحمه الله– :"إنما ذكر الغفور الرحيم في هذا الموضع لوجهين .

الأول : قال أبو مسلم[٣٣٤]: المعنى أنه إنما أنزله لأجل الإنذار ، فوجب أن يكون غفوراً رحيماً غير مستعجل في العقوبة .

الثاني : أنه تنبيه على أنهم استوجبوا بمكايدتهم هذه ؛ أن يصبَّ عليهم العذاب صباً ، ولكن صرف ذلك عنهم كونه غفوراً رحيماً ؛ يمهل ، ولا يعجل."[٣٣٥]

---

(٣٣٣) التحرير والتنوير ٣٢٦/١٨ .

(٣٣٤) أبو مسلم ، هو محمد بن بحر الأصبهاني (الأصفهاني) ، الكاتب المترسل البليغ المتكلم الجدلي المعتزلي العالم بالتفسير وبغيره من صنوف العلم ، صار عامل أصبهان ، وعامل فارس للمقتدر ، وكان مولده سنة أربع وخمسين ومائتين ، له من الكتب جامع التأويل لمحكم التنزيل على مذهب الاعتزال ؛ والناسخ والمنسوخ ؛ وكتاب جامع رسائله ، توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .[ينظر معجم الأدباء ٢٣٩/٥ ؛ والوافي بالوفيات ١٧٥/٢] .

(٣٣٥) التفسير الكبير ٤٣٤/٨ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان من المعلوم أن العالم بكل شيء قادر على كل شيء ، كما مضى تقريره في سورة طه ، وكانت العادة جارية بأن من علم استخفاف غيره به ، وكان قادراً عليه ، عاجله بالأخذ ، أجيب من كأنه قال : فما له لا يهلك المكذبين له؟ بقوله مرغباً لهم في التوبة ، مشيراً إلى قدرته بالستر والإنعام ، ومبيناً لفائدة إنزاله إليهم هذا الذكر ؛ من الرجوع عما تمادت عليه أزمانهم من الكفر ، وأنواع المعاصي : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ﴾ أزلاً وأبداً ، ﴿ غَفُورًا ﴾ أي : بليغ الستر لما يريد من ذنوب عباده ، بأن لا يعاتبهم عليها ، ولا يؤاخذهم بها ، ﴿ رَّحِيمًا ﴾ بهم في الإنعام عليهم بعد خلقهم برزقهم ، وتركيب العقول فيهم ، ونصب الأدلة لهم ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب فيهم ، وإمهالهم في تكذيبهم ، أي : فليس لإمهالهم ، ووعظهم ، بما نزله إليهم سبب إلا رحمته ، وغفرانه ، وعلمه ؛ بأن كتابه صلاح لأحوالهم في الدارين."[٣٣٦]

ذكر ابن عاشور أن مناسبة التذييل بهذه الجملة هو : الترغيب لهم في الإقلاع عن هذه المكابرة ، وأن يتبعوا دين الحق ليغفر الله لهم ، ويرحمهم ، وفيه تعريض بأنهم إن لم يقلعوا ، ويتوبوا حق عليهم الغضب والنقمة ، وقد استفاد هذا القول ؛ من قول الرازي في حديثه عن هذا التذييل .

و لم يذهب البقاعي بعيداً عنهما في الجملة ، غير أن عباراته فيها وضوح للمناسبة، وبيان أكثر من قولهما ، وربط ذلك بشيء من الواقع .

٤٠. قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ الفرقان: ٢٠ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وموقع ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ ؛ موقع الحث

---

(٣٣٦) نظم الدرر ٥/٢٩٧ .

على الصبر المأمور به ، أي : هو عليم بالصابرين ، وإيذان بأن الله لا يضيع جزاء الرسول على ما يلاقيه من قومه ، وأنه ناصره عليهم .

وفي الإسناد إلى وصف الرب مضافاً إلى ضمير النبي ﷺ ؛ إلماع إلى هذا الوعد ، فإن الرب لا يضيع أولياءه كقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ الحجر: ٩٧ - ٩٩ ، أي : النصر المحقق."[٣٣٧]

وقال الرازي -رحمه الله- :"أي : هو العالم بمن يصبر ، ومن لا يصبر ، فيجازي كلاً منهم بما يستحقه من ثواب وعقاب."[٣٣٨]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان الاختبار ربما أوهم نقصاً في العلم ، وكان إحسانه سبحانه إلى جميع الخلق دون إحسانه إلى سيدهم وعينهم وخلاصتهم وزينهم محمد ﷺ ، وكان أعلمهم بتنـ.زيهه وتعظيمه ، وكان امتحانهم بجعله نبياً عبداً مع كونه في غاية الإكرام له ، ربما ظنوه إهانة ؛ نفى ما لعله يوهمه كل من الاستفهام ، والامتحان، في حق الله سبحانه ، وحق نبيه ﷺ ، فقال صارفاً وجه الخطاب إليه : ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ ﴾ أي : المحسن إليك إحساناً لم يحسنه إلى أحد سواك ، لا سيما بجعلك نبياً عبداً .

﴿ بَصِيرًا ﴾ بكل شيء ، فهو عالم بالإنسان قبل الامتحان ، لم يفده ذلك علماً لم يكن ، وهو سبحانه يضع الأمور في حاق[٣٣٩]مواضعها ، وإن رئي غير ذلك ، فينبغي على كل أحد التسليم له في جميع الأمور ، فإنه يجر إلى خير كبير ، والتدبر لأقواله وأفعاله، بحسن الانقياد والتلقي ، فإنه يوصل إلى علم غزير ، وما أراد بابتلائك بهم ،

([٣٣٧]) التحرير والتنوير ٣٤٥/١٨ .

([٣٣٨]) التفسير الكبير ٤٤٧/٨ .

([٣٣٩]) بمعنى نزل ، أي : يُنَزِّلُ الأمور في مواضعها ، وتأتي بمعنى أحاط .[ينظر مادة (حيق) : معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ١٢٥/٢ ؛ ولسان العرب لابن منظور ٧١/١٠] .

وابتلائهم بك في هذا الأذى الكبير ؛ إلا إعلاء شأنك ، وإسفال أمرهم ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ ص: ٨٨."[340]

هنا أحسن البقاعي في ذكر المناسبة ، ففصَّل ، وأطنب في شرح هذا التذييل ، دافعاً بذلك الشبهة التي قد تنتج عن الفهم الخاطئ لصدر الآية ، فجاء هذا التذييل صارفاً لتلك الشبه .

وتبعه ابن عاشور في ذلك باختصار ، فلم يأت بجديد ، وكان قول الرازي عبارةً عن تفسير للآية .

٤١. قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ الفرقان: ٣٠ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"عطف على أقوال المشركين ، ومناسبته لقوله : ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ ﴾ الفرقان: ٢٩ ، أن الذكر هو القرآن ، فحكيت شكاية الرسول إلى ربّه ؛ قومَه من نبذهم القرآن ، بتسويل زعمائهم وسادتهم ، الذين أضلوهم عن القرآن ، أي : عن التأمل فيه بعد أن جاءهم ، وتمكنوا من النظر."[341]

وقال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أن الكفار لما أكثروا من الاعتراضات الفاسدة ، ووجوه التعنت ، ضاق صدر الرسول ﷺ ، وشكاهم إلى الله تعالى ، وقال : ﴿ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ ﴾."[342]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما ذكر سبحانه أقوال الكفار إلى أن ختم بالإضلال

([340]) نظم الدرر ٣٠٩/٥ .

([341]) التحرير والتنوير ١٧/١٩ .

([342]) التفسير الكبير ٤٥٥/٨ .

عن الذكر ، وكانوا مع إظهارهم التكذيب به وأنه مفتعل في غاية الطرب له ، والاهتزاز به ، والتعجب منه ، والمعرفة بأنه يكون له نبأ ، أشار إلى ذلك بقوله : عاطفاً على ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ ﴾ معظماً لهذه الشكاية منه ﷺ ، مخوفاً لقومه ، لأن الرسل قبله عليهم الصلاة والسلام كانوا إذا شكوا ؛ أُنزل بقومهم عذاب الاستئصال ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ ﴾."[343]

قول ابن عاشور في ذكر المناسبة أفضل الأقوال ، وكانت عبارات الرازي أقرب إلى بيان التفسير منها إلى ذكر المناسبة .

وذكر البقاعي مناسبة جيدة ، فذكر أن في الآية تعظيماً لشكاية النبي ﷺ ، وجيء بها للتخويف .

ويمكن الجمع بين قولي الرازي والبقاعي ، فيقال : الآية جاءت لبيان حال النبي ﷺ ، بعد أن أكثر الكفار الاعتراض الفاسد ، ووجوه التعنت ، وفيها تخويف بالإهلاك ، لأن الرسل قبله عليهم الصلاة والسلام ، كانوا إذا شكوا ؛ أنزل بقومهم عذاب الاستئصال .

٤٢. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ الفرقان: ٣٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما جرى الوعيد ، والتسلية ، بذكر حال المكذبين للرسول ﷺ ، عطف على ذلك تمثيلهم بالأمم المكذبين رسلهم ؛ ليحصل من ذلك موعظة هؤلاء ، وزيادة تسلية الرسول ﷺ ، والتعريض بوعده بالانتصار له .

وابتدئ بذكر موسى وقومه ، لأنه أقرب زمناً من الذين ذكروا بعده ، ولأن بقايا

([343]) نظم الدرر ٣١٣/٥ .

شرعه وأمته لم تزل معروفة عند العرب ، فإن صح ما روي أن الذين قالوا : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ اليهود ، فوجه الابتداء بذكر ما أوتي موسى أظهر."[٣٤٤]

وقال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أنه تعالى لما قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ الفرقان: ٣١ ؛ أتبعه بذكر جماعة من الأنبياء ، وعرفه بما نزل بمن كذب من أممهم، فقال : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴾ ، والمعنى : لست يا محمد بأول من أرسلناه فكذب ، وآتيناه الآيات فرد ، فقد آتينا موسى التوراة ، وقوينا عضده بأخيه هارون ، ومع ذلك فقد رد."[٣٤٥]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما بين أنهم كذبوه وعادوه ، وأشار بآية الحشر إلى جهنم ؛ إلى أنه لا يهلكهم بعامة ، عطف على عامل «لنثبت» تسلية له ، وتخويفاً لهم ، قوله : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا ﴾."[٣٤٦]

القول في المناسبة متقارب جداً ، والمراد واحد ؛ التسلية والتخويف ، وزاد ابن عاشور مناسبة البدء بذكر قصة موسى وقومه ، وهي من تفرداته في هذا الموضع .

٤٣. قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ الفرقان: ٤٧ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"مناسبة الانتقال من الاستدلال باعتبار أحوال الظلّ والضَّحاء ، إلى الاعتبار بأحوال اللّيل والنهار ، ظاهرة ، فالليل يشبه الظِلّ في أنه ظلمة تعقب نور الشمس...

([٣٤٤]) التحرير والتنوير ٢٥/١٩ .

([٣٤٥]) التفسير الكبير ٤٥٨/٨ .

([٣٤٦]) نظم الدرر ٣١٧/٥ .

وذكر ابن عاشور فائدة جميلة لتعريف جزأي الجملة ، أذكرها لتمام الفائدة .

..."ومورد الاستدلال المقصد المستفاد من تعريف جزأي الجملة ، وهو قصر إفراد، أي : لا يشركه غيره في جعل الليل والنهار ، أما كون الجعل المذكور بخلق الله ، فهم يُقرون به ، ولكنهم لما جعلوا له شركاء على الإجمال ؛ أُبطلت شركتهم بقصر التصرف في الأزمان على الله تعالى ، لأنه إذا بطل تصرفهم في بعض الموجودات ؛ اختلت حقيقة الإلهية عنهم ، إذ الإلهية لا تقبل التجزئة."[٣٤٧]

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد الحديث عن الآية السابقة :"ولما تضمنت هذه الآية الليل والنهار ، قال مصرحاً بهما دليلاً على الحق ، وإظهاراً للنعمة على الخلق : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ﴾."[٣٤٨]

المناسبة التي ذكرها ابن عاشور هي كقول البقاعي ، والمعنى واحد ، فلا خلاف بينهما ، و لم يذكر الرازي شيئاً من ذلك .

٤٤. قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ الفرقان: ٤٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استدلال على الانفراد بالخلق ، وامتنان بتكوين الرياح ، والأسحِبة ، والمطر ، ومناسبة الانتقال من حيث ما في الاستدلال الذي قبله ؛ من ذكر حال النشور والامتنان به ، فانتقل إلى ما في الرّياح من النشور ؛ بذكر وصفها ، بأنها نُشرٌ على قراءة الجمهور[٣٤٩]، أو لكونها كذلك في الواقع على قراءة عاصم[٣٥٠]،

([٣٤٧]) التحرير والتنوير ٤٤/١٩ .

([٣٤٨]) نظم الدرر ٣٢٤/٥ .

([٣٤٩]) قرأ الجمهور {نشراً} بالنون ، وقرأ عاصم {بشراً} بالباء .[ينظر التذكرة في القراءات الثمان لابن غلبون ٣٤٢/٢] .

ومردود الاستدلال ؛ قصر إرسال الرياح ، وما عطف عليه على الله تعالى ، إبطالاً لادّعاء الشركاء له في الإلهية ؛ بنفي الشركة في التصرف في هذه الكائنات ، وذلك ما لا ينكره المشركون كما تقدم مثله في قوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا ﴾ الفرقان: ٤٧."[٣٥١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما دل على عظمته بتصرفه في المعاني بالإيجاد والإعدام ، وختمه بالإماتة والإحياء بأسباب قريبة ، أتبعه التصرف في الأعيان بمثل ذلك، دالاًّ على الإماتة والإحياء بأسباب بعيدة ، وبدأه بما هو قريب للطافته من المعاني ، وفيه النشر الذي ختم به ما قبله ، فقال : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ ﴾."[٣٥٢]

لم يختلف ذكر ابن عاشور للمناسبة عن قول البقاعي ، فذهب إلى ما ذهب إليه ، ولكن ابن عاشور زاد كما زاد في سابقتها ، مورد الاستدلال على إبطال ادعاء الشركاء له في الإلهية ؛ بنفي الشركة في التصرف في هذه الكائنات .

٤٥. قال تعالى : ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِى كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾ الفرقان: ٥١ - ٥٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"جُملة اعتراض ؛ بين ذكر دلائل تفرد الله بالخلق ، وذكر منّته على الخلق ، ومناسبة موقع هذه الجملة ، وتفريعها بموقع الآية التي قبلها خفيَّة،

([٣٥٠]) عاصم بن أبي بهدلة أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي ، القارئ الإمام أبو بكر ، أحد السبعة ، انتهت إليه الإمامة في القراءة بالكوفة بعد شيخه أبي عبدالرحمن السلمي ، جمع بين الفصاحة ، والإتقان ، والتحرير ، والتجويد ، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، توفي آخر سنة سبع وعشرين ومائة ، وقيل : سنة ثمان وعشرين ، وقيل : سنة تسع وعشرين .[ينظر معرفة القراء الكبار للذهبي ٨٨/١ ؛ وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٣٤٦/١] .

([٣٥١]) التحرير والتنوير ٤٦/١٩ .

([٣٥٢]) نظم الدرر ٣٢٥/٥ .

وقال ابن عطية[353] في قوله : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴾ : اقتضاب يدل عليه ما ذكر ، تقديره : ولكنّا أفردناك بالنذارة ، وحمّلناك ، ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ﴾ .اهـ .[354].

فإن كان عنى بقوله : اقتضابٌ ، معنى الاقتضاب الاصطلاحي بين علماء الأدب ، والبيان ، وهو عدم مراعاة المناسبة بين الكلام المنتقَل منه ، والكلام المنتقَل إليه ، كان عدولاً عن التزام تطلب المناسبة بين هذه الآية ، والآية التي قبلها ، وليس الخلوّ عن المناسبة ببِدْع ، فقد قال صاحب «تلخيص المفتاح»[355]:"وقد يُنقل منه (أي : مما شبِّب به الكلام) إلى ما لا يلائمه (أي : لا يناسب المنتقل منه) ، ويسمى الاقتضاب ، وهو مذهب العرب ، ومن يليهم من المُخَضْرمين."الخ ، وإذا كان ابن عطية عنى بالاقتضاب معنى القطع (أي : الحذف من الكلام) أي إيجاز الحذف كما يشعر به قوله :"يدل عليه ما ذُكر تقديره"إلخ ، كأن لم يعرج على اتصال هذه الآية بالتي قبلها .

وفي الكشاف :"ولو شئنا لخففنا عنك أعباء نِذارة جميع القرى ، ولبعثنا في كل قرية نبياً يُنذرها ، وإنما قصرْنا الأمر عليك ، وعظّمناك على سائر الرسل (أي : بعموم الدعوة) ، فقابِل ذلك بالتصبر" اه .[356]

وقد قال الطّيبي :"ومدار السورة على كونه ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة ، ولذلك افتتحت بما يُثبت عموم رسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس بقوله تعالى : ﴿ لِيَكُونَ

---

(353) الإمام العلامة شيخ المفسرين أبو محمد عبدالحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي ، ولد سنة ثمانين وأربع مئة ، كان فقيها عارفا بالأحكام ، والحديث ، والتفسير ، بارع الأدب بصيرا بلسان العرب ، واسع المعرفة ، له يد في الإنشاء ، والنظم ، والنثر ، له التفسير المشهور المحرر الوجيز في شـ.رح الكتـ.اب العزيز ، مات في الخامس والعشرين من رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .[ينظر سير أعـ.لام النـ.بلاء للذهبي ٥٨٧/١٩ ؛ وطبقات المفسرين للسيوطي ص٦٠] .

(354) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية ٢١٤/٤ .

(355) ينظر ص٣٨٩ .

(356) ينظر الكشاف للزمخشري ٢٩٢/٣ .

﴿ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان: ١."

وليس في كلام «الكشاف» والطيبي ؛ إلاّ بيان مناسبة الآية لمهم أغراض السورة ؛ دون بيان مناسبتها للتي قبلها .

والذي أختاره أن هذه الآية متصلة بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ الفرقان: ٣٢ ، الآية ، فبعد أن بيّن إبطال طعنهم فقال : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ الفرقان: ٣٢ ، انتقل إلى تنظير القرآن بالكتاب الذي أوتيه موسى عليه السلام ، وكيف استأصل الله من كذبوه ، ثم استطرد بذكر أمم كذبوا رسلهم ، ثم انتقل إلى استهزاء المشركين بالنبي ﷺ ، وأشار إلى تحرج النبي ﷺ من إعراض قومه عن دعوته بقوله : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ الفرقان: ٤٣ .

وتسلسل الكلام بضرب المثل بمَدّ الظل وقبضه ، وبحال الليل والنهار ، وبإرسال الرياح ، أمارة على رحمة غيثه الذي تحيا به المُوَّتُ ؛ حتى انتهى إلى قوله : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ ، ويؤيد ما ذكرنا اشتمال التفريع على ضمير القرآن في قوله : ﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ ﴾ .

ومما يزيد هذه الآية اتصالاً بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ الفرقان: ٣٢ ، أن في بعث نذير إلى كل قرية ما هو أشدّ من تنـزيل القرآن مُجزَّأً ؛ فلو بعث الله في كل قرية نذيراً لقال الذين كفروا : لولا أرسل رسول واحد إلى الناس جميعاً ، فإن مطاعنهم لا تقف عند حد كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ فصلت: ٤٤."[٣٥٧]

([٣٥٧]) التحرير والتنوير ١٩/٥١ .

وقال الرازي –رحمه الله– :"أما قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ فالأقوى أن المراد من ذلك تعظيم النبي ﷺ ، وذلك لوجوه .

أحدها : كأنه تعالى بين له أنه مع القدرة على بعثة رسول ونذير في كل قرية ، خصه بالرسالة ، وفضله بها على الكل ، ولذلك أتبعه بقوله : ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي : لا توافقهم .

وثانيها : المراد ولو شئنا لخففنا عنك أعباء الرسالة إلى كل العالمين ، ولبعثنا في كل قرية نذيراً ، ولكنا قصرنا الأمر عليك ، وأجللناك ، وفضلناك على سائر الرسل ، فقابل هذا الإجلال بالتشدد في الدين.[٣٥٨]

وثالثها : أن الآية تقتضي مزج اللطف بالعنف ، لأنها تدل على القدرة على أن يبعث في كل قرية نذيراً مثل محمد ، وأنه لا حاجة بالحضرة الإلهية إلى محمد البتة ، وقوله: ﴿ وَلَوْ ﴾ يدل على أنه سبحانه لا يفعل ذلك ، فبالنظر إلى الأول يحصل التأديب، وبالنظر إلى الثاني يحصل الإعزاز."[٣٥٩]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما كان تعنتهم بأن ينـ.ـزل عليه ملك فيكون معه نذيراً ، ربما أثار في النفس طلب إجابتهم إلى مقترحهم حرصاً على هدايتهم ، فأوما أولاً: إلى أنه لا فائدة في ذلك ؛ بأن مؤازرة هارون لموسى –عليهما السلام– لم تغن عن القبط شيئاً .

وثانياً : بأن المدار في وجوب التصديق للنذير الإتيان بما يعجز ، وكان ذلك موجوداً في آيات القرآن ، المصرفة في كل زمان ومكان بكل بيان ، فكانت كل آية منه قائمة مقام نذير ، قال مشيراً إلى أنه إنما ترك ذلك لحكم يعلمها : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا

---

(٣٥٨) الرسول ﷺ لم يبعث بالتشدد بالدين وإنما بعث بالتيسير والتسهيل .

(٣٥٩) التفسير الكبير ٤٧٤/٨ .

لَبَعَثْنَا ﴾."[360]

المناسبة التي ذكرها الرازي أقوى ، ولو زِيْدَ عليها ، إعادة التسلية للنبي ﷺ ، لكان حسناً من وجهة نظر الباحث ، فلو قيل -ولله المثل الأعلى- لرجل عظيم الشأن في قومه بعد ما تنكر له قومه ، وأعرضوا عنه ، إليك هذه الولاية التي تتكون من عدة مدن تولَّ أمرها ، ولو شئنا لبعثنا في كل مدينة والياً عليها ، ولكنك أنت لها كفء ، لكان في هذا تسلية وتعظيم له ، بعد إعراض قومه عنه .

وقد جاءت الآية بعد الاستهزاء بالنبي ﷺ ، والسخرية منه ، وإعراض قومه عنه ، وذلك بعبادة غير الله .

وأورد البقاعي مناسبة حسنة ذكر فيها ، أن الله أرسل موسى عليه السلام ، وعضَّده بأخيه هارون عليه السلام ، فلم يجدِ ذلك نفعاً ، فما الفائدة من البعث لكل قرية ، فلا ينتظر المشركون الإجابة إلى مقترحاتهم ، وأنزل الله معجزةً تغني عن إرسال نذير لكل قرية ، فكل آية منه قائمة مقام نذير .

وأطنب ابن عاشور في ذكر متعلقات الآية ، فذكر أقوال عدد من العلماء ، ورصدها مبيناً ما تحتويه من ذكر المناسبة ، ثم أتبع ذلك برأيه ، فذكر صلة الآية وتعلقها بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ ، ومع هذا كله فهو لم يتطرق إلى ذكر وجه المناسبة ، فاكتفى بذكر تعلق الآية وصلتها ، دون ذكر وجه هذا التعلق .

٤٦. قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ﴾ الفرقان: ٥٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عود إلى الاستدلال على تفرده تعالى بالخلق[361]،

([360]) نظم الدرر ٣٢٧/٥ .

جمعت هذه الآية استدلالاً ، وتمثيلاً ، وتثبيتاً ، ووعداً ؛ فصريحُها استدلال على شيء عظيم من آثار القدرة الإلهية ، وهو التقاء الأنهار والأبحر كما سيأتي ، وفي ضمنها تمثيل لحال دعوة الإسلام في مكة يومئذ ، واختلاط المؤمنين مع المشركين بحال تجاوز البحرين، أحدهما عذب فرات ، والآخر ملح أُجاج ، وتمثيل الإيمان بالعذب الفرات ، والشرك بالملح الأجاج ، وأن الله تعالى كما جعل بين البحرين برزخاً ؛ يحفظ العذب من أن يكدره الأجاج ، كذلك حجز بين المسلمين والمشركين ، فلا يستطيع المشركون أن يدسّوا كفرهم بين المسلمين ، وفي هذا تثبيت للمسلمين ؛ بأن الله يحجز عنهم ضر المشركين لقوله : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾ آل عمران: ١١١، وفي ذلك تعريض كنائي ؛ بأن الله ناصر لهذا الدين من أن يكدره الشرك .

ولأجل ما فيها من التمثيل ، والتثبيت ، والوعد ، كان لموقعها عقب جملة ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٢ ؛ أكملُ حسن ، وهي معطوفة على جملة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ الفرقان: ٤٨ ، ومناسبة وقوعها عقب التي قبلها أن كلتيهما استدلال بآثار القدرة في تكوين المياه المختلفة."[٣٦٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر تصريف الفرقان ، ونشره في جميع البلدان، بعد إثارة الرياح ونشر السحاب ، وخلط الماء بالتراب لجمع النبات وتفريقه ، أتبعه - تذكيراً بالنعمة ، وتحذيراً من إحلال النقمة - الحجز بين أنواع الماء الذي لا أعظم امتزاجاً منه ، وجمع كل نوع منها على حدته ، ومنعه من أن يختلط بالآخر ؛ مع اختلاط الكل بالتراب المتصل بعضه ببعض ، فقال عائداً إلى أسلوب الغيبة ؛ تذكيراً بالإحسان بالعطف على ضمير « الرب » في آية الظل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾."[٣٦٣]

([٣٦١]) هذا من التفسيري الإشاري .

([٣٦٢]) التحرير والتنوير ١٩/٥٤ .

([٣٦٣]) نظم الدرر ٥/٣٢٧ .

أجاد ابن عاشور في ذكر المعنى والمناسبة ، وكان لفهمه الصحيح لمعنى الآية الأثر الأكبر في سوق المناسبة على هذا الوجه ، فعدم معرفة العلماء السابقين للمراد من قوله : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ ، جعلهم أبعد بكثير من قول ابن عاشور .

ونذكر هنا الأقوال التي أدت إلى الفهم غير الصحيح ، ثم نتبعها بالفهم الصحيح الذي ذكره ابن عاشور حتى يتضح المراد .

قال الرازي في ختام حديثه عن الآية :"لا وجود للبحر العذب ، فكيف ذكره الله تعالى ههنا؟ لا يقال : هذا مدفوع من وجهين .

الأول : أن المراد منه الأودية العظام كالنيل وجيحون .

الثاني : لعله جعل في البحار موضعاً يكون أحد جانبيه عذباً والآخر ملحاً .

لأنا نقول : أما الأول فضعيف ، لأن هذه الأودية ليس فيها ملح ، والبحار ليس فيها ماء عذب ، فلم يحصل البتة موضع التعجب ، وأما الثاني فضعيف ، لأن موضع الاستدلال لا بد وأن يكون معلوماً ، فأما بمحض التجويز فلا يحسن الاستدلال .

لأنا نقول المراد من البحر العذب هذه الأودية ، ومن الأجاج البحار الكبار ، وجعل بينهما برزخاً ، أي : حائلاً من الأرض ، ووجه الاستدلال ههنا بين ، لأن العذوبة والملوحة إن كانت بسبب طبيعة الأرض ، أو الماء ، فلا بد من الاستواء ، وإن لم يكن كذلك ، فلا بد من قادر حكيم يخص كل واحد من الأجسام بصفة خاصة معينة."[٣٦٤]

وقال البقاعي في ثنايا حديثه عن الآية :"ولعله أشار بأداة القرب في الموضعين تنبيهاً على وجود الموضعين مع شدة المقاربة لا يلتبس أحدهما بالآخر ، حتى أنه إذا حفر على شاطئ البحر الملح بالقرب منه جداً ؛ خرج الماء عذباً جداً."[٣٦٥]

([٣٦٤]) التفسير الكبير ٤٧٥/٨ .

([٣٦٥]) نظم الدرر ٣٢٨/٥ .

وقال ابن عاشور :"وأريد هنا ملتقى ماء نهري الفرات والدجلة مع ماء بحر خليج العجم."(٣٦٦)

٤٧. قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٤ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"مناسبة موقع هذا الاستدلال بعد ما قبله ؛ أنه استدلال بدقيق آثار القدرة في تكوين المياه ، وجعلها سبب حياة مختلفة الأشكال والأوضاع ، ومن أعظمها دقائق الماء الذي خلق منه أشرف الأنواع التي على الأرض ، وهو نطفة الإنسان ؛ بأنها سبب تكوين النسل للبشر ، فإنه يكون أول أمره ماء ، ثم يتخلّق منه البشر العظيم ، فالتنوين في قوله : ﴿ بَشَرًا ﴾ للتعظيم."(٣٦٧)

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما ذكر تعالى قدرته في منع الماء من الاختلاط ، أتبعه القدرة على خلطه ، لئلا يظن أنه ممتنع ، تقريراً للفعل بالاختيار ، وإبطالاً للقول بالطبائع ، فقال معبراً بالضمير كما تقدمه ؛ حثاً على استحضار الأفعال والصفات التي تقدمت ؛ لتعرف الحيثية التي كرر الضمير لأجلها : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾."(٣٦٨)

المناسبتان مختلفتان ، والمراد واحد ، وهو القدرة ، وقد أجاد ابن عاشور في ذكر المناسبة هنا .

أما البقاعي فذهب بعيداً في ذكر المناسبة ، فليس فيما ذكره دليل على الاختلاط، ولم يذكر وجه هذا الاختلاط ، وليس في الآية ولا الآيات السابقات ، ولا اللاحقات ما يدل على ما ذكر .

---

(٣٦٦) التحرير والتنوير ٥٤/١٩ .

(٣٦٧) التحرير والتنوير ٥٥/١٩ .

(٣٦٨) نظم الدرر ٣٢٨/٥ .

٤٨. قال تعالى : ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وقد أشار إلى ما في هذا الخلق العجيب ؛ من دقائق نظام إيجاد طبيعي واجتماعي بقوله : ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ أي : عظيم القدرة ؛ إذْ أوجد من هذا الماء خَلْقاً عظيماً صاحب عقل ، وتفكير ، فاختص باتصال أواصر النسب وأواصر الصهر ، وكان ذلك أصل نظام الاجتماع البشري لتكوين القبائل والشعوب ، وتعاونهم ، مما جاء بهذه الحضارة المرتقية مع العصور والأقطار ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ الحجرات: ١٣ .

وفي تركيب ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ من دقيق الإيذان بأن قدرته راسخة واجبة له ؛ مُتصف بها في الأزل بما اقتضاه فعل ﴿ وَكَانَ ﴾ ، وما في صيغة «قدير» من الدلالة على قوة القدرة المقتضية تمام الإرادة والعلم."[٣٦٩]

وقال الرازي -رحمه الله- :"﴿ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر ؛ الذكر والأنثى."[٣٧٠]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ وَكَانَ رَبُّكَ ﴾ أي : المحسن إليك بإرسالك ، وإنزال هذا الذكر إليك ، ﴿ قَدِيرًا ﴾ على كل شيء ؛ قدرته على ما ذكر من إبداع هذه الأمور المتباعدة من مادة واحدة ، فهو يوفق من يشاء ، فيجعله عذب المذاق ، سهل الأخلاق ، ويخذل من يشاء ، فيجعله مرير الأخلاق ، كثير الشقاق ، أو ملتبس الأخلاق، عريقاً في النفاق ، فارغب إلى هذا الرب الشامل القدرة التام العلم."[٣٧١]

([٣٦٩]) التحرير والتنوير ١٩/٥٦ .

([٣٧٠]) التفسير الكبير ٨/٤٧٥ .

([٣٧١]) نظم الدرر ٥/٣٢٩ .

ما ذكره ابن عاشور في مناسبة التذييل بهذه الصفة أفضل ما قيل ، وما ذكره الرازي حسن ، أما ما ذهب إليه البقاعي فليس للأخلاق علاقة هنا في هذا الموضع ، والأخلاق أي : أخلاق المشركين التي من الممكن أن يكون البقاعي قد بنا عليها المناسبة، بعيدة في الذكر ، وفصل بينهما بعدة فواصل .

٤٩. قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ الفرقان: ٦١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف ابتدائي ؛ جعل تمهيداً لقوله : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ الفرقان: ٦٣ ، الآيات ، التي هي محصول الدعامة الثالثة من الدعائم الثلاث ، التي أقيم عليها بناء هذه السورة ، وافتتحت كل دعامة منها بـ. ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي ﴾ إلخ ، كما تقدم في صدر السورة ، وافتتح ذلك بإنشاء الثناء على الله بالبركة والخير ؛ لما جعله للخلق من المنافع."[٣٧٢]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما حكى عن الكفار مزيد النفرة عن السجود ؛ ذكر ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرحمن ، فقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾."[٣٧٣]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر حال النذير الذي ابتدأ به السورة في دعائه إلى الرحمن ؛ الذي لو لم يدع إلى عبادته إلا رحمانيته لكفى ، فكيف بكل جمال وجلال ، فأنكروه ؛ اقتضى الحال أن يوصل به إثباته ؛ بإثبات ما هم عالمون به من آثار رحمانيته ، ففصَّل ما أجمل بعد ذكر حال النذير ، ثم من الملك ، مصدِّراً له بوصف الحق الذي جعله مطلع السورة ، راداً لما تضمن إنكارهم من نفيه ، فقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي

([٣٧٢]) التحرير والتنوير ١٩/٦٣ .

([٣٧٣]) التفسير الكبير ٨/٤٧٩ .

﴿ ٱلسَّمَآءِ ﴾."[374]

المناسبة التي ذكرها الرازي ، والبقاعي ، أفضل في ربط الآية بما قبلها ، وهما متقاربتان في الجملة ، وما ذهب إليه ابن عاشور حسن أيضاً .

ويمكن الجمع فيقال : أنه لما حكى إنكار الكفار للرحمن وإعراضهم عن السجود له ، جيء بما يرونه ويعرفونه من آثار رحمة الله ؛ التي لو تفكروا فيها لعلموا أنه الرحمن الإله الحق ؛ الذي وحده يستحق العبادة والسجود .

والآية تمهيدٌ لقوله تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾.

٥٠. قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ الفرقان: ٦٣ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"عطف جملة على جملة ، فالجملة المعطوفة هي : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ فهو مبتدأ ، وخبره ﴿ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ ، وقيل : الخبر ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ الفرقان: ٧٥ ، والجملةُ المعطوف عليها جملة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ الفرقان: ٦٢ ، فبمناسبة ذكر من أراد أن يذّكّر ، تُخلّص إلى خصال المؤمنين أتباع النبي ﷺ ؛ حتى تستكمل السورة أغراض التنويه بالقرآن ومن جاء به ، ومن اتبعوه ، كما أشرنا إليه في الإلمام بأهم أغراضها في طالعة تفسيرها ، وهذا من أبدع التخلص ؛ إذْ كان مفاجئاً للسامع ، مطمعاً أنه استطراد عارض كسوابقه ؛ حتى يُفاجئه ما يؤذن بالختام ، وهو ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى ﴾ الفرقان: ٧٧ ، الآية."[375]

([374]) نظم الدرر ٣٣٢/٥ .

([375]) التحرير والتنوير ٦٦/١٩ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر عباده الذين خذلهم بتسليط الشيطان عليهم؛ فصاروا حزب الشيطان ، و لم يصفهم إلى اسم من أسمائه ، إيذاناً بإهانتهم لهوانهم عنده ، وهم الذين صرح بهم قوله أول السورة ﴿ نَذِيرًا ﴾ ، وختم بالتذكر والشكر ، إشارة إلى عباده الذين أخلصهم لنفسه ، وأشار إليهم سابقاً بتخصيص الوصف بالفرقان، فأتبع ذلك ذكرهم ، فقال عاطفاً على جملة الكلام في قوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾ ، لكنه رفعهم بالابتداء تشريفاً لهم ﴿ وَعِبَادُ ﴾ .

ويجوز أن يقال ولعله أحسن : أنه سبحانه لما وصف الكفار في هذه السورة ؛ بما وصفهم به من الفظاظة والغلظة على النبي ﷺ ، وعداوتهم له ، ومظاهرتهم على خالقهم ، ونحو ذلك من جلافتهم ، وختم بالتذكر والشكر ، وكان التقدير : فعباد الشيطان لا يتذكرون ولا يشكرون ؛ لما لهم من القسوة ، عطف على هذا المقدر أضدادهم ، واصفاً لهم بأضداد أوصافهم ، مبشراً لهم بضد جزائهم ، فقال : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾."[٣٧٦]

المناسبة التي ذكرها ابن عاشور كقول البقاعي ، ولكن باختصار ، وما ذهب إليه البقاعي في الوجه الثاني من المناسبة أحسن ، والله أعلم .

([٣٧٦]) نظم الدرر ٥/٣٣٤ .



سورة الشعراء ، والنمل ، والقصص ، وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : سورة الشعراء . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتها ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثاني : سورة النمل . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتها ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلب الثاني : مناسبات الآيات .

المبحث الثالث : سورة القصص . وفيه تمهيد ، ومطلبان .

التمهيد : وفيه اسم السورة ، ونوعها ، وترتيبها في المصحف ، وعدد آياتها ونظيرها في العدد .

المطلب الأول : أغراض السورة .

المطلـب الثـاني : مناسبات الآيات .



المطلب الأول : أغراض السورة

المطلب الثاني : مناسبات الآيات



اسم السورة : الشعراء ، ووقع في تفسير الإمام مالك تسميتها بسورة الجامعة(٣٧٧)

نوع السورة : مكية في قول الجمهور ، وقال مقاتل(٣٧٨): منها مدني ؛ الآية التي يذكر فيها الشعراء وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الشعراء: ١٩٧ ، وقال ابن عباس ﷺ وقتادة : مكية إلا أربع آيات منها نزلت بالمدينة ، من قوله تعالى : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ الشعراء: ٢٢٤ إلى آخرها.(٣٧٩)

ترتيبها في المصحف : السادسة والعشرون .

عدد آياتها : مائتان وست وعشرون آية ، وقيل سبع وعشرون.(٣٨٠)

نظيرها في العدد : لا نظير لها في عدد آياتها .

---

(٣٧٧) ذكره ابن كثير في تفسيره ٣٣٢/٣ ، ولم أقف على قول الإمام مالك .

(٣٧٨) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، بالولاء الخراساني المروزي ، أصله من بلخ ، وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها ، وكان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز ، وله التفسير المشهور ، قال البخاري : مقاتل لا شيء البتة ، وقد أجمعوا على تركه ، مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومئة .[ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠٢/٧ ؛ ووفيات الأعيان وأنباء الزمان لابن خلكان ٢٥٥/٥].

(٣٧٩) ينظر تفسير القرطبي ٨٧/١٣ .

(٣٨٠) البيان في عد آي القرآن للداني ص ١٩٦ .

أغراض سورة الشعراء

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"الأغراض التي اشتملت عليها :

أولها : التنويه بالقرآن ، والتعريض بعجزهم عن معارضته ، وتسلية النبي ﷺ على ما يلاقيه من إعراض قومه عن التوحيد ؛ الذي دعاهم إليه القرآن .

وفي ضمنه تهديدهم على تعرضهم لغضب الله تعالى ، وضرب المثل لهم بما حل بالأمم المكذبة رسلها ، والمعرضة عن آيات الله .

وأحسب أنها نزلت إثر طلب المشركين أن يأتيهم الرسول بخوارق ، فافتتحت بتسلية النبي ﷺ ، وتثبيت له ، ورباطة لجأشه ، بأن ما يلاقيه من قومه ؛ هو سنة الرسل من قبله مع أقوامهم ، مثل موسى ، وإبراهيم ، ونوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب، ولذلك ختم كل استدلال جيء به على المشركين المكذبين بتذييل واحد هو قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ الشعراء: ٨ - ٩ ، تسجيلا عليهم بأن آيات الوحدانية وصدق الرسل عديدة كافية لمن يتطلب الحق .

ولكن أكثر المشركين لا يؤمنون ، وأن الله عزيز قادر على أن يُنزل بهم العذاب، وأنه رحيم برسله ، فناصرهم على أعدائهم .

قال في الكشاف :"كل قصة من القصص المذكورة في هذه السورة كتنزيل برأسه ، وفيها من الاعتبار ما في غيرها ، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق ؛ في أن تختم بما اختتمت به صاحبتها ، ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس ، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب ، وأرسخ في الفهم ، وأبعد من النسيان ، ولأن هذه القصص طُرِقَت بها آذانٌ وقَرَتْ عن الإنصات للحق ، فكُوثرت بالوعظ والتذكير ، وروجعت

بالترديد والتكرير ؛ لعل ذلك يفتح أذناً ، أو يفتق ذهناً."[381]

ثم التنويه بالقرآن ، وشهادة أهل الكتاب له ، والرد على مطاعنـ ـهم في القـ ـرآن وجعله عضين ، وأنه منـ ـزه عن أن يكون شعراً ومن أقوال الشياطين ، وأمر الرسول ﷺ بإنذار عشيرته ، وأن الرسول ما عليه إلا البلاغ ، وما تخلل ذلك من دلائل ."[382]

([381]) ينظر الكشاف للزمخشري ٣/٣٣٩ .

([382]) التحرير والتنوير ١٩/٩٠ .

مناسبات الآيات في سورة الشعراء

١. قال تعالى : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ الشعراء: ٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف بياني ناشئ عن قوله : ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء: ٣ ، لأن التسلية على عدم إيمانهم ، تثير في النفس سؤالاً عن إمهالهم دون عقوبة ليؤمنوا كما قال موسى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ يونس: ٨٨ ، فأجيب بأن الله قادر على ذلك ، فهذا الاستئناف اعتراض بين الجملتين المعطوفة إحداهما على الأخرى."[٣٨٣]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان المحب ميالاً إلى ما يريد حبيبه ؛ أعلمهم أن كل ما هم فيه بإرادته فقال : ﴿ إِن نَّشَأْ ﴾."[٣٨٤]

قول ابن عاشور في المناسبة فيه شيء مما قاله البقاعي ، وذلك في قول البقاعي : (أعلمهم أن كل ما هم فيه بإرادته) ، وقول ابن عاشور : (فأجيب بأن الله قادر على ذلك) .

٢. قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الشعراء: ٩ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تذييل لهذا

---

(٣٨٣) التحرير والتنوير ٩٤/١٩ .

(٣٨٤) نظم الدرر ٣٤٧/٥ .

الخبر ، بوصف الله بالعزة ، أي : تمام القدرة ، فتعلمون أنه لو شاء لعجّل لهم العقاب ، وبوصف الرحمة إيماء إلى أن في إمهالهم رحمة بهم لعلهم يشكرون ، ورحيم بك قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ﴾ الكهف: ٥٨ ، وفي وصف الرحمة إيماء إلى أنه يرحم رسله بتأييده ونصره."[٣٨٥]

وقال الرازي -رحمه الله- :"فأما قوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، فإنما قدم ذكر العزيز على ذكر الرحيم ، لأنه لو لم يقدمه لكان ربما قيل إنه رحمهم لعجزه عن عقوبتهم ، فأزال هذا الوهم بذكر العزيز ، وهو الغالب القاهر ، ومع ذلك فإنه رحيم بعباده ، فإن الرحمة إذا كانت عن القدرة الكاملة كانت أعظم وقعاً ، والمراد أنهم مع كفرهم وقدرة الله على أن يعجل عقابهم ؛ لا يترك رحمتهم ، بما تقدم ذكره من خلق كل زوج كريم من النبات ، ثم من إعطاء الصحة والعقل والهداية."[٣٨٦]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان المقام لإنزال الآية القاهرة ، قدم قوله : ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ أي : القادر على كلٍ من قسرهم على الإيمان والانتقام منهم ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ في أنه لم يعاجلهم بالنقمة ، بل أنزل عليهم الكتاب ترفقاً بهم ، وبياناً لما يرضاه ، ليقيم به الحجة على من أريد للهوان ، ويقبل بقلوب من يختصه منهم للإيمان."[٣٨٧]

الأقوال في ذِكر مناسبة التذييل متقاربة ، والمعنى المراد واحد ، فابن عاشور استفاد من قول سابقية فيما ذَكر ، ولم يأت بجديد .

٣. قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الشعراء: ١٠.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"شروع في عدّ آيات على صدق الرسول ﷺ ، بذكر عواقب المكذبين برسلهم ، ليحذر المخاطبون بالدعوة إلى الإسلام من أن يصيبهم

---

(٣٨٥) التحرير والتنوير ١٠٢/١٩ .

(٣٨٦) التفسير الكبير ٤٩٢/٨ .

(٣٨٧) نظم الدرر ٣٤٩/٥ .

ما أصاب المكذبين ، وفي ضمن ذلك تبيين لبعض ما نادى به الرسل من البراهين .

وإذ قد كانت هذه الأدلة من المثلات ، قصد ذكر كثير اشتهر منها ، ولم يُقتصر على حادثة واحدة ، لأن الدلالة غير العقلية يتطرقها احتمال عدم الملازمة ؛ بأن يكون ما أصاب قوماً من أولئك على وجه الصدفة والاتفاق ، فإذا تبين تكرر أمثالها ؛ ضعُف احتمال الاتفاقية ، لأن قياس التمثيل لا يفيد القطع ؛ إلا بانضمام مقومات له من تواتر وتكرر .

وإنما ابتدىء بذكر قصة موسى ، ثم قصة إبراهيم على خلاف ترتيب حكاية القصص الغالب في القرآن ؛ من جعلها على ترتيب سبقها في الزمان ، لعلّهُ لأن السورة نزلت للرد على المشركين في إلحاحهم على إظهار آيات من خوارق العادات في الكائنات، زاعمين أنهم لا يؤمنون إلا إذا جاءتهم آية ، فضرب لهم المثل بمكابرة فرعون وقومه في آيات موسى إذ قالوا : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يونس: ٢ .

وعُطف ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ عطف جملة على جملة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ الشعراء: ٧ ، بتمامها."[٣٨٨]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما اقتضى وصف العزة الإهلاك ، ووصف الرحمة الإمهال ، وكان الأول مقدماً ، وكانت عادتهم تقديم ما هم به أهم ، وهو لهم أعنى ، خيفت غائلته ، فأتبع ذلك أخبار هذه الأمم ، دلالة على الوصفين معاً ترغيباً وترهيباً ، ودلالة على أن الرحمة سبقت الغضب ، وإن قدم الوصف اللائق به ، فلا يعذب إلا بعد البيان مع طول الإمهال ، وأخلى قصة أبيهم إبراهيم عليه السلام من ذكر الإهلاك ، إشارة إلى البشارة بالرفق ببنيه العرب في الإمهال ، كما رفق بهم في الإنزال والإرسال ، ولما كان مع ذلك في هذه القصة تسلية للنبي ﷺ فيما يقاسيه من الأذى والتكذيب ، وكانت التسلية بموسى وإبراهيم –عليهما السلام– أتم ، لما لهما من القرب ، والمشاركة في الهجرة، والقصد إلى الأرض المقدسة ، وكان قد اختص موسى عليه السلام بالكتاب ، الذي ما

---

(٣٨٨) التحرير والتنوير ١٠٣/١٩ .

بعد القرآن مثله ، والآيات التي ما أتى بمثلها أحد قبله ، وإقرار عينه بهداية قومه ، وحفظهم بعده بالكتاب ، وسياسة الأنبياء المجددين لشريعته ، وعدم استئصالهم بالعذاب، والانتقام بأيديهم من جميع أعدائهم ، وفتح بلاد الكفرة على أيديهم بعده ﷺ ، إلى غير ذلك مما شابهوا به هذه الأمة ؛ مع مجاورتهم للعرب حتى في دار الهجرة ، وموطن النصرة، ليكون في إقرارهم على ما يسمعون من أخبارهم أعظم معجزة ، وأتم دلالة ، قدمهما ، مقدماً لموسى - عليهما السلام ، والتحية والإكرام - فإن كان القصد تسكين ما أورثه آخر تلك من خوف الملازمة بالعذاب نظراً إلى وصف العزة ، فالتقدير : اذكر أثر رحمتنا بطول إمهالنا لقومك - وهم على أشد ما يكون من الكفر والضلال في أيام الجاهلية - برحمتنا الشاملة بإرسالك إليهم ، وأنت أشرف الرسل ، وإنزال هذا الكتاب الذي هو أعظم الكتب."[389]

المناسبتان المذكورتان حسنة ، وما ذكر ابن عاشور في مناسبة البدء بقصة موسى ﷺ ، أفضل مما ذكر البقاعي ، وأدق في ذكر تقديم القصة .

٤. قال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ الشعراء: ٦٩ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عُقبت قصة موسى مع فرعون وقومه بقصة رسالة إبراهيم ، وقدمت هنا على قصة نوح على خلاف المعتاد في ترتيب قصصهم في القرآن ، لشدة الشبه بين قوم إبراهيم وبين مشركي العرب في عبادة الأصنام ؛ التي لا تسمع ولا تبصر ، وفي تمسكهم بضلال آبائهم ، وأن إبراهيم دعاهم إلى الاستدلال على انحطاط الأصنام عن مرتبة استحقاق العبادة ، ليكون إيمان الناس مستنداً لدليل الفطرة ، وفي أن قوم إبراهيم لم يسلط عليهم من عذاب الدنيا ، مثل ما سلط على قوم نوح ، وعلى عاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وأهل مدين ، فأشبهوا قريشاً في إمهالهم .

فرسالة محمد وإبراهيم -صلى الله عليهما- قائمتان على دعامة الفطرة في العقل

---

[389] نظم الدرر ٥/٣٤٩ .

والعمل ، أي : في الاعتقاد والتشريع ، فإن الله ما جعل في خلق الإنسان هذه الفطرة ليضيعها ويهملها ، بل ليقيمها ويعملها ، فلما ضرب الله المثل للمشركين لإبطال زعمهم؛ أنهم لا يؤمنون حتى تأتيهم الآيات كما أوتي موسى ، فإن آيات موسى وهي أكثر آيات الرسل السابقين ، لم تقض شيئاً في إيمان فرعون وقومه ، لما كان خلقهم المكابرة والعناد ، أعقب ذلك بضرب المثل بدعوة إبراهيم ، المماثلة لدعوة محمد ﷺ في النداء على إعمال دليل النظر."[٣٩٠]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى ذكر في أول السورة ، شدة حزن محمد ﷺ بسبب كفر قومه ، ثم إنه ذكر قصة موسى عليه السلام ؛ ليعرف محمد أن مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى ، ثم ذكر عقبها قصة إبراهيم عليه السلام ؛ ليعرف محمد أيضاً أن حزن إبراهيم عليه السلام بهذا السبب كان أشد من حزنه ، لأن من عظيم المحنة على إبراهيم عليه السلام أن يرى أباه وقومه في النار ، وهو لا يتمكن من إنقاذهم إلا بقدر الدعاء والتنبيه ، فقال لهم : ﴿ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾."[٣٩١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أتم سبحانه ما أراد من قصة موسى عليه السلام ، أتبعه دلالة على رحيميته قصة إبراهيم عليه السلام ، لِما تقدم أنه شاركه فيه مما يسلي عما وقع ذكره عنهم من التعنتات في الفرقان ، ولما اختص به من مقارعة أبيه وقومه في الأوثان ، وهو أعظم آباء العرب ، ليكون ذلك حاملاً لهم على تقليده في التوحيد ؛ إن كانوا لا ينفكون عن التقليد ، وزاجراً عن استعظام تسفيه آبائهم في عبادتها."[٣٩٢]

ذكر ابن عاشور أن مناسبة ذكر قصة إبراهيم عليه السلام ، بعد قصة موسى عليه السلام ، لشدة الشبه بين قوم إبراهيم عليه السلام ؛ وبين مشركي العرب في عبادة الأصنام ، وبتمسكهم بضلال آبائهم ، وفي أنّ المنهج المتبع في دعوة إبراهيم ومحمد -عليهما السلام- لقومهما متشابهان في الاستدلال على انحطاط الأصنام عن مرتبة استحقاق العبادة ، ليكون إيمان

([٣٩٠]) التحرير والتنوير ١٩/١٣٧ .

([٣٩١]) التفسير الكبير ٨/٥٠٩ .

([٣٩٢]) نظم الدرر ٥/٣٦٦ .

الناس مستنداً لدليل الفطرة ، وكذلك أن الله لم يسلط عليهم من عذاب الدنيا مثل قوم نوح وغيره ، فأشبهوا قريشاً في إمهالهم .

وذكر الرازي أنه لما ذكر حزن النبي ﷺ بسبب كفر قومه في أول السورة ، أتبعه بقصة موسى عليه السلام ، ليعرف أن مثل تلك المحنة كانت حاصلة لموسى ، ثم أتبعه بذكر قصة إبراهيم عليه السلام ، ليعرف أن حزن إبراهيم أشد من حزنه ﷺ .

وذكر البقاعي أنه للشبه بين قوم إبراهيم عليه السلام ؛ وبين المشركين في تعنتهم ، وعبادة الأوثان ، وكون المشركين لا ينفكون عن التقليد ، ذكرت قصة إبراهيم عليه السلام هنا، لأنه أعظم آباء العرب ، ليكون ذلك حاملاً لهم على تقليده في التوحيد ؛ إن كانوا لا ينفكون عن التقليد ، وزاجراً عن استعظام تسفيه آبائهم في عبادتها .

ما ذكره ابن عاشور فيه شبه في بعض أجزائه مما قاله البقاعي ، واختلف عنهم الرازي ، وكلٌّ حسن فيما ذكر .

٥. قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الشعراء: ١٠٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف لتسلية الرسول ﷺ ، ناشيءٌ عن قوله : ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء: ١٠٣ ، أي : لا تأس عليهم ، ولا يعظم عليك أنهم كذّبوك ، فقد كذبت قوم نوح المرسلين ، وقد علم العرب رسالة نوح ، وكذلك شأن أهل العقول الضالّة ؛ أنهم يعرفون الأحوال ، وينسون أسبابها."[٣٩٣]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما قص على محمد ﷺ خبر موسى وإبراهيم -عليهما السلام- ، تسلية له فيما يلقاه من قومه ، قص عليه أيضاً نبأ نوح عليه السلام ، فقد كان نبؤه أعظم من نبأ غيره ، لأنه كان يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ومع

([٣٩٣]) التحرير والتنوير ١٥٦/١٩ .

ذلك كذبه قومه ، فقال : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾."[394]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما أتم سبحانه قصة الأب الأعظم الأقرب ، أتبعها – دلالة على وصفي العزة والرحمة – قصة الأب الثاني ، مقدماً لها على غيرها ، لما له من القدم في الزمان ، إعلاماً بأن البلاء قديم ، ولأنها أدل على صفتي الرحمة والنقمة ؛ التي هي أثر العزة بطول الإملاء لهم على طول مدتهم ، ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع أهل الأرض فقال : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾."[395]

المناسبة التي ذكرها الرازي والبقاعي ، أفضل من حيث ذكر وجه الشبه بين القصتين ، وما ذكره ابن عاشور حسن .

ويمكن الجمع فيقال : لما ذكر قصة أبا العرب إبراهيم ، أتبعها قصة الأب الآخر ، لأن نبأه أعظم من نبأ غيره من المرسلين ؛ في طول مدة الدعوة ، ومع ذلك كذبه قومه ، وفي هذا تسلية للنبي ﷺ .

٦. قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الشعراء: ١٩٢ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"عود إلى ما افتتحت به السورة من التنويه بالقرآن، وكونه الآية العظمى بما اقتضاه قوله : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ الشعراء: ٢ ؛ كما تقدم ، لتختتم السورة بإطناب التنويه بالقرآن ؛ كما ابتُدئت بإجمال التنويه به ، والتنبيه على أنه أعظم آية اختارها الله ؛ أن تكون معجزة أفضل المرسلين ، فضمير ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ عائد إلى معلوم من المقام ، بعد ذكر آيات الرسل الأولين ، فبواو العطف اتصلت الجملة بالجمل التي قبلها ، وبضمير القرآن اتصل غرضها بغرض صدر السورة .

([394]) التفسير الكبير ٥٢٠/٨ .

([395]) نظم الدرر ٣٧٣/٥ .

فجملة ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ معطوفة على الجمل التي قبلها ؛ المحكية فيها أخبار الرسل المماثلة أحوال أقوامهم ؛ لحال قوم محمد ﷺ ، وما أيدهم الله به من الآيات، ليعلم أن القرآن هو آية الله لهذه الأمة ، فعطفها على الجمل التي مثلها ؛ عطف القصة على القصة لتلك المناسبة ، ولكن هذه الجملة متصلة في المعنى بجملة ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ الشعراء: ٢ ، بحيث لولا ما فصل بينها وبين الأخرى من طول الكلام ، لكانت معطوفة عليها ، ووُجِّه الخطاب إلى النبي ﷺ ، لأن في التنويه بالقرآن تسلية له على ما يلاقيه من إعراض الكافرين عن قبوله وطاعتهم فيه."[٣٩٦]

وقال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أن الله تعالى لما ختم ما اقتصه من خبر الأنبياء ، ذكر بعد ذلك ما يدل على نبوته ﷺ."[٣٩٧]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما كانت آثار هذه القصص آيات مرئيات ، والإخبار بها آيات مسموعات ، وكان في اطراد إهلاك العاصي وإنجاء الطائع في كل منهما ، على تباعد الأعصار ، وتناهي الأقطار ، واختلاف الديار ، أعظم دليل على صدق الرسل ، وتقرير الرسالات لتوافقهم في الدعوة إلى الله ، وتواردهم على التوحيد ، والعدل مع العزوف عن الدنيا ؛ التي هي شر محض ، والإقبال على الآخرة ؛ التي هي خير صرف ، والتحلي بما أطبق العباد على أنه معالي الأخلاق ومحاسن الأعمال ، والتخلي عن جميع الدنايا ، والتنـ.ـزه عن كل نقص ، عطف على قوله أول السورة : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ ﴾ الآية ، الإخبار برسالة محمد ﷺ ، إشارة إلى ما في الإخبار عن آثار هذه القصص بالآيات المسموعات ؛ من عظيم الدلالات على رسالته ﷺ ، بما فيها من الإعجاز من جهة التركيب والترتيب ، وغير ذلك من عجيب الأساليب ، الذي لم تؤته أمة من الأمم السالفات ، ومن جهة أن الآتي بتلك القصص الغريبة ، والأنباء البديعة العجيبة ، أمي لم يخالط عالماً ، مع شدة ملائمة القرآن لخصوص ما في قصة شعيب عليه السلام ؛ من العدل في

([٣٩٦]) التحرير والتنوير ١٨٨/١٩ .

([٣٩٧]) التفسير الكبير ٥٣٠/٨ .

الكيل والوزن ؛ الذي هو مدار القرآن ، ومن أنه الظلة الجامعة للخير ، والفسطاط الدافع لكل ضير ، فقال رداً للمقطع على المطلع : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾."[٣٩٨]

قول ابن عاشور أفضل الأقوال ، وأكملها من حيث التفصيل ، وهو قريب من قول البقاعي ، إلا أنهما اختلفا في ذكر العطف وعود الآية ، وقولهما في الجملة يعود إلى ما ذكره الرازي من أنه إثبات لنبوة محمد ﷺ .

٧. قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ الشعراء: ٢٠٠ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"تقدم نظير أول هذه الآية في سورة الحجر[٣٩٩]، إلاّ أن آية الحجر قيل فيها : ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ ﴾ الحجر: ١٢، وفي هذه الآية قيل ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ ، والمعنى في الآيتين واحد ، والمقصود منهما واحد ، فوجه اختيار المضارع في آية الحجر ، أنه دال على التجدد ، لئلا يتوهم أن المقصود إبلاغٌ مضى ، وهو الذي أبلغ لشيع الأولين لتقدم ذكرهم ، فيتوهم أنهم المراد بالمجرمين ، مع أن المراد كفار قريش ، وأما هذه الآية فلم يتقدم فيها ذكر لغير كفار قريش ، فناسبها حكاية وقوع هذا الإبلاغ منذ زمن مضى ، وهم مستمرون على عدم الإيمان .

وجملة ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ ﴾ مستأنفة بيانية ، أي : إن سألت عن استمرار تكذيبهم بالقرآن ؛ في حين أنه نزل بلسان عربي مبين ، فلا تعجب ، فكذلك السلوك سلكناه في قلوب المشركين ، فهو تشبيه للسلوك المأخوذ من ﴿ سَلَكْنَٰهُ ﴾ بنفسه لغرابته ، وهذا نظير ما تقدم في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة : ١٤٣، أي : هو سلوك لا يشبهه سلوك ، وهو أنه دخل قلوبهم بإبانته ، وعرفوا دلائل

---

(٣٩٨) نظم الدرر ٣٩٠/٥ .

(٣٩٩) هكذا في تفسير التحرير والتنوير ، ولعل الصواب : نظير هذه الآية في أول سورة الحجر .

صدقه من أخبار علماء بني إسرائيل ، ومع ذلك لم يؤمنوا به."[400]

وقال الرازي -رحمه الله- :"ثم قال : ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي : مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم ، وهكذا مكناه وقررناه فيها ، وكيفما فعل بهم، فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من الجحود والإنكار ، وهذا أيضاً مما يفيد تسلية الرسول ﷺ ، لأنه إذا عرف رسول الله إصرارهم على الكفر ، وأنه قد جرى القضاء الأزلي بذلك حصل اليأس ، وفي المثل : اليأس إحدى الراحتين."[401]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان ذلك محل عجب ، وكان ربما ظن له أن الأمر على غير حقيقته ، قرر مضمونه وحققه بقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي : مثل هذا السلك العجيب - الذي هو سماع وفهم ظاهري - في صعوبة مدخله ، وضيق مدرجه."[402]

الأقوال المذكورة في ذكر المناسبة متقاربة ، وهي بمعنى واحد ؛ عدم الإيمان بالقرآن ، والزيادة التي ذكرها الرازي تصريحاً في أنها تسلية للنبي ﷺ ، أضافت حسناً إلى ما ذُكر .

٨. قال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ الشعراء: ٢١٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما وجه الخطاب إلى النبي ﷺ من قوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤ ؛ إلى هنا ، في آيات أشادت بنـ.زول القرآن من عند الله تعالى ، وحققت صدقه بأنه مذكور في كتب الأنبياء السالفين ، وشهد به علماء بني إسرائيل ، وأنحى على المشركين بإبطال ما ألصقوه بالقرآن من

---

(400) التحرير والتنوير ١٩٤/١٩ .

(401) التفسير الكبير ٥٣٣/٨ .

(402) نظم الدرر ٣٩٣/٥ .

بمتانهم، لا جرم اقتضى ذلك ثبوت ما جاء به القرآن ، وأصل ذلك هو إبطال دين الشرك الذي تقلدته قريش وغيرها ، وناضلت عليه بالأكاذيب ، فناسب أن يتفرع عليه النهي عن الإشراك بالله والتحذير منه."(٤٠٣)

وقال الرازي -رحمه الله- بعد الحديث عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ :"ثم إنه تعالى لما ذكر هذا الجواب ، ابتدأ بخطاب الرسول ﷺ فقال : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ ، وذلك في الحقيقة خطاب لغيره ، لأن من شأن الحكيم إذا أراد أن يؤكد خطاب الغير ؛ أن يوجهه إلى الرؤساء في الظاهر ، وإن كان المقصود بذلك هم الأتباع ، ولأنه تعالى أراد أن يتبعه ما يليق بذلك ، فلهذه العلة أفرده بالمخاطبة."(٤٠٤)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان تقديره ، أنهم إلى الطواغيت الباطلة يدعون، والقرآن داع إلى الله الحق المبين ، سبَّبَ عنه قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُ ﴾ ، وخاطب نبيه عليه الصلاة والسلام وهو أكرم الخلق لديه ، وأعزهم عليه ، ليكون لطفاً لغيره فيما يأتيه من الإنذار ، فيكون الوعيد أزجر له ، ويكون هو له أقبل."(٤٠٥)

الاختلاف يسير في الجملة ، فما ذكره الرازي عند هذه الآية ، استفاد منه البقاعي في ذكره للمناسبة ، وكذلك استفاد ابن عاشور مما ذكره البقاعي ، غير أن ما ذكره ابن عاشور في بيان المناسبة عند هذه الآية أوضح ، ولم يذكر ابن عاشور المناسبة من توجيه الخطاب للنبي ﷺ .

٩. قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الشعراء: ٢٢٠ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وموقع ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ موقع التعليل

---

(٤٠٣) التحرير والتنوير ١٩/٢٠٠ .

(٤٠٤) التفسير الكبير ٨/٥٣٥ .

(٤٠٥) نظم الدرر ٥/٣٩٦ .

للأمر بـ. ﴿ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ الشعراء: ٢١٦ ، وللأمر بـ. ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ، فصفة ﴿ ٱلسَّمِيعُ ﴾ مناسبة للقول ، وصفة ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ مناسبة للتوكل ، أي : أنه يسمع قولك ويعلم عزمك."[406]

وقال الرازي -رحمه الله- :"ثم قال : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ أي : لما تقوله ، ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي : بما تنويه وتعمله ، وهذا يدل على أن كونه سميعاً أمرٌ مغايرٌ لعلمه بالمسموعات ، وإلا لكان لفظ العليم مفيداً فائدته."[407]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كانت هذه الأحوال مشتملة على الأقوال ، وكان قد قدم الرؤية المتضمنة للعلم ، علل ذلك بالتصريح به مقروناً بالسمع فقال : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ﴾ أي : وحده ، ﴿ ٱلسَّمِيعُ ﴾ أي : لجميع أقوالكم ، ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ أي : بجميع ما تسرونه وتعلنونه من أعمالكم ، وقد تقدم غير مرة أن شمول العلم يستلزم تمام القدرة ، فصار كأنه قال : إنه السميع العليم البصير القدير ، تثبيتاً للمتوكل عليه."[408]

قول ابن عاشور في ذكر موقع الآية فيه تميُّز عن قول سابقيه ، وهو قريب من قول البقاعي في ذكر مناسبة التذييل ، وقول الرازي أقرب إلى بيان المعنى من ذكر المناسبة.

١٠. قال تعالى : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ الشعراء: ٢٢٤.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"كان مما حوته كِنانةُ بهتان المشركين أن قالوا في النبي ﷺ هو شاعر ، فلما نَثَلَتْ الآيات السابقة سهام كنانتهم وكسرتها ، وكان منها قولهم : هو كاهن ، لم يبق إلا إبطال قولهم : هو شاعر ، وكان بين الكهانة والشعر جامع في خيال المشركين ؛ إذ كانوا يزعمون أن للشاعر شيطاناً يملي عليه الشعر ، وربما

([406]) التحرير والتنوير ٢٠٤/١٩ .

([407]) التفسير الكبير ٥٣٧/٨ .

([408]) نظم الدرر ٣٩٩/٥ .

سموه الرَّئِيّ ، فناسب أن يقارن بين تزييف قولهم في القرآن : هو شعر ، وقولهم في النبي ﷺ : هو شاعر ، وبين قولهم : هو قول كاهن ، كما قرن بينهما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ الحاقة: ٤١ - ٤٢ ؛ فعُطف هنا قوله : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ على جملة ﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ الشعراء: ٢٢٢ .

ولَمّا كان حال الشعراء في نفس الأمر مخالفاً لحال الكهان ؛ إذ لم يكن لملكة الشعر اتصال ما بالنفوس الشيطانية ، وإنما كان ادعاء ذلك من اختلاق بعض الشعراء ؛ أشاعوه بين عامة العرب ، اقتصرت الآية على نفي أن يكون الرسول شاعراً ، وأن يكون القرآن شعراً ، دون تعرض إلى أنه تنـ ـزيل الشياطين كما جاء في ذكر الكهانة."[٤٠٩]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن الكفار لما قالوا : لم لا يجوز أن يقال إن الشياطين تنـ ـزل بالقرآن على محمد ؛ كما أنهم ينـ ـزلون بالكهانة على الكهنة ، وبالشعر على الشعراء؟ ثم إنه سبحانه فرق بين محمد ﷺ ، وبين الكهنة ، فذكر ههنا ما يدل على الفرق بينه ﷺ ، وبين الشعراء ، وذلك هو أن الشعراء يتبعهم الغاوون ، أي : الضالون."[٤١٠]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بطل - بإبعاده عن دركات الشياطين ، وإصعاده إلى درجات الروحانيين من الملائكة المقربين ، الآتين عن رب العالمين - كونه سحراً ، وكونه أضغاثاً ومفترى ، نفى سبحانه كونه شعراً بقوله : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ﴾."[٤١١]

في ذكر المناسبة هنا لم يأت ابن عاشور بجديد ، غير أن ما تميَّز به من البلاغة

([٤٠٩]) التحرير والتنوير ٢٠٧/١٩ .

([٤١٠]) التفسير الكبير ٥٣٨/٨ .

([٤١١]) نظم الدرر ٤٠٠/٥ .

جعلته يأتي بذكر المناسبة في أسلوب جميل ، وبعبارات سهلة سلسة مفهمة للمعنى المراد بأوضح الطرق .

وما ذكره الرازي في كيفية معرفة الفرق بين النبي ﷺ وبين الشعراء جميل جداً ، والله أعلم .



المطلب الأول : أغراض السوره

المطلب الثاني : مناسبات الآيات



- **اسم السورة** : النمل ، "وتسمى أيضاً سورة سليمان".[٤١٢]
- **نوعها** : مكية بالاتفاق ، كما حكاه عدد من العلماء ومنهم ابن عطية[٤١٣]، والقرطبي[٤١٤].
- **ترتيبها في المصحف** : السابعة والعشرون .
- **عدد آياتها** : تسعون وثلاث آيات ، وقيل : أربع ، وقيل : خمس .[٤١٥]
- **نظيرها في العدد** : لا نظير لها في عدد آياتها .

---

(٤١٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١٥٣/١ .

(٤١٣) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٢٤٨/٤ .

(٤١٤) ينظر تفسير القرطبي ١٥٤/١٣ ، وهو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الإمام العلامة أبو عبد الله الأنصاري ، الخزرجي القرطبي إمام متفنن متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله منها : الجامع لأحكام القرآن ؛ والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، مات سنة إحدى وسبعين وستمائة .[ينظر طبقات المفسرين للسيوطي ص٩٢ ؛ و تاريخ الإسلام للذهبي ٧٥/٥٠] .

(٤١٥) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ص١٩٩ .

أغراض سورة النمل

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أول أغراض هذه السورة ؛ افتتاحها بما يشير إلى إعجاز القرآن ببلاغة نظمه وعلو معانيه ؛ بما يشير إليه الحرفان المقطعان في أولها .

والتنويه بشأن القرآن ، وأنه هدىً لمن ييسر الله الاهتداء به ، دون من جحدوا أنه من عند الله .

والتحدي بعلم ما فيه من أخبار الأنبياء .

والاعتبار بملك أعظم ملكٍ أوتيه نبي ، وهو ملك داود ، وملك سليمان -عليهما السلام- ، وما بلغه من العلم بأحوال الطير ، وما بلغ إليه ملكه من عظمة الحضارة .

وأشهر أمةٍ في العرب أوتيت قوة ؛ وهي أمة ثمود ، والإشارة إلى مُلْكٍ عظيم من العرب ؛ وهو ملك سبأ ، وفي ذلك إيماء إلى أن نبوة محمد ﷺ رسالة تقارنها سياسة الأمة، ثم يعقبها مُلك ؛ وهو خلافة النبي ﷺ .

وأن الشريعة المحمدية سيقام بها مُلكٌ للأمة عتيد ، كما أقيم لبني إسرائيل ملك سليمان .

ومحاجة المشركين في بطلان دينهم ، وتزييف آلهتهم ، وإبطال أخبار كهانهم ؛ وعرافيهم ؛ وسدنة آلهتهم ، وإثبات البعث وما يتقدمه من أهوال القيامة وأشراطها .

وأن القرآن مهيمنٌ على الكتب السابقة ، ثم موادعة المشركين ، وإنباؤهم بأن شأن الرسول الاستمرار على إبلاغ القرآن ، وإنذارهم بأن آيات الصدق سيشاهدونها ، والله مطلع على أعمالهم."[416]

([416]) التحرير والتنوير ٢١٥/١٩ .

١١. قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ النمل: ٤ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"لا محالة يثير كون الكتاب المبين هدى وبشرى للذين يوقنون بالآخرة ، سؤالاً في نفس السامع عن حال أضدادهم ؛ الذين لا يوقنون بالآخرة ، لماذا لا يهتدون بهدي هذا الكتاب ؛ البالغ حداً عظيماً في التبين والوضوح ، فلا جرم أن يصلح المقام للإخبار عما صرف هؤلاء الأضداد عن الإيمان بالحياة الآخرة ، فوقع هذا الاستئناف البياني ؛ لبيان سبب استمرارهم على ضلالهم ، ذلك بأن الله يعلم خبث طواياهم ، فحرمهم التوفيق ، ولم يصرف إليهم عناية تنشلهم من كيد الشيطان لحكمة علمها الله من حال ما جبلت عليه نفوسهم ، فوقع هذا الاستئناف بتوابعه موقع الاعتراض بين أخبار التنويه بالقرآن بما سبق ، والتنويه به بمن أنزل عليه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ ﴾ النمل: ٦."[٤١٧]

وقال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أنه تعالى لما بين ما للمؤمنين من البشرى ، أتبعه بما على الكفار من سوء العذاب فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾."[٤١٨]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما أفهم التخصيص أن ثم من يكذب بها ، وكان أمرها مركوزاً في الطباع ؛ لما عليها من الأدلة الباهرة في العقل والسماع ، تشوفت نفس السامع على سبيل التعجب إلى حالهم ، فقال مجيباً له ؛ مؤكداً تعجيباً ممن ينكر ذلك :

---

(٤١٧) التحرير والتنوير ٢٢٠/١٩ .

(٤١٨) التفسير الكبير ٥٤١/٨ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾."[419]

حوى ابن عاشور في ذكره للمناسبة هنا قول سابقيه ، وذكره في أسلوب جميل مع بعض الزيادة .

فذكر أن الآية استئناف بياني ؛ وهي عبارة عن جواب لسؤال يثار عن أضداد الذين يوقنون بالآخرة ، لماذا لا يهتدون بهدي هذا الكتاب البالغ حداً عظيماً في التبيين والوضوح .

وقول الرازي أن المناسبة هي : بيان للمقابل لما ذُكر ، فقد ذُكر ما للمؤمنين من البشرى ، فأتبعه ما على الكافرين من سوء العذاب .

أما البقاعي فيرى أن الآية للتعجب من حال الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وذلك لِمَا أُفْهِم من تذييل الآية السابقة أن هناك من يكذب بالآخرة مع وضوح الأدلة على ذلك، تشوفت نفس السامع على سبيل التعجب إلى حالهم .

١٢. قال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ النمل: ٦ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"وفي الوصفين الشريفين مناسبة للمعطوف عليه ، وللممهَّد إليه ، فإن ما في القرآن دليل على حكمة وعلم من أوحى به ، وأن ما يذكر هنا من القصص ، وما يستخلص منها من المغازي ، والأمثال ، والموعظة ، من آثار حكمةٍ وعلم حكيمٍ عليم ، وكذلك ما في ذلك من تثبيت فؤاد الرسول ﷺ."[420]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما مضى في آخر الشعراء ما تقدم من الحكم الجمة في تنـزيله بهذا اللسان ، وعلى قلب سيد ولد عدنان ، بواسطة الروح الأمين ، مبايناً

([419]) نظم الدرر ٤٠٨/٥ .

([420]) التحرير والتنوير ٢٢٤/١٩ .

لأحوال الشياطين ، إلى غير ذلك مما مضى ، إلى أن ختمت بتهديد الظالمين ، وكان الظالم إلى الحكمة أحوج منه إلى مطلق العلم ، وقدم في هذه أنه هدى ، وكان الهادي لا يقتدى به ، ولا يوثق بهدايته ؛ إلا إن كان في علمه حكيما ، اقتضى السياق تقديم وصف الحكمة ، واقتضى الحال التنكير لمزيد التعظيم فقال : ﴿ حَكِيمٍ ﴾ أي : بالغ الحكمة ، فلا شيء من أفعاله إلا وهو في غاية الإتقان ، ﴿ عَلِيمٍ ﴾ أي : عظيم العلم واسعه تامه شامله ، فهو بعيد جداً عما ادعوه فيه من أنه كلام الخلق ، الذي لا علم لهم ولا حكمة إلا ما آتاهم الله ، ومصداق ذلك ؛ عجز جميع الخلق عن الإتيان بشيء من مثله ، وإدراك شيء من مغازيه حق إدراكه."[421]

القولان بينهما اختلاف من حيث جهة الربط والنظر ، أدى ذلك إلى التباين في ذكر المناسبة ، فابن عاشور ربط التذييل بين صدر الآية وما جاء بعدها ، وكان البقاعي قد ربط الآية بما جاء في آخر الشعراء ، وأول النمل .

وما ذهب إليه ابن عاشور أولى مما ذكره البقاعي ، فالحديث هنا عن التذييل الوارد في هذه الآية ، فيكون ذكر المناسبة لما جاء في صدر هذه الآية ، وهذا ما ذكره ابن عاشور و لم يتطرق إليه البقاعي ، ثم يُنظر بعد هذا إلى الوجوه الأخرى ؛ التي من الممكن ذكرها في المناسبة والترابط .

وما ذكره ابن عاشور في المناسبة فيه شيءٌ من قول الرازي ؛ الذي كان حديثه عن الآية بيان للمعنى ، قال الرازي -رحمه الله- :"وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص."[422]

١٣. قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ

([421]) نظم الدرر ٤٠٩/٥ .

([422]) التفسير الكبير ٥٤٣/٨ .

﴿ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ النمل: ٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"فالجملة استئناف ابتدائي ، ومناسبة موقعها : إفادة تنظير تلقي النبي ﷺ القرآن ، بتلقّي موسى عليه السلام كلامَ الله إذ نودي ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ النمل: ٩ .

وذلك من بديع التخلص إلى ذكر قصص هؤلاء الأنبياء ، عقب التنويه بالقرآن ، وأنه من لدن حكيم عليم."[423]

وقال الرازي -رحمه الله- :"﴿ إِذْ ﴾ منصوب بمضمر ، وهو اذكر ، كأنه قال على أثر ذلك : خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى."[424]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان تعلق إذ باذكر من الوضوح في حد لا يخفى على أحد ، قال دالاً على حكمته وعلمه : ﴿ إِذْ ﴾ طاوياً لمتعلقه لوضوح أمره ، فصار كأنه قال : اذكر حكمته وعلمه حين قال : ﴿ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾."[425]

ما ذكر البقاعي في المناسبة هو ما ذكره الرازي ، وما ذكره ابن عاشور هنا قول جميل ، ومناسبة حسنة .

ويمكن الجمع فيقال المناسبة هي : تنظير تلقي النبي ﷺ القرآن ؛ بتلقّي موسى عليه السلام كلام الله إذ نودي .

وفيها بيان شيءٍ من آثار حكمته وعلمه سبحانه .

١٤. قال تعالى : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ النمل: ٩ .

([423]) التحرير والتنوير ٢٢٤/١٩ .

([424]) التفسير الكبير ٥٤٣/٨ .

([425]) نظم الدرر ٤٠٩/٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ خبر عن ضمير الشأن ، والمعنى : إعلامه بأن أمراً مهماً يجب علمه ، وهو أن الله عزيز حكيم ، أي : لا يغلبه شيء ، ولا يستصعب عليه تكوين .

وتقديم هذا بين يدي ما سيلقى إليه من الأمر ، لإحداث رِبَاطَة جأش لموسى عليه السلام ، ليعلم أنه خلعت عليه النبوءة إذ ألقي إليه الوحي ، ويعلم أنه سيتعرض إلى أذى وتألب عليه ، وذلك كناية عن كونه سيصير رسولاً ، وأن الله يؤيده وينصره على كل قوي ، وليعلم أن ما شاهد من النار ، وما تلقّاه من الوحي ، وما سيشاهده من قلب العصا حية ، ليس بعجيب في جانب حكمة الله تعالى ، فتلك ثلاث كنايات ، فلذلك أتبع هذا بقوله : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾."[426]

وقال الرازي -رحمه الله- :"وهذا تمهيد لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة ، يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية ، الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير."[427]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما تشوفت النفس إلى تحقق الأمر تصريحاً ، قال معظماً له ، تمهيداً لما أراد سبحانه إظهاره على يده من المعجزات الباهرات : ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾."[428]

لم يأت ابن عاشور هنا بجديد ، فذكر قول سابقيه مع تغيير في العبارات والأسلوب .

١٥. قال تعالى : ﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن

---

(٤٢٦) التحرير والتنوير ٢٢٧/١٩ .

(٤٢٧) التفسير الكبير ٥٤٥/٨ .

(٤٢٨) نظم الدرر ٤١١/٥ .

﴿شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ النمل: ٤٠ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"والعدول عن الإضمار إلى الإظهار في قوله : ﴿ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ دون أن يقول : فإنه غني كريم ، تأكيد للاعتراف بتمحض الفضل المستفاد من قوله : ﴿ فَضْلِ رَبِّي ﴾."[٤٢٩]

وقال الرازي -رحمه الله- :"غني عن شكره لا يضره كفرانه ، كريم لا يقطع عنه نعمه بسبب إعراضه عن الشكر."[٤٣٠]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ غَنِيٌّ ﴾ أي : عن شكر ، لا يضره تركه شيئاً ، ﴿ كَرِيمٌ ﴾ يفعل معه بإدرار النعم عليه فعل من أظهر محاسنه وستر مساوئه ، ثم هو جدير بأن يقطع إحسانه ؛ إن استمر على إجرامه ، كما يفعل الغني بمن أصر على كفر إحسانه؛ فإذا هو قد هلك."[٤٣١]

أجاد ابن عاشور هنا ، فذكر أن مناسبة التذييل بهذين الوصفين بعد قوله ﴿ رَبِّي ﴾ ، مأخوذ من قوله : ﴿ فَضْلِ رَبِّي ﴾ وذلك تأكيد للاعتراف بتمحض الفضل .

في حين أن قول الرازي والبقاعي أقرب إلى بيان المعنى .

١٦. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ النمل: ٤٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذا مثل ثالث ضربه الله لحال المشركين مع المؤمنين ، وجعله تسلية لرسوله ﷺ ؛ بأن له أسوة بالرسل والأنبياء من قبله .

---

(٤٢٩) التحرير والتنوير ٢٧٢/١٩ .

(٤٣٠) التفسير الكبير ٥٥٧/٨ .

(٤٣١) نظم الدرر ٤٢٧/٥ .

والانتقال من ذكر ملك سليمان وقصّة ملكة سبأ ، إلى ذكر ثمود ورسولهم ، دون ذكر عاد لمناسبة جِوار البلاد ، لأن ديار ثمود كانت على تخوم مملكة سليمان ، وكانت في طريق السائر من سبأ إلى فلسطين .

ألا ترى أنه أعقب ذكر ثمود بذكر قوم لوط ، وهم أدنى إلى بلاد فلسطين ، فكان سياق هذه القصص مناسباً لسياق السائر من بلاد اليمن إلى فلسطين ، ولما كان ما حلّ بالقوم أهمَّ ذكراً في هذا المقام ، قدم المجرور على المفعول ، لأن المجرور هو محل العبرة ، وأما المفعول فهو محلّ التسلية ، والتسلية غرض تبعي."[٤٣٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أتم سبحانه هذه القصة المؤسسة على العلم المشيد بالحكمة ، المنبئة عن أن المدعوين فيها أطبقوا على الاستسلام للدخول في الإسلام، مع أبالة[٤٣٣] الملك ورئاسة العز والقهر على يد غريب عنهم ، بعيد منهم ، أتبعها قصة انقسم أهلها مع الذل والفقر فريقين ، مع أن الداعي منهم ؛ لا يزول باتباعه شيء من العز عنهم ، مع ما فيها من الحكمة ، وإظهار دقيق العلم بإبطال المكر بعد طول الأناة والحلم ، فقال تعالى مفتتحاً بحرف التوقع والتحقيق لمن ظن أن هذا شأن كل رسول مع من يدعوهم ، عاطفاً على ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ ﴾ النمل: ١٥، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾."[٤٣٤]

المناسبتان مختلفتان ، فذكر ابن عاشور أنّ المناسبة هي : الترتيب على المكان الأقرب فالأقرب ، وذكر البقاعي أن المناسبة هي : ذكر الأحوال ، فلما ذكر أحوال الملك والعزة والقهر على يد غريب عنهم ، بعيد منهم ، فأطبقوا على الاستسلام ، ذكر حالاً يقابل حالهم من الذل والفقر ، والداعي لهم منهم ، ومع هذا انقسموا إلى فريقين .

([٤٣٢]) التحرير والتنوير ١٩/٢٧٧ .

([٤٣٣]) بمعنى الحسن والحذاقة ، أي : حسن الملك والحذاقة فيه .[ينظر تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري ١٥/٢٧٨ ؛ ولسان العرب لابن منظور ١١/٤] .

([٤٣٤]) نظم الدرر ٥/٤٣١ .

ويمكن الجمع فيقال المناسبة هي : ذكر قصة أخرى قريبة منهم في المكان ، بعيدة منهم في الأحوال .

١٧. قال تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ النمل: ٥٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وتعقيب قصة ثمود بقصة قوم لوط ، جار على معتاد القرآن في ترتيب قصص هذه الأمم ، فإن قوم لوط كانوا متأخرين في الزمن عن ثمود .

وإنما الذي يستثير سؤالاً هنا ، هو الاقتصار على قصة قوم لوط ، دون قصة عاد وقصة مدين ، وقد بينته آنفاً ؛ أنه لمناسبة مجاورة ديار قوم لوط لمملكة سليمان ، ووقوعها بين ديار ثمود وبين فلسطين ، وكانت ديارهم ممرّ قريش إلى بلاد الشام ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ الحجر: ٧٦ ، وقال : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الصافات: ١٣٧ - ١٣٨."[٤٣٥]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما فرغ من قصة القريب الذي دعا قومه فإذا هم قسمان ، بعد الغريب الذي لم يختلف عليه ممن دعاهم اثنان ، اتبعها بغريب لم يتبعه ممن دعاهم إنسان ، فقال دالاً على أنه له سبحانه الاختيار ، فتارة يجري الأمور على القياس ، وأخرى على خلاف الأساس الذي تقتضيه عقول الناس ، فقال : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ ﴾."[٤٣٦]

المناسبة التي ذكرها ابن عاشور هنا أوضح مما ذكره البقاعي ، وقول البقاعي هنا ليس فيه ما يدل على قوة ما ذكر ، وكان ذلك بسبب حديثه عن مناسبات القصص

([٤٣٥]) التحرير والتنوير ٢٨٧/١٩ .

([٤٣٦]) نظم الدرر ٤٣٤/٥ .

السابقة ، فأثَّر هنا على ذكر المناسبة .

١٨. قال تعالى : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ النمل: ٦٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما أبطلت الآيات السابقة إلهية أصنام المشركين بالأدلة المتظاهرة ، فانقطع دابر عقيدة الإشراك ، ثُني عنان الإبطال إلى أثر من آثار الشرك، وهو ادعاء علم الغيب بالكهانة وإخبار الجن ، كما كان يزعمه الكهان والعرافون وسدنة الأصنام ، ويؤمن بذلك المشركون."(٤٣٧)

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما بين أنه المختص بالقدرة ، فكذلك بين أنه هو المختص بعلم الغيب ، وإذا ثبت ذلك ؛ ثبت أنه هو الإله المعبود ، لأن الإله هو الذي يصح منه مجازاة من يستحق الثواب على وجه لا يلتبس بأهل العقاب."(٤٣٨)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كانت مضمونات هذه البراهين متوقفة على علم الغيب ، لأنه لا يخرج الخبء باختراع الخلق ، وكشف الضر ، وإحكام التدبير إلا به ، لأنه لا قدرة أصلاً لمن لا علم له ، ولا تمام لقدرة من لا تمام لعلمه -كما مضى بيانه في طه-(٤٣٩)، وطالبهم سبحانه آخر هذه البراهين ؛ بالبرهان على الشرك ، وكانوا ربما قالوا : سنأتي به ، أمر أن يعلموا أنه لا برهان لهم عليه ، بل البرهان قائم على خلافه ، فقال : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ﴾."(٤٤٠)

مؤدى المناسبات هو أنه لا يعلم الغيب أحد إلا الله ، لكن كل واحد نظر إلى

---

(٤٣٧) التحرير والتنوير ١٩/٢٠ .

(٤٣٨) التفسير الكبير ٥٦٧/٨ .

(٤٣٩) ينظر نظم الدرر ١٠/٥ .

(٤٤٠) نظم الدرر ٤٤٤/٥ .

المعنى بغير نظر الآخر ، فابن عاشور يرى أن المناسبة هي : إبطال لأثر آخر من آثار الشرك ، وهو ادعاء علم الغيب بالكهانة وإخبار الجن .

ويرى الرازي أن المناسبة هي : بيان شيء آخر مما اختص الله سبحانه به ، وهو علم الغيب .

ويرى البقاعي أن المناسبة هي : بيانٌ بأن مضمون البراهين المذكورة متوقفة على علم الغيب ، فلا يعلم الغيب إلا الله ، ولن يستطيعوا أن يبرهنوا على شركهم ، فلا برهان لهم به .

ويمكن الجمع فيقال : جاءت الآية لإبطال أثر من آثار الشرك ، ببيان أنّ علم الغيب مما اختصه الله به ، وهو متضمن في البراهين المذكورة .

١٩. قال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ النمل: ٦٩ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- : والمناسبة هي الموعظة بحال المكذبين ، لأن إنكارهم البعث تكذيب للرسول وإجرام ، والوعيد بأن يصيبهم مثل ما أصابهم .[٤٤١]

وقال الرازي -رحمه الله- بعد الحديث عن كمال القدرة وكمال العلم :"ثم إنه سبحانه لما كان قد بين الدلالة على هذين الأصلين ، ومن الظاهر أن كل من أحاط بهما، فقد عرف صحة الحشر والنشر ، ثبت أنهم أعرضوا عنها ولم يتأملوها ، وكان سبب ذلك الإعراض ؛ حب الدنيا وحب الرياسة والجاه ، وعدم الانقياد للغير ، لا جرم اقتصر على بيان أن الدنيا فانية زائلة فقال :﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾."[٤٤٢]

([٤٤١]) ينظر التحرير والتنوير ٢٦/٢٠ .

([٤٤٢]) التفسير الكبير ٥٦٩/٨ .

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما لم يبق هذا الذي أقامه من دلائل القدرة على كل شيء عموماً ، وعلى البعث خصوصاً ، مقالاً يرد عن الغي إلا التهديد بالنكال ، وكان كلامهم هذا موجباً للنبي ﷺ من الغم والكرب ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، قال سبحانه ملقناً له ، ومرشداً لهم ، في صورة التهديد : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : أيها المعاندون ، أو العمي الجاهلون."[443]

ما قاله ابن عاشور في ذكر المناسبة قريب مما قاله البقاعي ، وما ذكره البقاعي فيه شيء مما ذكره الرازي .

ويمكن الجمع فيقال المناسبة هي : بيان أن الدنيا فانية زائلة ، وفي ضمنها التهديد والوعيد .

٢٠. قـ . . .ـال تعـ . . .ـالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ النمل: ٧٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"موقع هذا موقع الاستئناف البياني ، لأن قوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ النمل: ٧٣ ، يثير سؤالاً في نفوس المؤمنين أن يقولوا : إن هؤلاء المكذبين قد أضمروا المكر ، وأعلنوا الاستهزاء ، فحالهم لا يقتضي إمهالهم؟ فيجاب بأن الذي أمهلهم مطلع على ما في صدورهم وما أعلنوه ، وأنه أمهلهم مع علمه بهم لحكمة يعلمها .

وفيه إشارة إلى أنهم يكنون أشياء للنبي ﷺ وللمؤمنين ، منها : أنهم يتربصون بهم الدوائر ، وأنهم تخامر نفوسهم خواطر إخراجه وإخراج المؤمنين ، وهذا الاستئناف لمّا كان ذا جهة من معنى وصف الله بإحاطة العلم ، عطفت جملته على جملة وصف الله بالفضل ، فحصل بالعطف غرض ثان مهم ، وحصل معنى الاستئناف البياني من مضمون

---

(٤٤٣) نظم الدرر ٥/٤٤٧ .

الجملة."[٤٤٤]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما كان الإمهال قد يكون من الجهل بذنوب الأعداء ، قال نافياً لذلك : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ ﴾."[٤٤٥]

ما ورد في ذكر المناسبة حسن ، وكلا القولين جميل ، وما ذكره ابن عاشور في المناسبة فيه من قول البقاعي .

٢١. قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ النمل: ٧٦ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"إبطال لقول الذين كفروا : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ النمل: ٦٨ ، وله مناسبة بقوله : ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ النمل: ٧٥ ، فإن القرآن وحي من عند الله إلى رسوله محمد ﷺ ، فكل ما فيه فهو من آثار علم الله تعالى ، فإذا أراد الله تعليم المسلمين شيئاً مما يشتمل عليه القرآن ، فهو العلم الحق إذا بلغت الأفهام إلى إدراك المراد منه ، على حسب مراتب الدلالة التي أصولها في علم العربية ، وفي علم أصول الفقه...

...فموقع هذه الآية ؛ استكمال نواحي هدي القرآن للأمم ، فإن السورة افتتحت بأنه هدى وبشرى للمؤمنين ، وأن المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة يعمهون في ضلالهم ، فلم ينتفعوا بهديه ، فاستكملت هذه الآية ما جاء به من هدي بني إسرائيل ؛ لما يهم مما اختلفوا فيه."[٤٤٦]

---

(٤٤٤) التحرير والتنوير ٢٨/٢٠ .

(٤٤٥) نظم الدرر ٤٤٨/٥ .

(٤٤٦) التحرير والتنوير ٣٠/٢٠ .

وقال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أنه سبحانه لما تمم الكلام في إثبات المبدأ والمعاد، ذكر بعد ذلك ما يتعلق بالنبوة ، ولما كانت العمدة الكبرى في إثبات نبوة محمد ﷺ هو القرآن ، لا جرم بين الله تعالى أولاً كونه معجزة."[٤٤٧]

وقال البقاعي –رحمه الله– بعد الحديث عن الآية السابقة :"ثم دل على ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي : الآتي به هذا النبي الأمي ؛ الذي لم يعرف قبله علماً ولا خالط عالماً ، ﴿ يَقُصُّ ﴾ أي : يتابع الإخبار ، ويتلو شيئاً فشيئاً ، على سبيل القطع الذي لا تردد فيه ، من غير زيادة ولا نقص ، ﴿ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ أي : الذي أخبارهم مضبوطة في كتبهم ، لا يعرف بعضها إلا قليل من حذاق أخبارهم ، ﴿ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ ﴾ أي : خاصة لكونه من خاص أخبارهم ، التي لا علم لغيرهم بها ، ﴿ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ أي : من أمر الدين وإن بالغوا في كتمه ، كقصة الزاني المحصن في إخفائهم أن حده الرجم ، وقصة عزير والمسيح ، وإخراج النبي ﷺ ذلك من توراتهم ، فصح بتحقيقه على لسان من لم يلم بعلم قط ؛ أنه من عند الله ، وصح أن الله تعالى يعلم كل شيء ، إذ لا خصوصية لهذا دون غيره بالنسبة إلى علمه سبحانه." [٤٤٨]

ذكر ابن عاشور في حديثه عن المناسبة قول سابقيه ، ولكن بأسلوبه ، وزاد عليهم أن الآية فيها استكمال هدي القرآن للأمم ، فكما هو هدى وبشرى للمؤمنين ، فهو كذلك يهدي بني إسرائيل لما يهم مما اختلفوا فيه .

٢٢. قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النمل: ٧٧ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"هذا راجع إلى قوله في طالع السورة : ﴿ هُدًى

([٤٤٧]) التفسير الكبير ٨/٥٧٠ .

([٤٤٨]) نظم الدرر ٥/٤٤٩ .

﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النمل: ٢ ، ذُكر هنا لاستيعاب جهات هدي القرآن."[٤٤٩]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما بان بهذا دليل علمه ، أتبعه دليل فضله وحلمه فقال : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى ﴾."[٤٥٠]

الاختلاف في المناسبتين يسير ، والمعنى واحد ، فمن فضل الله أن جعل هذا القرآن هدىً ورحمةً ، وهذا من هدي القرآن .

٢٣. قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ النمل: ٧٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما سبق ذكر المشركين بطعنهم في القرآن وتكذيبهم بوعيده ، وذكر بني إسرائيل بما يقتضي طعنهم فيه ؛ بأنه لمخالفة ما في كتبهم، وذكر المؤمنين بأنهم اهتدوا به ، وكان لهم رحمة فهم موقنون بما فيه ، تمخض الكلام عن خلاصة ؛ هي افتراق الناس في القرآن فريقين : فريق طاعن ، وفريق موقن ، فلا جرم اقتضى ذلك حدوث تدافع بين الفريقين ، وهو مما يثير في نفوس المؤمنين سؤالاً عن مدى هذا التدافع والتخالف بين الفريقين ، ومتى ينكشف الحق ، فجاء قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ﴾ استئنافاً بيانياً ، فيعلم أن القضاء يقتضي مختلفين ، وأن كلمة (بين) تقتضي متعدداً ، فأفاد أن الله يقضي بين المؤمنين بالقرآن والطاعنين فيه قضاء يبين المحق من المبطل ، وهذا تسلية للنبي ﷺ وللمؤمنين عن استبطائهم النصر ، فإن النبي أول المؤمنين ، وإنما تقلد المؤمنون ما أنبأهم به ، فالقضاء للمؤمنين ؛ قضاء له بادئ ذي بدء."[٤٥١]

([٤٤٩]) التحرير والتنوير ٣١/٢٠ .

([٤٥٠]) نظم الدرر ٤٤٩/٥ .

([٤٥١]) التحرير والتنوير ٣٢/٢٠ .

وقال الرازي -رحمه الله- :"والمراد أن القرآن وإن كان يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ، لكن لا تكن أنت في قيدهم ، فإن ربك هو الذي يقضي بينهم ، أي : بين المصيب والمخطئ منهم ، وذلك كالزجر للكفار."[452]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر دليل فضله ، أتبعه دليل عدله ، فقال مستأنفاً لجواب من ظن أن فضله دائم العموم على الفريقين : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ ﴾."[453]

استفاد ابن عاشور في ذكر المناسبة هنا من البقاعي ، فذهب إلى ما ذهب إليه ، ولكن بشيءٍ من التوسع .

أما الرازي فذكر أن المناسبة زجر للكفار .

ويمكن الجمع فيقال : أن الآية استئناف بياني ؛ لبيان أن الله سيقضي بين الفريقين، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين ، وزجر للكافرين .

وعند النظر إلى قول الرازي : (بين المصيب والمخطئ منهم) نجد أنَّ ضمير (منهم) يوجب قولين ، يكون في أحدهما مخالفة لقولي البقاعي وابن عاشور .

الأول : إن كان الضمير يعود على المسلمين وعلى بني إسرائيل ، فهذا موافق لهما.

الثانية : وإن كان الضمير يعود على المختلفين من بني إسرائيل ، فعلى هذا القول يكون مخالفاً لهما ، وهو بعيد عن الصواب ، فقد فُصِل بين المختلفين من بني إسرائيل ، وبين هذه الآية فريق آخر ، فيقتضي أن يكون هذا القضاء بين هذا الفريق المذكور قريباً في الآية السابقة وهم المؤمنون ، وبين الفريق الآخر وهم بنو إسرائيل .

٢٤. قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

---

(452) التفسير الكبير ٥٧١/٨ .

(453) نظم الدرر ٤٤٩/٥ .

﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ النمل: ٧٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- بعد الحديث عن صدر الآية :"وبه يظهر حسن موقع الاسمين الجليلين في تذييله بقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فإن العزيز لا يصانع ، والعليم لا يفوته الحق ، ويظهر حسن موقع التفريع بقوله : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ النمل: ٧٩."[٤٥٤]

وقال الرازي -رحمه الله- :"﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ أي : القادر الذي لا يمنع ، ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بما يحكم فلا يكون إلا الحق."[٤٥٥]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ فلا يرد له أمر ، ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فلا يخفى عليه سر ولا جهر ، فلما ثبت له العلم والحكمة ، والعظمة والقدرة ، تسبب عن ذلك قوله : ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾."[٤٥٦]

الأقوال المذكورة متقاربة في المعنى ، وما ذكره ابن عاشور أقرب إلى بيان مناسبة التذييل مما ذكره غيره ، وفي حديثه شيء مما ذكره البقاعي .

٢٥. قال تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ النمل: ٨٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذا انتقال إلى التذكير بالقيامة وما ادخر لهم من الوعيد ، فهذه الجملة معطوفة على الجمل قبلها ، عطف قصة على قصة ، ومناسبة

---

(٤٥٤) التحرير والتنوير ٣٣/٢٠ .

(٤٥٥) التفسير الكبير ٥٧١/٨ .

(٤٥٦) نظم الدرر ٤٤٩/٥ .

ذكرها ما تقدم من قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ النمل: ٨٠ - ٨١ ، والضمير عائد إلى الموتى والصم والعمي ، وهم المشركون."[٤٥٧]

وقال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أن الله تعالى بين بالدلائل القاهرة كمال القدرة وكمال العلم ، ثم فرّع عليهما القول بإمكان الحشر ، ثم بين الوجه في كون القرآن معجزاً ، ثم فرع عليه نبوة محمد ﷺ ، ثم تكلم الآن في مقدمات قيام القيامة ، وإنما أخر تعالى الكلام في هذا الباب عن إثبات النبوة ، لما أن هذه الأشياء لا يمكن معرفتها إلا بقول النبي الصادق ، وهذا هو النهاية في جودة الترتيب."[٤٥٨]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما فرغ من عظيم زجرهم بتسليته ﷺ في أمرهم ، وختم بالإسلام ، عطف عليه ذكر ما يوعدون مما تقدم استعجالهم له ، استهزاء به ، وبدأ منه بالدابة التي تميز المسلم من غيره ، فقال محققاً بأداة التحقيق : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ ﴾."[٤٥٩]

المناسبات المذكورة متقاربة في المعنى ، وهي تتحدث عن ذكر القيامة ومقدماتها ، وكلٌّ لديه زيادة عن غيره .

فذكر ابن عاشور أن المناسبة : انتقالٌ إلى التذكير بالقيامة ، وزاد عن الباقين ذكر مناسبة العطف ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ .

وذكر الرازي : أنه بعد الحديث عن الدلائل السابقة ، وذكر الحشر ، بدأ هنا بذكر مقدمات قيام القيامة ، وزاد عن الباقين سبب تأخر الكلام في هذا الباب .

وذكر البقاعي أن المناسبة : ذِكر ما يوعدون مما تقدم ، وزاد عن الباقين أن

([٤٥٧]) التحرير والتنوير ٣٨/٢٠ .

([٤٥٨]) التفسير الكبير ٥٧٢/٨ .

([٤٥٩]) نظم الدرر ٤٥١/٥ .

الحديث عن هذا بسبب استعجالهم ما يوعدون استهزاء به ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ النمل: ٧١ .

٢٦. قال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ النمل: ٨٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- بعد أن ذكر آراء المفسرين في الآية :"وليس في كلام المفسرين شفاء لبيان اختصاص هذه الآية ؛ بأن الرائي يحسب الجبال جامدة ، ولا بيان وجه تشبيه سيرها بسير السحاب ، ولا توجيه التذييل بقوله تعالى : ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ ، فلذلك كان لهذه الآية وضع دقيق ، ومعنى بالتأمل خليق .

فوضعها : أنها وقعت موقع الجملة المعترضة بين المجمل وبيانه من قوله : ﴿ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ النمل: ٨٧-٨٩ ، بأن يكون من تخلل دليل على دقيق صنع الله تعالى في أثناء الإنذار والوعيد ، إدماجاً وجمعاً بين استدعاء للنظر ، وبين الزواجر والنذر ، كما صنع في جملة ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ النمل: ٨٦ .

أو هي معطوفة على جملة ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾ الآية ، وجملة ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ معترضة بينهما ، لمناسبة ما في الجملة المعطوف عليها من الإيماء إلى تمثيل الحياة بعد الموت ، ولكن هذا استدعاء لأهل العلم والحكمة ؛ لتتوجه أنظارهم إلى ما في هذا الكون من دقائق الحكمة وبديع الصنعة .

وهذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم ، كما كان معجزة للبلغاء من جانبه النظمي ، كما قدمناه في الجهة الثانية من

المقدمة العاشرة."[460]

وقال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أن هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيامة ، وهي تسيير الجبال."[461]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما ذكر دخورهم[462]، تلاه بدخور ما هو أعظم منهم خلقاً ، وأهول أمراً ، فقال : عاطفاً على ناصب الظرف مما تقديره : كانت أمور محلولة ، معبراً بالمضارع لأن ذلك وإن شارك الفزع في التحقق ؛ قد فارقه في الحدوث والتجدد شيئاً فشيئاً : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ ﴾."[463]

ما ذكره ابن عاشور من الحديث عن آراء العلماء في الآية ، وتلاه ببيان قوله شيء جميل ، وهو مع ذلك لم يتحدث عن كل جوانب الآية ، ولعل ذلك راجع إلى الاختلاف في مرجع العطف .

والأولى هنا أن تذكر كل الأقوال في المناسبات ولا يهمل منها شيء فيقال : إن كانت الآية معطوفة ففيها من المناسبات ما يلي :

أولاً : أن الآية معطوفة على قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ ﴾ ٨٢ ، فهي علامة من علامات يوم القيامة كما ذكر الرازي .

ثانياً : أو هي معطوفة على قوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ ٨٧ ، فهي بيان على قدرة الله حتى أنّ الجبال العظيمة تأتيه ذليلة يوم القيامة ، وهذا كما ذكر البقاعي .

ثالثاً : أو هي معطوفة على قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟

---

(460) التحرير والتنوير ٤٨/٢٠ .

(461) التفسير الكبير ٥٧٤/٨ .

(462) داخرين : صاغرين أذلاء ، يقال أدخرته فدخر ، أي : أذللته فذل .[ينظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٦٦ ؛ والتبيان في تفسير غريب القرآن لأحمد بن محمد الهائم المصري ص٣٢٥] .

(463) نظم الدرر ٤٥٥/٥ .

فِيهِ ﴾ ٨٦ ، فهي علامة من علامات صنع الله وإتقانه في صناعة الأشياء ، وهو استدعاء للحث والتأمل ، وهذا كما ذكر ابن عاشور .

وإن كانت الآية جملة معترضة بين الجمل ، فالمناسبة كما ذكر ابن عاشور ، تخلل دليل على دقيق صنع الله تعالى في أثناء الإنذار والوعيد ، إدماجاً وجمعاً بين استدعاء للنظر، وبين الزواجر والنذر .

وهنا ، فالاختلاف المذكور ليس اختلاف تضاد بل فيه تنوع ، فما ذكره ابن عاشور حمله على ما هو واقع في الدنيا ، وما ذكره الرازي والبقاعي فهو واقع في الآخرة.

وجميع ما ذكر من المناسبات في هذه الآية صحيح من حيث ما ذهب إليه قائلها .

ويلاحظ على قول البقاعي :"تلاه بدخور ما هو أعظم منهم خلقاً" ، أنه ليس العجيب أن تأتي يوم القيامة ذليلة ، وإنما العجب في عظيم خلق الله لها في الدنيا ، وفي جعلها يوم القيامة كالعهن المنفوش على عظم خلقها .

٢٧. قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ النمل: ٨٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ تذييل ، أو اعتراض في آخر الكلام ، للتذكير والوعظ والتحذير عقب قوله : ﴿ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ، لأن إتقان الصنع أثر من آثار سعة العلم ، فالذي بعلمه أتقن كل شيء ؛ هو خبير بما يفعل الخلق ، فليحذروا أن يخالفوا عن أمره."[٤٦٤]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ثبت هذا على هذا الوجه المتقن ، والنظام الأمكن ، أنتج قطعاً قوله : ﴿ إِنَّهُ ﴾ أي : الذي أحكم هذه الأمور كلها ﴿ خَبِيرٌ بِمَا

([٤٦٤]) التحرير والتنوير ٢٠/٥١ .

تَفۡعَلُونَ ﴾ أي : لأن الإتقان نتيجة القدرة ، وهي نتيجة العلم ، فمن لم يكن شامل العلم ، لم يكن تام القدرة."[٤٦٥]

حديث ابن عاشور عن التذييل بلفظ الخبير ؛ أبين وأدق من قول البقاعي ، والله أعلم .

---

(٤٦٥) نظم الدرر ٥/٤٥٥ .



المطلب الأول : أغراض السوره

المطلب الثاني : مناسبات الآيات



- **اسم السورة** : القصص، وقيل تسمى أيضاً سورة موسى ؈ لاشتمالها على قصّته فقط ؛ من حين ولد إلى أن أهلك الله تعالى فرعون ، وخُسف بقارون[466].
- **نزولها** : مكية ، وقال ابن عباس و قتادة : إلا آية نزلت بين مكة والمدينة ، وقيل بالجحفة[467] في وقت هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وهي قوله ﷻ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾القصص: ٨٥ ، وقال مقاتل : فيها من المدني ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ القصص: ٥٢ إلى قوله : ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ القصص: ٥٥ .[468]
- **ترتيبها في المصحف** : الثامنة والعشرون .
- **عدد آياتها** : ثمان وثمانون آية لا اختلاف فيها[469].
- **نظيرها في العدد** : سورة ص .

---

(466) ينظر تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني ٧٤/٣ .

(467) الجحفة بالضم ثم السكون ، كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة ، تبعد عن مكة بمائة وستين كيلاً تقريباً ، وهي ميقات أهل مصر والشام ، إن لم يمروا على المدينة ، سميت بالجحفة : لأن السيل احتجفها وحمل أهلها في بعض الأعوام ، وهي الآن خراب .[ينظر معجم ما استعجم لعبدالله البكري ٣٦٧/١ ؛ معجم البلدان لياقوت الحموي ١١١/٢] .

(468) ينظر تفسير القرطبي ٢٤٧/١٣ .

(469) ينظر البيان في عد آي القرآن للداني ص٢٠١ .

أغراض سورة القصص

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"اشتملت هذه السورة على التنويه بشأن القرآن ، والتعريض بأن بلغاء المشركين عاجزون عن الإتيان بسورة مثله ، وعلى تفصيل ما أُجمل في سورة الشعراء ؛ من قول فرعون لموسى : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ الشعراء: ١٨ ، إلى قوله : ﴿ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ الشعراء: ١٩ ، ففصلت سورة القصص كيف كانت تربية موسى في آل فرعون .

وبيَّن فيها سبب زوال مُلْكِ فرعون .

وفيها تفصيل ما أُجمل في سورة النمل من قوله : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا ﴾ النمل: ٧ ، ففصلت سورة القصص كيف سار موسى وأهله ، وأين آنس النار ، ووصف المكان الذي نودي فيه بالوحي ، إلى أن ذَكرَت دعوة موسى فرعون ، فكانت هذه السورة أوعب لأحوال نشأة موسى إلى وقت إبلاغه الدعوة ، ثم أجملت ما بعد ذلك، لأن تفصيله في سورة الأعراف وفي سورة الشعراء ، والمقصود من التفصيل ما يتضمنه من زيادة المواعظ والعبر .

وإذ قد كان سوق تلك القصة إنما هو للعبرة والموعظة ؛ ليعلم المشركون سنة الله في بعثة الرسل ، ومعاملته الأمم المكذبة لرسلها .

وتحدى المشركين بعلم النبي ﷺ بذلك ، وهو أمي لم يقرأ ولم يكتب ، ولا خالط أهل الكتاب ، ذيَّل الله ذلك بتنبيه المشركين إليه ، وتحذيرهم من سوء عاقبة الشرك ، وأنذرهم إنذاراً بليغا .

وفند قولهم : ﴿ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ﴾ القصص: ٤٨ ؛ من الخوارق ؛ كقلب العصا حية ، ثم انتقاضهم في قولهم إذ كذبوا موسى أيضاً .

وتحداهم بإعجاز القرآن ، وهديه مع هدي التوراة .

وأبطل معاذيرهم ثم أنذرهم بما حل بالأمم المكذبة رسل الله .

وساق لهم أدلة على وحدانية الله تعالى ، وفيها كلها نعم عليهم ، وذكّرهم بما سيحل بهم يوم الجزاء .

وأنحى عليهم في اعتزازهم على المسلمين بقوتهم ، ونعمتهم ، ومالهم ، بأن ذلك متاع الدنيا ، وأن ما ادخر للمسلمين عند الله خير وأبقى .

وأعقبه بضرب المثل لهم ؛ بحال قارون في قوم موسى ، وتخلص من ذلك إلى التذكير ؛ بأن أمثال أولئك لا يحظون بنعيم الآخرة ، وأن العاقبة للمتقين .

وتخلل ذلك إيماء إلى اقتراب مهاجرة المسلمين إلى المدينة ، وإيماء إلى أن الله مظهرهم على المشركين بقوله : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ القصص: ٥ ، الآية .

وختم الكلام بتسلية الرسول ﷺ وتثبيته ، ووعده بأنه يجعل بلده في قبضته ، ويمكنه من نواصي الضالين ، ويَقْرُبُ عندي أن يكون المسلمون ودُّوا أن تفصل لهم قصة رسالة موسى عليه السلام ، فكان المقصود انتفاعهم بما في تفاصيله من معرفةٍ نافعة لهم ؛ تنظيراً لحالهم وحال أعدائهم ، فالمقصود ابتداءً هم المسلمون ، ولذلك قال تعالى في أولها : ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ القصص: ٣ ، أي : للمؤمنين."[470]

([470]) التحرير والتنوير ٢٠/٦٢ .

٢٨. قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ **القصص: ٤ .**

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وهذه الجملة وما عطف عليها بيان لجملة ﴿ نَتْلُوا ﴾ ، أو بيان لـ ﴿ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ ﴾ ، فقدم له الإجمال للدلالة على أنه نبأ له شأن عظيم ، وخطر بما فيه من شتى العبر ، وافتتاحها بحرف التوكيد للاهتمام بالخبر .

وابتدئت القصة بذكر أسبابها لتكون عبرة للمؤمنين ، يتخذون منها سنناً يعلمون بها علل الأشياء ومعلولاتها ، ويسيرون في شؤونهم على طرائقها ، فلولا تجبر فرعون -وهو من قبيح الخلال- ما حلّ به وبقومه الاستئصال ، ولما خرج بنو إسرائيل من ذل العبودية ، وهذا مصداق المثل : مصائب قوم عند قوم فوائد ، وقوله تعالى : ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ البقرة: ٢١٦."[٤٧١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولَمَّا كان كأنه قيل : ما هذا المقصوص من هذا النبأ؟ قال : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾."[٤٧٢]

قول ابن عاشور هنا قول حسن ، والمناسبة التي ذكرها في جعل هذه الآية بدء القصة مناسبة جميلة ، وكان قول البقاعي هو الدافع لذكرها على هذا النحو .

([٤٧١]) التحرير والتنوير ٢٠/٦٦ .

([٤٧٢]) نظم الدرر ٥/٤٦٣ .

٢٩. قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ القصص: ٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطفت جملة ﴿ وَنُرِيدُ ﴾ على جملة ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ لمناسبة ما في تلك الجملة من نبأ تذبيح الأبناء واستحياء النساء ، فذلك من علو فرعون في الأرض ، وهو بيان لنبإ موسى وفرعون ، فإن إرادة الله الخير بالذين استضعفهم فرعون ؛ من تمام نبإ موسى وفرعون ، وهو موقع عبرة عظيمة من عبر هذه القصة."(٤٧٣)

وقال الرازي -رحمه الله- :"جملة معطوفة على قوله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ، لأنها نظيرة تلك في وقوعها تفسيراً لنبأ موسى عليه السلام وفرعون ، واقتصاصاً له."(٤٧٤)

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان التقدير كما أرشد إليه السياق لمن يسأل عن سبب فعله هذا العجيب ؛ يريد بذلك زعم دوام ملكه ، بأن لا يسلبه إياه واحد منهم، أخبره بعض علمائه أنه يغلبه عليه ، ويستنقذ شعبه من العبودية ، عطف عليه قوله يحكي تلك الحال الماضية : ﴿ وَنُرِيدُ ﴾ ، أو هي حالية ، أي : يستضعفهم ، والحال أنا نريد في المستقبل أن نقويهم."(٤٧٥)

الأقوال في ذكر المناسبة متفقة على معنى واحد وهي : أن الآية تحكي وتفسر شيئاً مما في الآية الماضية ، وما ذكره الرازي من قوله "واقتصاصاً له" قول جيد وزيادة حسنة .

---

(٤٧٣) التحرير والتنوير ٧٠/٢٠ .

(٤٧٤) التفسير الكبير ٥٧٨/٨ .

(٤٧٥) نظم الدرر ٤٦٤/٢٠ .

٣٠. قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ القصص: ١٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذا اعتراض بين أجزاء القصة المرتبة على حسب ظهورها في الخارج ، وهذا الاعتراض نشأ عن جملة ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ القصص: ١٣، فإن وعد الله لها قد حكي في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص: ٧ ، فلما انتهى إلى حكاية رده إلى أمه بقوله : ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ القصص: ١٣ ؛ إلى آخره ، كمل ما فيه وفاء وعد الله إياها بهذا الاستطراد في قوله : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾."[٤٧٦]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما استقر الحال على هذا المنوال ، علم أنه ليس بعده إلا الخير والإقبال ، والعز بتبني فرعون له ، والجلال ، فترك ما بينه وبين السن الصالح للإرسال ، وقال مخبراً عما بعد ذلك من الأحوال : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾."[٤٧٧]

ما قاله ابن عاشور في المناسبة أفضل مما ذكره البقاعي ، وإن كان حاصل قولهما هو : الحديث عن النبوة ، ويأتي حسن المناسبة فيما ذكره ابن عاشور من حسن ربطه للآية .

٣١. قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ القصص: ١٦ .

---

(٤٧٦) التحرير والتنوير ٨٧/٢٠ .

(٤٧٧) نظم الدرر ٤٧٠/٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"وجملة ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ تعليل لجملة ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ ، علل المغفرة له بأنه شديد الغفران ورحيم بعباده ، مع تأكيد ذلك بصيغة القصر ، إيماء إلى أن ما جاء به هو من ظلم نفسه ، وما حفه من الأمور التي ذكرناها."[478]

وقال البقاعي -رحمه الله- بعد الحديث عن قوله : ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ :"ثم علل ذلك بقوله مشيراً إلى أن صفة غيره عدم بالنسبة إلى صفته مؤكداً لذلك : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ﴾ أي : وحده ، ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ أي : البالغ في صفة الستر لكل من يريد ، ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي : العظيم الرحمة بالإحسان بالتوفيق إلى الأفعال المرضية لمقام الإلهية ، ولأجل أن هذه صفته ، رده إلى فرعون وقومه حين أرسله إليهم ، فلم يقدروا على مؤاخذته بذلك بقصاص ولا غيره ، بعد أن نجاه منهم قبل الرسالة على غير قياس." [479]

في ذكر المناسبة هنا لم يأت ابن عاشور بجديد ، فهو قد تبع البقاعي في هذا ، وما ذكره البقاعي أوسع وأحسن ، وذلك بما ذكره بعد قوله : "ولأجل أن هذه صفته".

٣٢. قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ القصص: ١٧ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"إعادة ﴿ قَالَ ﴾ أفاد تأكيداً لفعل ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾ القصص: ١٦ ، أعيد القول للتنبيه على اتصال كلام موسى عليه السلام ، حيث وقع الفصل بينه بجملتي ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ القصص: ١٦ ، ونظم الكلام : قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ، رب بما أنعمت فلن أكون ظهيراً

---

(478) التحرير والتنوير ٩٢/٢٠ .

(479) نظم الدرر ٤٧٢/٥ .

للمجرمين ، وليس قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ مستأنفاً عن قوله : ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ ، لأن موسى لم يعلم أن الله غفر له ، إذ لم يكن يوحى إليه يومئذ."[480]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أنعم عليه -سبحانه- بالإجابة إلى سؤله ، تشوف السامع إلى شكره عليها فأجيب بقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾."[481]

الذي يفهم من قول البقاعي أن الآية مستأنفة عن قوله : ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ ، وهذا عكس ما ذهب إليه ابن عاشور .

والذي يفهم من موقع الآية في ذكر القصة حسب ترتيبها في السورة أن قول موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ كان قبل مبعثه ، وعلى هذا يكون قول ابن عاشور أصح من قول البقاعي .

ويجوز أن يكون ما ذهب إليه البقاعي صحيحاً ، وذلك أنه بعد أن نُبئ موسى عليه السلام ، أخبره الله بالمغفرة ، فقال موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ ، وعلى هذا يكون قوله تعالى : ﴿ فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ جملة معترضة بين أجزاء القصة قبل مبعثه .

٣٣. قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ القصص: ٤٣.

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"المقصود من الآيات السابقة ابتداءً من قوله :

([480]) التحرير والتنوير ٩٢/٢٠ .

([481]) نظم الدرر ٤٧٢/٥ .

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ ﴾ القصص: ٣٠ ؛ إلى هنا : الاعتبار بعاقبة المكذبين القائلين : ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ القصص: ٣٦ ، ليقاس النظير على النظير ، فقد كان المشركون يقولون مثل ذلك ، يريدون إفحام الرسول ﷺ ، بأنه لو كان الله أرسله حقاً ؛ لكان أرسل إلى الأجيال من قبله ، ولما كان الله يترك الأجيال التي قبلهم بدون رسالة رسول ، ثم يرسل إلى الجيل الأخير ، فكان قوله : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ إتماماً لتنظير رسالة محمد ﷺ برسالة موسى عليه السلام ، في أنها جاءت بعد فترة طويلة لا رسالة فيها ، مع الإشارة إلى أن سبق إرسال الرسل إلى الأمم شيء واقع بشهادة التواتر ، وأنه قد ترتب على تكذيب الأمم رسلهم إهلاك القرون الأولى ، فلم يكن ذلك موجباً لاستمرار إرسال الرسل متعاقبين ، بل كانوا يجيئون في أزمنة متفرقة ، فإذا كان المشركون يحاولون بقولهم : ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ القصص: ٣٦ ؛ إبطال رسالة محمد ﷺ ، بعلة تأخر زمانها سفسطةً[٤٨٢] ووهماً ، فإن دليلهم مقدوح فيه بقادح القلب ؛ بأن الرسل قد جاءوا إلى الأمم من قبل ، ثم جاء موسى بعد فترة من الرسل ، وقد كان المشركون لما بهرهم أمر الإسلام؛ لاذوا باليهود يسترشدونهم في طرق المجادلة الدينية ، فكان المشركون يخلطون ما يلقنهم اليهود من المغالطات ؛ بما استقر في نفوسهم من تضليل أئمة الشرك ، فيأتون بكلام يلعن بعضه بعضاً ، فمرة يقولون : ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ القصص: ٣٦ ، وهو من مجادلات الأميين ، ومرة يقولون : ﴿لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ﴾القصص: ٤٨ ، وهو من تلقين اليهود ، ومرة يقولون : ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾الأنعام: ٩١ ، فكان القرآن يدمغ باطلهم بحجة الحق بإلزامهم تناقض مقالاتهم ، وهذه الآية من ذلك ، فهي حجة بتنظير رسالة محمد برسالة موسى –عليهما الصلاة

---

(٤٨٢) كلمة أصلها يوناني ، والمراد منها الوهميات والمغالطات الكاذبة ، التي قد تكون شبيهة بالحق وليست بحق . [ينظر المعجم الوسيط لمجموعة من المحققين ٤٣٣/١ ؛ والتعريفات لعلي بن محمد الجرجاني ص٢٨٦] .

والسلام–، والمقصود منها ذكر القرون الأولى."[483]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما وعد سبحانه بإمامة بني إسرائيل ، وقص القصص حتى ختم بإمامة آل فرعون في الدعاء إلى النار ؛ إعلاماً بأن ما كانوا عليه تجب مجانبته ، ومنابذته ، ومباعدته ، وكان من المعلوم أنه لا بد لكل إمامة من دعامة ، تشوفت النفس إلى أساس إمامة بني إسرائيل ؛ التي يجب العكوف في ذلك الزمان عليها ، والتمسك بها ، والمبادرة إليها ، فأخبر –سبحانه– عن ذلك مقسماً عليه مع الافتتاح بحرف التوقع ، لأن العرب وإن كانوا مصدقين لما وقع من المنة على بني إسرائيل ؛ بإنقاذهم من يد فرعون ، وتمكينهم بعده ، وإنزال الكتاب عليهم ، فحالهم بإنكار التمكين لأهل الإسلام والتكذيب بكتابهم ؛ حال المكذب بأمر بني إسرائيل ، لأنه لا فرق بين نبي ونبي ، وكتاب وكتاب ، وناس وناس ، لأن رب الكل واحد فقال : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾."[484]

استفاد ابن عاشور في ذكره للمناسبة مما قاله البقاعي ، ولكن بشيءٍ من التوسع ، وبالجملة فالقولان بينهما تشابه وتداخل ، وما ذكره البقاعي في ربط الآية أفضل مما ذكره ابن عاشور .

وذكرت هنا قول ابن عاشور بطوله لما له تعلق فيما سيأتي .

٣٤. قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ القصص: ٤٤ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"لما بطلت شبهتهم التي حاولوا بها إحالة رسالة محمد ﷺ ، نُقل الكلام إلى إثبات رسالته بالحجة الدامغة ، وذلك بما أعلمه الله به من

([483]) التحرير والتنوير ١٢٧/٢٠ .

([484]) نظم الدرر ٤٩٣/٥ .

أخبار رسالة موسى عليه السلام مما لا قبل له بعلمه ، لولا أن ذلك وحي إليه من الله تعالى ، فهذا تخلص من الاعتبار بدلالة الالتزام في قصة موسى ، إلى الصريح من إثبات نبوءة محمد ﷺ .

وجيء في الاستدلال بطريقة المذهب الكلامي ، حيث بُني الاستدلال على انتفاء كون النبي ﷺ موجوداً في المكان الذي قضى الله فيه أمر الوحي إلى موسى ، لينتقل منه إلى أن مثله ما كان يعمل ذلك إلا عن مشاهدة ، لأن طريق العلم بغير المشاهدة له مفقود منه ومن قومه ؛ إذ لم يكونوا أهل معرفة بأخبار الرسل كما كان أهل الكتاب ، فلما انتفى طريق العلم المتعارف لأمثاله ، تعين أن طريق علمه هو إخبار الله تعالى إياه بخبر موسى."[485]

وقال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أن هذا تنبيه على المعجز ، كأنه قال إن في إخبارك عن هذه الأشياء من غير حضور ، ولا مشاهدة ، ولا تعلم من أهله ، دلالة ظاهرة على نبوتك كما قال : ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ طه: ١٣٣."[486]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"لما بين سبحانه في هذه السورة من غرائب أمر موسى عليه السلام وخفي أحواله ما بين ، وكانت هذه الأخبار لا يقدر أهل الكتاب على إنكارها نوعاً من الإنكار ، وكان من المشهور أي اشتهار ؛ أن النبي ﷺ لم يعرفها ولا سواها من غير الواحد القهار ، أشار إلى ذلك سبحانه بقوله حالاً من ضمير ﴿ ءَاتَيْنَا ﴾: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾."[487]

الأقوال في المناسبات متفقة ، وقد استفاد ابن عاشور في ذكر المناسبة من سابقيه ، غير أنه ذكر زيادة جميلة في كيفية الاستدلال بنبوة محمد ﷺ .

([485]) التحرير والتنوير ١٢٩/٢٠ .

([486]) التفسير الكبير ٦٠٣/٨ .

([487]) نظم الدرر ٤٩٤/٥ .

٣٥. قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ القصص:٥٢ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"لما أفهم قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾، أنهم لم يفعلوا و لم يكونوا عند رجاء الراجي ، عقّب ذلك بهذه الجملة المستأنفة استئنافاً بيانياً ، لأنها جواب لسؤال من يسأل هل تذكّر غيرهم بالقرآن ، أو استوى الناس في عدم التذكر به ، فأجيب بأن الذين أوتوا الكتاب من قبل نزول القرآن يؤمنون به إيماناً ثابتاً."[٤٨٨]

وقال الرازي -رحمه الله- :"ثم إنه تعالى لما أقام الدلالة على النبوة أكد ذلك بأن قال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ أي : من قبل القرآن أسلموا بمحمد ، فمن لا يعرف الكتب أولى بذلك."[٤٨٩]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان من التذكر ما دل عليه بمجرد العقل ، ومنه ما انضم إليه مع ذلك النقل ، وكان صاحب هذا القسم أجدر بأن يتبصر ، وكان كأنه قيل : هل تذكروا؟ قيل : نعم ، أهل الكتاب الذين هم أهله حقاً ؛ تذكروا حقاً ، وذلك معنى قوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾...

... ﴿ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ أي : القرآن ، ﴿ هُم ﴾ أي : خاصة ، ﴿ بِهِۦ ﴾ أي : القرآن"[٤٩٠]

ذهب ابن عاشور في ذكر المناسبة إلى ما ذهب إليه البقاعي ، و لم يأت بجديد ، وهما بذلك قد خالفا قول الرازي في تعيين مراد عود ضمير (به).

فذكر البقاعي وابن عاشور : أنه الإيمان بالقرآن ، وهذا أقوى مما ذكره الرازي :

---

(٤٨٨) التحرير والتنوير ١٤٣/٢٠ .

(٤٨٩) التفسير الكبير ٦٠٧/٨ .

(٤٩٠) نظم الدرر ٤٩٩/٥ .

بأنه الإيمان بالنبي ﷺ ، وذلك لأن الآية السابقة والآية اللاحقة كانتا في الحديث عن القرآن ، وقد ذكر الرازي نفسه عند الآية السابقة على أحد الوجهين : أن المراد به القرآن[٤٩١]، فناسب أن يكون الضمير عائداً إلى القرآن لا على النبي ﷺ وتوحيد مرجع الضمير في السياق أولى من تفريقه .

وعلى كلٍ فالذي آمن بالقرآن حتماً سيؤمن بمن جاء به ، والعكس صحيح ، وإلا كيف يؤمن عاقل بالمسبَّب دون مسبِّبه .

ثم إنه قد دل كلام الرازي على أن الذين أوتوا الكتاب من قبل القرآن (أسلموا بمحمد ، فمن لا يعرف الكتب أولى بذلك) ، وهذا في الحقيقة مخالف للواقع ، فالذي يعرف الشيء أولى بالإيمان به من الذي لا يعرفه ، وقد ألمح البقاعي إلى هذا .

٣٦. قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص: ٥٦ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"لما ذكر معاذير المشركين وكفرهم بالقرآن ، وأعلم رسوله أنهم يتبعون أهواءهم ، وأنهم مجردون عن هدى الله ، ثم أثنى على فريق من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن ، وكان ذلك يحزن النبي ﷺ ؛ أن يعرض قريش وهم أخص الناس به عن دعوته ، أقبل الله على خطاب نبيه ﷺ ؛ بما يسلي نفسه ويزيل كمده، بأن ذكّره بأن الهدى بيد الله ، وهو كناية عن الأمر بالتفويض في ذلك إلى الله تعالى .

والجملة استئناف ابتدائي."[٤٩٢]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما كان من المعلوم أن نفس النبي ﷺ لما جبلت

([٤٩١]) ذكر أن المراد أحد وجهين ، الوجه المذكور سابقاً ، والثاني أخبار الأنبياء ، وأخبار الكفرة في كيفية = =إهلاكهم .[ينظر التفسير الكبير ٦٠٧/٨] .

([٤٩٢]) التحرير والتنوير ١٤٧/٢٠ .

عليه من الخير والمحبة لنفع جميع العباد ، لا سيما العرب ، لقربهم منه ﷺ ، لاسيما أقربهم منه صلة للرحم ، تتأثر بسبق أهل الكتاب لقومه ، وكان ربما ظن ظان أن عدم هدايتهم لتقصير في دعائه ، أو إرادته لذلك ، وأنه لو أراد هدايتهم وأحبها ، وعلق همته العلية بها لاهتدوا ، أجيب عن هذا بقوله تعالى في سياق التأكيد ؛ إظهاراً لصفة القدرة والكبرياء والعظمة : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾."[٤٩٣]

اختلف ابن عاشور في ذكره للمناسبة عن البقاعي ، فذكر أن المناسبة هي : تسلية النبي ﷺ .

وذكر البقاعي أن المناسبة هي : الرد على من ظن أن عدم هداية قومه كان لتقصير حاصل من النبي ﷺ .

ويمكن الجمع فيقال المناسبة هي : رد الظنون الآثمة في حق النبي ﷺ ، وتسلية له .

٣٧. قال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ **القصص:٥٨** .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"عطف على جملة ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾ القصص: ٥٧ ، باعتبار ما تضمنته من الإنكار والتوبيخ ، فإن ذلك يقتضي التعرض للانتقام ؛ شأن الأمم التي كفرت بنعم الله ، فهو تخويف لقريش من سوء عاقبة أقوام كانوا في مثل حالهم من الأمن والرزق ، فغمطوا النعمة وقابلوها بالبطر."[٤٩٤]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن هذا هو الجواب الثاني عن تلك الشبهة[٤٩٥]،

([٤٩٣]) نظم الدرر ٥/٥٠١ .

([٤٩٤]) التحرير والتنوير ٢٠/١٥٠ .

([٤٩٥]) أي : قولهم :﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ القصص: ٥٧ .

وذلك لأنه تعالى لما بين لأهل مكة ما خصوا به من النعم ، أتبعه بما أنزله الله تعالى بالأمم الماضية الذين كانوا في نعم الدنيا ، فلما كذبوا الرسل أزال الله عنهم تلك النعم ، والمقصود أن الكفار لما قالوا إنا لا نؤمن خوفاً من زوال نعمة الدنيا ، فالله تعالى بين لهم أن الإصرار على عدم قبول الإيمان ؛ هو الذي يزيل هذه النعم ، لا الإقدام على الإيمان."[٤٩٦]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما أخبر تعالى أنه قادر على التأمين والإنجاء والتمكين مع الضعفة ، أتبعه الإعلام بقدرته على الإخافة والإهلاك مع القوة ، ترغيباً لهم – إن آمنوا – بإهلاك أضدادهم ، وترهيباً – إن أصروا – من المعاملة بعكس مرادهم ، فقال في مظهر العظمة عاطفاً على معنى الكلام : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾."[٤٩٧]

ما ذكره ابن عاشور من المناسبة قريب من قول الرازي ، فقول ابن عاشور أن المناسبة : لتخويف قريش من سوء العاقبة ، وقول الرازي أن المناسبة : رداً لشبهة من شبه الكفار .

واختلف عنهما البقاعي فذكر أن المناسبة هي : الإعلام بقدرته على الإخافة والإهلاك مع القوة ، بعد ما ذكر أنه تعالى قادر على التأمين والإنجاء والتمكين مع الضعفة .

وتجتمع المناسبات كلها في أن الآية تخويف وترهيب لقريش .

ويمكن الجمع فيقال المناسبة هي : رد لشبهة الكفار ، وبيان لقدرة الله على إرهاب العصاة وإهلاكهم ، وفي هذا إرهاب وتخويف لقريش .

٣٨. قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا

([٤٩٦]) التفسير الكبير ٧/٩ .

([٤٩٧]) نظم الدرر ٥/٥٠٥ .

﴿ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ **القصص: ٥٩** .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أعقب الاعتبار بالقرى المهلكة ببيان أشراط هلاكها وسببه ؛ استقصاء للإعذار لمشركي العرب ، فبين لهم أن ليس من عادة الله تعالى أن يهلك القرى المستأهلة الإهلاك ؛ حتى يبعث رسولا في القرية الكبرى منها ، لأن القرية الكبرى هي مهبط أهل القرى والبوادي المجاورة لها ، فلا تخفى دعوة الرسول فيها ، ولأن أهلها قدوة لغيرهم في الخير والشر ، فهم أكثر استعداداً لإدراك الأمور على وجهها، فهذا بيان أشراط الإهلاك."[٤٩٨]

وقال الرازي -رحمه الله- : ثم إنه سبحانه لما ذكر أنه أهلك تلك القرى بسبب بطر أهلها ، فكأن سائلاً أورد سؤالاً : لماذا ما أهلك الله الكفار قبل محمد ﷺ مع أنهم كانوا مستغرقين في الكفر والعناد؟ فأجاب بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ .[٤٩٩]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما أظهر سبحانه سوط العذاب بيد القدرة ، دل على وطأ العدل بثمرة الغنى ، ولكونه في سياق الرحمة بالإرسال عبر بالربوبية فقال : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ ﴾."[٥٠٠]

المناسبات المذكورة كلها متفقة في المعنى مختلفة في النظم والأسلوب ، أجاد كلٌّ حسب تعبيره .

والمعنى المتفق عليه : أن من عَدْلِ الله -سبحانه- على المخلوقين ؛ أنه لا يقضي بهلاكهم إلا بعد إنذارهم .

---

(٤٩٨) التحرير والتنوير ١٥٢/٢٠ .

(٤٩٩) ينظر التفسير الكبير ٧/٩ .

(٥٠٠) نظم الدرر ٥٠٧/٥ .

٣٩. قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ القصص: ٦٠ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"لما ذكّرهم الله بنعمه عليهم تذكيراً أدمج في خلال الرد على قولهم : ﴿ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾ القصص: ٥٧ ؛ بقوله ﴿ يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ القصص: ٥٧ ، أعقبه بأن كل ما أوتوه من نعمة هو من متاع الحياة الدنيا ، كالأمن والرزق ، ومن زينتها كاللباس والأنعام والمال ، وأما ما عند الله من نعيم الآخرة من ذلك وأبقى ، لئلا يحسبوا أن ما هم فيه من الأمن والرزق هو الغاية المطلوبة ، فلا يتطلبوا ما به تحصيل النعيم العظيم الأبدي ، وتحصيله بالإيمان ، ولا يجعلوا ذلك موازناً لاتباع الهدى ، وإن كان في اتباع الهدى تفويت ما هم فيه من أرضهم وخيراتها لو سلم ذلك .

هذا وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها."[٥٠١]

وقال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أن هذا هو الجواب الثالث عن تلك الشبهة ، لأن حاصل شبهتهم أن قالوا : تركنا الدين لئلا تفوتنا الدنيا ، فبين تعالى أن ذلك خطأ عظيم ، لأن ما عند الله خير وأبقى."[٥٠٢]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما اعتلوا في الوقوف عن الإيمان بخوف التخطف ، فذكّرهم نعمته عليهم بإقامة أسباب الأمن وإدرار الرزق ، وعرّفهم أنه هو وحده الذي تخشى سطواته ، ويتقى أخذه لمن خالفه وبطشاته ، وكان خوفهم من عواقب المتابعة إما على أنفسهم ، وإما على ما بأيديهم من المتاع ، علم من ذلك كله قطعاً ؛ أن التقدير بما سبب التخويف من عواقب الظلم بمثل مصارع الأولين ، فأنفسكم في خطر من خوف

([٥٠١]) التحرير والتنوير ١٥٣/٢٠ .

([٥٠٢]) التفسير الكبير ٨/٩ .

الهلاك من القادر عليكم ؛ كقدرته على من قبلكم بسبب التوقف عن المتابعة أشد من خطر الخوف من التخطف بسبب المتابعة ، أو يكون التقدير : فما خفتم منه التخطف غير ضائركم ، وكفكم عن المتابعة لأجله غير مخلدكم ، فما إهلاككم على الله بأي وجه كان بعزيز ، فعطف على هذا الذي أرشد السياق إلى تقديره قوله : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾."[٥٠٣]

ذهب ابن عاشور في هذه المناسبة إلى ما ذهب إليه سابقاه ، وحاصل الأقوال : أن المناسبة جواب عن شبهتهم ، بتعريفهم أن ما هم فيه من النعم لاشيء في موازنة النعيم الأبدي ، الذي إنما يحصل بالإيمان ، فاحذروا سطوة الجبار .

٤٠. قال تعالى : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَـٰهُ مَتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ القصص: ٦١ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"أحسب أن موقع فاء التفريع هنا أن مما أومأ إليه قوله : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ القصص: ٦٠، ما كان المشركون يتبجحون به على المسلمين من وفرة الأموال ونعيم الترف ، في حين كان معظم المسلمين فقراء ضعفاء ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴾ المطففين: ٣١ ، أي : منعمين ، وقال : ﴿ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ المزمل: ١١ ، فيظهر من آيات القرآن أن المشركين كان من دأبهم التفاخر بما هم فيه من النعمة ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ هود: ١١٦ ، وقال : ﴿ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾ الأنبياء: ١٣ ، فلما أنبأهم الله بأن ما هم فيه من الترف إن هو إلا متاع قليل ، قابل ذلك بالنعيم الفائق الخالد الذي أعد للمؤمنين ، وهي تفيد

---

(٥٠٣) نظم الدرر ٥/٥٠٧ .

مع ذلك تحقيق معنى الجملة التي قبلها ، لأن الثانية زادت الأولى بياناً ؛ بأن ما أوتوه زائل زوالاً معوضاً بضد المتاع والزينة وذلك قوله : ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾."[٥٠٤]

وقال الرازي -رحمه الله- بعد الحديث عن ترجيح منافع الآخرة على منافع الدنيا: "ثم إنه تعالى أكد هذا الترجيح من وجه آخر ، وهو أنا لو قدرنا أن نعم الله كانت تنتهي إلى الانقطاع والفناء ؛ وما كانت تتصل بالعذاب الدائم ، لكان صريح العقل يقتضي ترجيح نعم الآخرة على نعم الدنيا ، فكيف إذا اتصلت نعم الدنيا بعقاب الآخرة ، فأي عقل يرتاب في أن نعم الآخرة راجحة عليها ، وهذا هو المراد بقوله : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَـٰقِيهِ ﴾."[٥٠٥]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان هذا سبباً لأن ظهر كالشمس بون عظيم بين حال المخالف والمؤالف ، سبب عنه وأنتج قوله مقرراً لما ذكر من الأمرين ، موضحاً لما لهما من المباينة ، منكراً على من سوى بينهما ، فكيف بمن ظن أن حال المخالف أولى: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَـٰهُ ﴾."[٥٠٦]

جميع الأقوال المذكورة حسنة ، وهي متقاربة في المعنى ، وقد تميَّز ابن عاشور في ذكر المناسبة على هذا الوجه ، وفي قوله شيء مما ذكره الرازي ، وزاد عليه أن الآية مقابلة لحال المذكورين في الآية السابقة ، وأنها أيضاً تحقيق لما قبلها ؛ بتأكيد زوال ما هم فيه ؛ بذكر ضده من إحضارهم للعذاب .

٤١. قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ

---

(٥٠٤) التحرير والتنوير ١٥٤/٢٠ .

(٥٠٥) التفسير الكبير ٨/٩ .

(٥٠٦) نظم الدرر ٥٠٨/٥ .

﴿ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ القصص: ٦٨ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"هذا من تمام الاعتراض ؛ وهي جملة ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ القصص: ٦٧ ، وظاهر عطفه على ما قبله ؛ أن معناه آيل إلى التفويض إلى حكمة الله تعالى في خلق قلوب منفتحة للاهتداء ولو بمراحل ، وقلوب غير منفتحة له ؛ فهي قاسية صماء ، وأنه الذي اختار فريقاً على فريق .

وفي «أسباب النـ.زول»[٥٠٧]للواحدي[٥٠٨]: قال أهل التفسير : نزلت جواباً للوليد بن المغيرة حين قال فيما أخبر الله عنه : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف: ٣١ ، اه." ، يعنون بذلك الوليد بن المغيرة من أهل مكة ، وعروة بن مسعود الثقفي من أهل الطائف ، وهما المراد بالقريتين ، وتبعه الزمخشري[٥٠٩]وابن عطية ، فإذا كان كذلك ؛ كان اتصال معناها بقوله : ﴿ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص: ٦٥، فإن قولهم :﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ هو من جملة ما أجابوا به دعوة الرسول ﷺ ، والمعنى : أن الله يخلق ما يشاء من خلقه من البشر وغيرهم ، ويختار من بين مخلوقاته لما يشاء مما يصلح له جنس ما منه

---

(٥٠٧) ينظر ص٢٥٦ .

(٥٠٨) علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري ، كان واحد عصره في التفسير ، صنف التفاسير الثلاثة البسيط ؛ والوسيط ؛ والوجيز ؛ وأسباب النـ.زول ؛ والمغازي وغيرها ، وتصدر للإفادة والتدريس مدة ، مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة .[ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٤٢/١٨ ؛ وطبقات المفسرين للسيوطي ص٧٩] .

(٥٠٩) محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي ، كبير المعتزلة ، يلقب جار الله لأنه جاور بمكة زمانا ، ولد في رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر ؛ قرية من قرى خوارزم ، وكان رأساً في البلاغة والعربية والمعاني والبيان ، له التصانيف البديعة منها : الكشاف في التفسير ؛ والفائق في غريب الحديث ؛ وأساس البلاغة وغيرها ، مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. [ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥١/٢ ؛ وطبقات المفسرين للسيوطي ص١٢٠] .

الاختيار ، ومن ذلك اختياره للرسالة من يشاء إرساله ، وهذا في معنى قوله : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ الأنعام: ١٢٤ ، وأن ليس ذلك لاختيار الناس ورغباتهم ، والوجهان لا يتزاحمان."[٥١٠]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أن القوم كانوا يذكرون شبهة أخرى ويقولون: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ يعنون الوليد بن المغيرة ، أو أبا مسعود الثقفي ، فأجاب الله تعالى عنه بقوله : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ ، والمراد أنه المالك المطلق ، وهو منـ.ـزه عن النفع والضر ، فله أن يخص من شاء بما شاء ؛ لا اعتراض عليه البتة."[٥١١]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما كان كأنه قيل : ما لأهل القسم الأول لا يتوخون النجا من ضيق ذلك البلا ، إلى رحب هذا الرجا ، وكان الجواب : ربك منعهم من ذلك ، أو ما لم يقطع لأهل هذا القسم بالفلاح كما قطع لأهل القسم الأول بالشقاء؟ وكان الجواب : إن ربك لا يجب عليه شيء عطف عليه ؛ إشارة إليه قوله : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾."[٥١٢]

حوى ابن عاشور بقوله قول سابقيه ، فذكر المناسبة بأسلوب جميل ، وذهب الرازي في ذكر المناسبة إلى المعنى الخاص للآية ، وهو ما ذُكر من سبب نزول امآية ، في حين أن البقاعي ذهب إلى المعنى العام للآية .

٤٢. قال ٪عالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ القصص: ٧١ .

([٥١٠]) التحرير والتنوير ١٦٤/٢٠ .

([٥١١]) التفسير الكبير ١١/٩ .

([٥١٢]) نظم الدرر ٥١٢/٥ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"انتقال من الاستدلال على انفراده تعالى بالإل٧ية بصف٧ت ذاته ؛ إلى الاستدلال على ذلك ببديع مصنوعاته ، وفي ضمن هذا الاستدلال ، إدماج الامتنان على الناس ، وللتعريض بكفر المشركين جلائل نعمه."[٥١٣]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه تعالى لما بين من قبل استحقاقه للحمد على وجه الإجمال بقوله : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص: ٧٠ ، فصل عقيب ذلك ببعض ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه ، فقال لرسوله : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾."[٥١٤]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما قامت على القدرة الشاملة والعلم التام ، وأنه الإله وحده إن وحدوا ، أو الحدوا هذه الأعلام على هذا النظام ، أقام دليلاً دالاً على ذلك كله بما اجتمع فيه من العلم والحكمة وتمام القدرة ، منبهاً على وجوب حمده ، مفصلاً لبعض ما يحمد عليه ، فقال مقدماً الليل لأن آيته عدمية وهي أسبق : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾."[٥١٥]

ذكر ابن عاشور أن المناسبة هي : انتقال من الاستدلال على انفراده تعالى بالإلهية بصفات ذاته ، إلى الاستدلال على ذلك ببديع مصنوعاته ، وفي ضمن ذلك امتنان وتعريض .

وذكر الرازي أن المناسبة هي : تفصيل لما أجمل سابقاً ؛ لبعض ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه .

وذكر البقاعي أن المناسبة هي : إقامة دليلٍ دالٍ على القدرة الشاملة والعلم التام ،

---

(٥١٣) التحرير والتنوير ١٦٨/٢٠ .

(٥١٤) التفسير الكبير ١٢/٩ .

(٥١٥) نظم الدرر ٥١٤/٥ .

وأنه الإله وحده ، منبهاً على وجوب حمده ، مفصلاً لبعض ما يحمد عليه .

الأقوال متشابهة في بعض الجزئيات ، وهي مكملة بعضها لبعض ، فما ذكره البقاعي فيه شيءٌ مما ذكره الرازي ، وما ذكره ابن عاشور فيه شيءٌ مما ذكره البقاعي .

٤٣. قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ القصص: ٧٤ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"كررت جملة ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ مرة ثانية ، لأن التكرير من مقتضيات مقام التوبيخ ، فلذلك لم يقل : ويوم ننزع من كل أمة شهيداً ، فأعيد ذكر أن الله يناديهم بهذا الاستفهام التقريعي ؛ وينزع من كل أمة شهيداً ، فظاهر الآية : أن ذلك النداء يكرر يوم القيامة .

ويحتمل أنه إنما كررت حكايته ، وأنه نداء واحد يقع عقبه جواب الذين حق عليهم القول من مشركي العرب ، ويقع نزع شهيد من كل أمة عليهم ، فهو شامل لمشركي العرب وغيرهم من الأمم."[٥١٦]

وقال الرازي -رحمه الله- :"اعلم أنه سبحانه لما هجن طريقة المشركين ، أولاً ثم ذكر التوحيد ودلائله ثانياً ، عاد إلى تهجين طريقتهم مرة أخرى وشرح حالهم في الآخرة فقال : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾."[٥١٧]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما ذكر ما للمفلح من الرجاء في يوم الجزاء ، وأتبعه الإعلام بأن الهداية إلى الفلاح إنما هي به ، ودل على ذلك إلى أن ذكر أيام الدنيا المشتملة على الليل والنهار على وجه دال على وحدانيته ، معلم بالقدرة على البعث بعد الموت ، بتكرير إيجاد كل من الملوين بعد إعدامه ، وتكرير إماتة الناس بالنوم ثم نشرهم

---

(٥١٦) التحرير والتنوير ١٧٢/٢٠ .

(٥١٧) التفسير الكبير ١٣/٩ .

باليقظة ، وختم ذلك بالشكر إشارة إلى أنه سبب الفلاح ، عاد إلى يوم الجزاء الذي تظهر فيه ثمرة ذلك كله ، مقرعاً على الإشراك مع ظهور هذه الدلائل على التوحيد ، وعدم شبهة قائمة على الشرك غير محض التقليد ، فقال منبهاً على عجزهم عن البرهان عند استحقاق البرهان في يوم التناد لمحضر من الأشهاد ، مع ما فيه من التأكيد للتهويل بالتكرير ، والتأطيد للتهليل والتقرير : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾."[518]

في ذكر المناسبة هنا استفاد ابن عاشور من قول الرازي ، و لم يذهب البقاعي عن الرازي ببعيد ، غير أنه في ذكر وجه الربط كان أقوى منهما وذلك عند قوله : (عاد إلى يوم الجزاء الذي تظهر فيه ثمرة ذلك كله)

فالمناسبة : تكرار للتهجين والتوبيخ على الإشراك بالله ؛ مع ظهور الدلائل على التوحيد .

٤٤. قال تعالى : ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ القصص: ٧٦ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"استئناف ابتدائي ؛ لذكر قصة ضربت مثلاً لحال بعض كفار مكة ؛ وهم سادتهم مثل : الوليد بن المغيرة ، وأبي جهل بن هشام ، ولها مزيد تعلق بجملة ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ القصص:٦٠- ٦١ .

ولهذه القصة اتصال بانتهاء قصة جند فرعون ؛ المنتهية عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا

---

(٥١٨) نظم الدرر ٥/٥١٥ .

﴿ كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ القصص: ٤٦ ، الآية."[519]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما دل على عجزهم في تلك الدار ، وعلمهم أن المتصرف في جميع الأقدار ؛ إنما هو الواحد القهار ، دل على أن ذلك له أيضاً في هذه الدار ؛ وقوع العلم به بإهلاك أولي البطر والمرح والأثر ، من غير أن يغنوا عمن أضلوا ، أو يغني عنهم من أضلهم من ناطق ، وما أضلهم من صامت ، تطبيقاً لعموم ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ القصص: ٥٨ ؛ على بعض الجزئيات ، تخويفاً لمن كذب النبي ﷺ ، لا سيما من نسبه إلى السحر ، وإعلاماً بأن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يقاطعون الأشقياء وإن كانوا أقرب الأقرباء ، لأنه سبحانه عذب قارون ومن كان معه بعذاب لم يسبقهم فيه أحد ، وهم من بني إسرائيل ، ومن أقرب بني إسرائيل إلى موسى عليه السلام ، فعلم من كان اغتر بما أوتيه ؛ أن الحق لله في كل ما دعت إليه رسله ، ونطقت به كتبه ، وضل عنهم ما كانوا يفترون ، ولم يغن عنهم شيئاً ما اعتمدوا عليه ، فكان معبودهم في الحقيقة مما جمعوه من حطام الدنيا ، فاعتقدوا أنهم نالوا به السعادة الدائمة والعز الباقي ، فكان مثله - كما يأتي في التي بعده - كمثل العنكبوت اتخذت بيتا، وكل ذلك بمرأى من موسى عليه السلام حين كذبه ونسبه إلى السحر وتكبر عليه ، فلم يسأل الله تعالى فيه ؛ لخروجه باستكباره من الوعد بالمنة على الذين استضعفوا في الأرض، وكان ذلك العذاب الذي عذبوا به من جنس ما عذب به فرعون في الصورة من حيث إنه تغييب ، وإن كان ذلك في مائع وهذا صلب جامد ، ليعلم أنه قادر على ما يريد ، ليدوم منه الحذر فيما سبق منه القضاء والقدر ، ونزع موسى عليه السلام من كل سبط من أسباط بني إسرائيل شهيداً من عصيهم وقال لهم : هاتوا برهانكم فيها ، فعلموا بإبراق عصا هارون عليه السلام دون عصيهم ؛ أن الحق لله في أمر الحبورة وفي جميع أمره فقال : ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾."[520]

([519]) التحرير والتنوير ١٧٤/٢٠ .

([520]) نظم الدرر ٥١٦/٥ .

المناسبتان متقاربتان في الذكر ، وما ذكره ابن عاشور في ربط الآية جيد ، وما ذكره البقاعي من أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يقاطعون الأشقياء وإن كانوا أقرب الأقرباء جميل جداً ، وأجاد في ذكر المقابلة بين ما غيب به فرعون ، وما غيب به قارون ، هذا في مائعٍ سائل ، وهذا في صلب جامد ، لبيان قدرة الله على كل شيء .

٤٥. قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص: ٨٣ .

قال ابن عاشور -رحمه الله- :"انتهت قصة قارون بما فيها من العبر من خير وشر، فأعقبت باستئناف كلام عن الجزاء على الخير وضده في الحياة الأبدية ، وأنها معدة للذين حالهم بضد حال قارون ، مع مناسبة ذكر الجنة بعنوان الدار ؛ لذكر الخسف بدار قارون، للمقابلة بين دار زائلة ودار خالدة."[٥٢١]

وقال الرازي -رحمه الله- :"أما قوله : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ ﴾ فتعظيم لها وتفخيم لشأنها."[٥٢٢]

وقال البقاعي -رحمه الله- :"ولما قدم سبحانه أن المفلح من تاب وآمن وعمل صالحاً ، وهو الذي أشار أهل العلم إلى أن له ثواب الله ، وكان ذلك للآخرة سبباً ومسبباً ، ومر فيما لا بد منه حتى ذكر قصة قارون المعرّفة -ولا بد- بأن هذه الدار للزوال ، لا يغنى فيها رجال ولا مال ، وأن الآخرة للدوام ، وأمر فيها بأن يحسن الابتغاء في أمر الدنيا ، وختم بأن هذا الفلاح مسلوب عن الكافرين ، فكان موضع استحضار الآخرة ، مع أنه قدم قريباً من ذكرها وذكر موافقتها ما ملأ به الأسماع ، فصيرها حاضرة لكل ذي فهم ، معظمة عند كل ذي علم ، أشار إليها سبحانه لكلا الأمرين : الحضور

([٥٢١]) التحرير والتنوير ١٨٩/٢٠ .

([٥٢٢]) التفسير الكبير ١٨/٩ .

والعظم فقال : ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾."[٥٢٣]

أجاد ابن عاشور في ذكر المناسبة هنا ، فذكر أنه لما أورد الله سبحانه الخسف بقارون وبداره ، ناسب أن يذكر الدار الأخرى التي لا يستحقها من عَمِلَ عَمَلَ قارون .

وعموماً فالمناسبات المذكورة كلها جيدة متقاربة في المعنى ، تفوّق في ذكرها ابن عاشور في أسلوب جميل ، ومقابلة للأحوال لطيفة .

٤٦. قال تعالى : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ القصص: ٨٤ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"تتنـزل جملة ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ﴾ ؛ منـزلة بدل الاشتمال لجملة ﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القصص: ٨٣ ، لأن العاقبة ذات أحوال من الخير ودرجات من النعيم ، وهي على حسب ما يجيء به المتقون من الحسنات فتفاوت درجاتهم بتفاوتها."[٥٢٤]

وقال الرازي –رحمه الله– :"اعلم أنه تعالى لما بين أن الدار الآخرة ليست لمن يريد علواً في الأرض ولا فساداً ؛ بل هي للمتقين ، بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾."[٥٢٥]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما تحرر الفرق بين أهل الدارين ، وكان لا بد من إتيان الآخرة ، وعلم أن الآخرة إنما هي جزاء الأعمال ، وتقرر من كونها للخائفين أنها على الآمنين ، فاستؤنف تفصيل ذلك جواباً لمن كأنه قال : ما لِمن أحسن ومن أساء عند

([٥٢٣]) نظم الدرر ٥/٥٢٧ .

([٥٢٤]) التحرير والتنوير ٢٠/١٩٠ .

([٥٢٥]) التفسير الكبير ٩/١٩ .

القدوم؟ بقوله : ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾."[٥٢٦]

في ذكر المناسبة هنا تحدث ابن عاشور عمن جاء بالحسنة دون ذكر الفريق الآخر، وذهب الرازي والبقاعي في ذكر المناسبة إلى الفريقين .

والمعنى المراد واحد وهو بيان حال العامل وجزائه يوم القيامة .

٤٧. قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ القصص: ٨٥ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"ابتداء كلام للتنويه بشأن محمد ﷺ وتثبيت فؤاده، ووعده بحسن العاقبة في الدنيا والآخرة ، وأن إنكار أهل الضلال رسالته لا يضيره ، لأن الله أعلم بأنه على هدى وأنهم على ضلال ، بعد أن قدم لذلك من أحوال رسالة موسى عليه السلام ما فيه عبرة ؛ بالمقارنة بين حالي الرسولين ، وما لقياه من المعرضين."[٥٢٧]

وقال الرازي –رحمه الله– :"ثم إنه سبحانه لما شرح لرسوله أمر القيامة واستقصى في ذلك ، شرح له ما يتصل بأحواله فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾."[٥٢٨]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما قرر ذكر الآخرة التي هي المرجع وكرره ، وأثبت الجزاء فيها ، وأن العاقبة للمتقين ، أتبعه ما هو في بيان ذلك كالعلة ، فقال مستأنفاً مقرراً مؤكداً لما تقرر في أذهانهم من إنكار الآخرة ، وما يقتضيه حال خروجه ﷺ من مكة المشرفة من استبعاد رده إليها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ

---

(٥٢٦) نظم الدرر ٥٢٨/٥ .

(٥٢٧) التحرير والتنوير ١٩١/٢٠ .

(٥٢٨) التفسير الكبير ١٩/٩ .

﴾."[529]

جاء حديث البقاعي وابن عاشور عن المناسبة كأنه شرح لقول الرازي ، فقول الرازي : (شرح له ما يتصل بأحواله) ، هو مدار حديث البقاعي وابن عاشور في شرح هذه الأحوال .

فتكون المناسبة هي : شرح لبعض أحوال النبي ﷺ ، ومقارنة لحاله بحال موسى عليه السلام .

٤٨. قال تعالى :﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ القصص: ٨٦ .

قال ابن عاشور –رحمه الله– :"عطف على جملة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ باعتبار ما تضمنته من الوعد بالثواب الجزيل ، أو بالنصر المبين ، أي: كما حمّلك تبليغ القرآن ؛ فكان ذلك علامة على أنه أعد لك الجزاء بالنصر في الدنيا والآخرة، كذلك إعطاؤه إياك الكتاب عن غير ترقب منك ، بل بمحض رحمة ربك ، أي : هو كذلك في أنه علامة لك على أن الله لا يترك نصرك على أعدائك ، فإنه ما اختارك لذلك ؛ إلا لأنه أعد لك نصراً مبيناً وثواباً جزيلاً."[530]

وقال البقاعي –رحمه الله– :"ولما كان الجواب لكل من أنصف : هم في ضلال مبين ، لأنهم ينحتون من عند أنفسهم ما لا دليل عليه ، وأنت جئت بالهدى لأنك أتيت به عن الله ، بني عليه قوله : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ ﴾."[531]

([529]) نظم الدرر ٥٢٩/٥ .

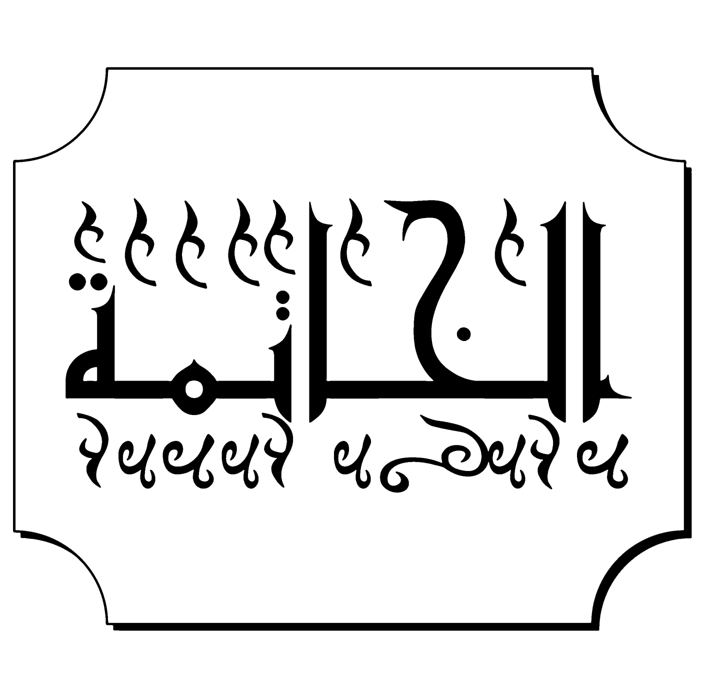
([530]) التحرير والتنوير ١٩٤/٢٠ .

([531]) نظم الدرر ٥٣٠/٥ .

الاختلاف في ذكر المناسبة هنا يسير ، فالذي يظهر في ثنايا حديث ابن عاشور عن المناسبة : أن الآية رحمة للنبي ﷺ وتسلية له ، فلن يترك نصره ، وسيجزل له الثواب .

وذكر البقاعي أن الآية مقابلة للحال ، فإن الذين في ضلال مبين ينحتون من عند أنفسهم ما لا دليل عليه ، أما أنت فلا ، لأنك جئت بالهدى عن الله .

وتتفق المناسبتان على أن في الآية إظهار للرحمة بالنبي ﷺ ، والله أعلم .


الخاتمة

إن علم المناسبات علم جدير بالاهتمام فهو يعين على تدبر كتاب الله ومعرفة مراد الله من آياته ، وهذا البحث في علم المناسبات وآثرها في تفسير التحرير والتنوير من سورة طه إلى آخر سورة القصص ، حاولت فيه خدمة هذا العلم وإيصاله للقراء والباحثين وخصوصاً طلبة العلم المتخصصين .

فبدأت البحث بالتعريف بعلم المناسبات لغة واصطلاحاً ، ثم تطرقت إلى ذكر أبرز العلماء الذين تحدثوا عن هذا العلم ، وعن أول من تحدث في هذا العلم ، ومن هو صاحب السبق في التأليف فيه ، ثم ذكرت بعض أقوال الذين شددوا على هذا العلم وأبرز المعترضين عليه مع بيان وجهة نظرهم في المسألة مكتفياً بذكر قول أحد العلماء في الرد عليهم .

تناولت بعد ذلك التعريف بالمؤلف وبكتابه ، ذاكراً المقدمات العشر التي ذكرها في أول كتابه ؛ لأهميتها لطالب العلم .

عقب هذا ذكرت المنهج الذي تبعه ابن عاشور –رحمه الله– في ذكره للمناسبات في القسم المقرر .

شرعت بعد ذلك في القسم الرئيسي للبحث ، فذكرت المناسبات التي أوردها ابن عاشور –رحمه الله– في القسم المقرر جمعاً ودراسة ؛ مع موازنتها بما ورد في تفسير الرازي –رحمه الله– [التفسير الكبير] ، وما جاء في كتاب البقاعي –رحمه الله– [نظم الدرر في تناسب الآيات والسور] .

وفي نهاية البحث وبعد ما عشت مع تفسير ابن عاشور –رحمه الله– فترة من الزمن تبين لي بعضاً من النتائج والتوصيات ، وهذه جملة من أهم تلك النتائج والتوصيات.

النتائج

هذه أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال ما وقف عليه أثناء بحثه ، وهي كالتالي :-

١. أهمية علم المناسبات في فهم وتدبر كتاب الله ، فمن خلالها يستطيع الباحث ، أو القارئ ، أو السامع لكتاب الله ، ربط الآيات بعضها ببعض مما يعينه على تدبر القرآن وفهمه .

٢. أن المناسبات نوع من أنواع إعجاز القرآن ، فهو معجز في ترتيب آياته ونظمه ، ومعجز في تعلق آياته بعضها ببعض ، كأنه أنزل على النبي ﷺ جملة واحدة .

٣. دقة علم المناسبات ، فقد يؤثر الحرف على فهم المناسبة ، وعلى وجه الربط والترابط بين الآيات ، وربما على المعاني والتفسير .

٤. تميز تفسير التحرير والتنوير بالجدة ، وبخاصة في علم المناسبات .

٥. جدارة الطاهر ابن عاشور -رحمه الله- وتمكنه في البحث والكتابة عن المناسبات ، وقد خدم هذا النوع من العلم .

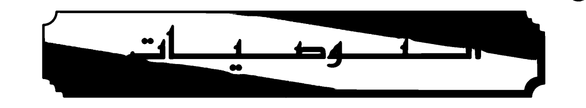
٦. أن الطاهر ابن عاشور -رحمه الله- من المتوسطين في ذكر المناسبات ، فهو لا يتعسف في ذكر المناسبة ولا يتكلفها ، وهذا هو الطابع الغالب على تفسيره .

٧. لم يأت الطاهر ابن عاشور-رحمه الله- في بعض المواضع بجديد ، أو بما فيه مقنع ، وهو ما قد عابه على بعض سابقيه .

٨. هذا العلم لم يحظ ببحث ودراسة كافية وذلك من الجانب التطبيقي .

٩. عدم معرفة كثير من الناس على وجه العموم المراد من المناسبات ، مما يدل على عدم اهتمام كثير من طلبة العلم بهذا النوع من العلوم ، وكذلك في بيانه للناس .

١٠. ظهر للباحث قلة التعاون بين المغرب العربي الإسلامي ، والمشرق العربي الإسلامي في التبادل العلمي ، وذلك من خلال انتشار كتب ابن عاشور وغيره من علماء المغرب العربي بشكل كبير ملحوظ في تلك الديار ، دون المشرق العربي ، والعكس صحيح .



من خلال ما مر به الباحث في مراحل بحثه ، واستناداً إلى أهم النتائج التي توصل إليها الباحث يوصي بما يلي :

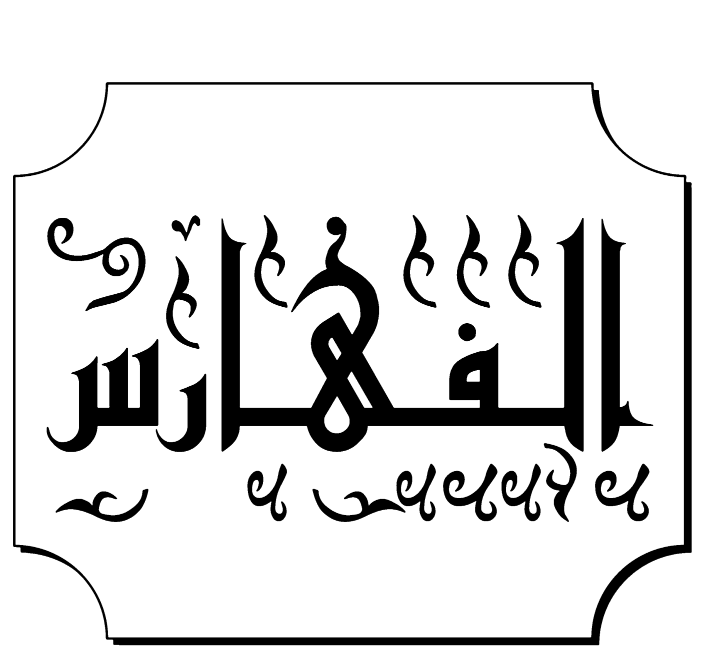
١. دعوة الباحثين والعلماء إلى دراسة المناسبات والاهتمام بها ، مع عدم التكلف والخوض فيها بغير علم ، وأقصد من ذلك الجانب التطبيقي .

٢. تقرير علم المناسبات كمادة على جميع الكليات والمعاهد الشرعية ، ولو في فصل دراسي واحد ، الهدف منه تبيين هذا العلم وأخذ نماذج تمثيلية له.

٣. تقرير علم المناسبات على طلبة الدراسات العليا في قسم التفسير وعلوم القرآن كمادة أساسية .

٤. دعوة عمداء المكتبات العامة إلى الإسهام في نشر موروث العلماء في بلاد المغرب الإسلامي ، وذلك بجلب أكبر قدر من أمهات الكتب المنتشرة في تلك البلاد .

هذا ، فما أصبت فمن الله وحده ، وما أخطأت فمن الشيطان والنفس الأمارة بالسوء ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .


الفهارس

فهرس الآيات

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ ﴾	٣٦	٢٣
﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ﴾	٣٧	٢٢،٢٣
﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾	٨	١٢٢
﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾	٩١	٢٥٥
﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾	١٢٤	٢٦٦
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾	١٥٣	١٦٥
﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾	٦٩	١٣٧
﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾	٨٩	١٦٣
﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾	٣٢	٥٣،١١٥
﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾	٩١	١٤٣
﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾	٢	٢١٠
﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ﴾	٤٩	١٣٩

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا ﴾	٨٨	٢٠٨
﴿ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ ﴾	١١٦	٢٦٤
﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾	١٢٠	٦٦
﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾	٣	٤٥
﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	٥	٩٨
﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	١٩	٨٣
﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾	١٢	٢١٦
﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾	٧٦	٢٣٢
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾	٨٣	١٣٧
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾	٩٧	١٨٦
﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾	٩٨	١٨٦
﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾	٩٩	١٨٦
﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾	٩٧	٩٩

﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾	٧٧	٩٠
﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾	٥٨	٢٠٩
﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾	٥٨	٦٥
﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ﴾	٥٩	٦٥
﴿ طه ﴾	١	٦٢،٦٥
﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾	٢	٦٢،٦٥،٦٦،٧٥
﴿ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾	٣	٦٥
﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴾	٩	٦٥،٦٦
﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾	٥٥	٦٧،٦٨
﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾	٨٦	٦٩
﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾	٨٧	٦٩
﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ ﴾	٩٠	٦٩
﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾	٩٢	٦٩
﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾	٩٩	٦٦،٧٠،٧١،٧٢،٧٣
﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴾	١٠٠	٦٦،٧١
﴿ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴾	١٠١	٦٦

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴾	١١٣	٧٠،٧٢،٧٣
﴿ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾	١١٤	٧١،٧٢
﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴾	١١٥	٧١
﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ ﴾	١١٧	٧٢
﴿ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾	١٢٨	٧٤
﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾	١٣٠	٦٦،٧٣،٧٤
﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾	١٣٣	٧٣،٧٤،٢٥٧
﴿ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ ﴾	١٣٥	٧٥
﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ ﴾	١	٨١،٨٢
﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم ﴾	٢	٩١
﴿ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾	٣	١٠١
﴿ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾	٤	١٠٠
﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾	٥	٧٣،٧٤،٨٩

﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ ﴾	٦	٨٢
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾	٧	٩٠
﴿ ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾	٩	٨٢
﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ ﴾	١٠	٨٣،٩١،١٠٠
﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ ﴾	١١	٨٢،٨٣
﴿ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ ﴾	١٣	٢٦٤
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ ﴾	٢٥	٩٠
﴿ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾	٣١	٨٤
﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ ﴾	٣٢	٨٣،٨٤
﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾	٣٦	٨٤،٨٦،٨٨
﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾	٣٧	٨٤،٨٦،١٠٠
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	٣٨	٨٤،٨٥،٨٦
﴿ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ ﴾	٤٠	٨٩
﴿ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ ﴾	٤١	٨٧
﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ	٤٤	٩٩،١٠٠

أَطْرَافِهَآ ﴾		
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ﴾	٤٥	٩١،٩٠
﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾	٤٦	٨٨
﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾	٤٧	٨٨
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً ﴾	٤٨	٩١،٨٩
﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾	٥٠	٩٠
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾	٥١	٥٨،٩٣،٩١
﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾	٧٤	٩٣
﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ ﴾	٧٩	٩٤
﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ ﴾	٨١	٩٤
﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾	٨٣	٩٥
﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	٨٥	٩٦،٩٥
﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ﴾	٨٦	٩٦
﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾	٨٧	٩٦
﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾	٨٩	٩٦
﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن	٩١	١٠١،٩٧

زَوجِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾	١٠١	٩٨
﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾	١٠٤	٩٨
﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾	١٠٥	٥٧،٩٩
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	١٠١
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	٨	١٠٧
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ﴾	١١	١٠٧
﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾	١٢	١٠٩،١١٠
﴿ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾	١٣	١٠٩،١١٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾	١٤	١٠٧
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾	١٦	١٠٨
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾	١٨	١٠٩،١١٠

﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾	١٩	١١٠
﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾	٢٤	١١١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٢٥	١١١،١١٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ ﴾	٣٨	١١٢
﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ ﴾	٤٢	١١٤،١١٥
﴿ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾	٤٤	١١٤،١١٥
﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ﴾	٤٥	١١٣
﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ ﴾	٤٧	١١٥
﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً ﴾	٥٥	١١٦
﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾	٥٦	١١٦
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾	٦١	١١٧
﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾	٦٣	١١٧،١١٨
﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾	٦٤	١١٨
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴾	٦٦	١١٧،١١٩

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴾	٧١	١٢٢
﴿ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا ﴾	٧٢	١٢٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾	٧٣	١٢٠،١٢٢
﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	٧٤	١٢١،١٢٢
﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾	٧٥	١٢٢،١٢٣،١٢٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ ﴾	٧٧	١٢٤
﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾	١	١٣١
﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴾	١٢	١٣١،١٣٢،١٣٣
﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴾	١٦	١٣٣
﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ ﴾	١٧	١٣٣،١٣٤
﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾	١٨	١٣٤

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	٢٣	١٣٤
﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾	٢٦	١٣٦
﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾	٣١	١٣٨،١٣٧
﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾	٣٣	١٤١
﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾	٤٠	١٣٧
﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ ﴾	٤١	١٣٧
﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴾	٤٢	١٣٩
﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾	٤٣	١٣٩،١٣٨
﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾	٤٤	١٣٩
﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾	٥٠	١٤١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾	٥١	١٤٠
﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾	٥٤	١٤٢
﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾	٥٥	١٤٢
﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾	٥٦	١٤٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾	٥٧	١٤٢
﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾	٦٢	١٤٣
﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾	٦٣	١٤٢

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾	٧٨	١٣٥
﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ ﴾	٩٦	١٤٤،١٤٥
﴿ سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾	١	١٦٤،١٦٥
﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾	١٠	١٥٠
﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	١٨	١٥١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾	١٩	١٥١،١٥٢
﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾	٢٠	١٥٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾	٢١	١٥٤،١٥٥،١٥٦
﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾	٢٢	١٤٨،١٥٦،١٥٧

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾	٢٧	١٥٨
﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾	٢٨	١٥٩
﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾	٣٠	١٦٠،١٦١،١٦٢
﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾	٣١	١٧٥
﴿عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾	٣١	١٧٥
﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾	٣٢	١٦٢،١٦٣
﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾	٣٤	١٦٣،١٦٥
﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	٣٥	١٦٥،١٦٦،١٦٧
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾	٣٩	١٦٨

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾	٤٠	١٦٨
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾	٤١	١٦٨،١٦٩،١٧٠
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	٤٥	١٧٠
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ﴾	٥١	١٧١،١٧٢
﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	٥٣	١٧٢
﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾	٥٤	١٧٣،١٧٤
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ﴾	٥٥	١٧٣،١٧٤

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٥٧	١٧٥
﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ ﴾	٦٠	١٧٥
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	١	١٨٠،١٨١،١٨٢، ١٨٣،١٩٢
﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾	٣	١٧٨،١٨٣
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾	٤	١٨٢
﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	٦	١٨٤
﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾	٧	١٤١،١٨٧
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾	٢٠	١٨٥
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾	٢١	١٢٢
﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ﴾	٢٩	١٨٧

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾	٣٠	١٨٧،١٨٨
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾	٣١	١٨٨
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾	٣٢	٩٣،١٨٨،١٩٢،١ ٩٣،١٩٥
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾	٣٥	١٨٨،١٨٩
﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾	٤٣	١٩٣
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾	٤٧	١٨٩،١٩١
﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾	٤٨	١٩٠،١٩١،١٩٦
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾	٥١	٥٨،١٩١،١٩٣،١ ٩٤
﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾	٥٢	١٩١،١٩٣،١٩٦
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾	٥٣	١٩٥،١٩٦
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾	٥٤	١٩٧،١٩٨،١٩٩

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾	٦١	١٩٩،٢٠٠
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾	٦٢	٢٠١
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾	٦٣	١٩٩،٢٠٠،٢٠١، ٢٠٢
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾	٦٨	١٧٨
﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	٧٠	١٧٨
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾	٧٥	٢٠١
﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى ﴾	٧٧	٢٠١
﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾	٢	٢١٤،١١٥
﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾	٣	٢٠٨
﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً ﴾	٤	٢٠٨
﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ ﴾	٥	٩٣،٢١٥
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾	٧	٢١٠
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	٨	٢٠٦
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٩	٢٠٦،٢٠٨،٢٠٩
﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	١٠	٢٠٩،٢١٠

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾	١٨	٢٤٨
﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾	١٩	٢٤٨
﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾	٦٩	٢١١
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	١٠٣	٢١٣
﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾	١٠٥	٢١٣،٢١٤
﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١٩٢	٢١٤،٢١٦
﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾	١٩٣	٢١٧
﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾	١٩٤	٢١٧
﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	١٩٧	٢٠٥
﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾	٢٠٠	٢١٦،٢١٧
﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾	٢١٢	٢١٨
﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾	٢١٣	٢١٧،٢١٨
﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	٢١٦	٢١٨
﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾	٢١٧	٢١٨
﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	٢٢٠	٢١٨،٢١٩
﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾	٢٢٢	٢٢٠
﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾	٢٢٤	٢٠٥،٢١٩،٢٢٠
﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٢	٢٣٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٧٧	٢٣٧،٢٣٨
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٧٨	٢٣٨،٢٣٩،٢٤٠، ٢٤٢
﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾	٧٩	٢٤٠
﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾	٨٠	٢٤٠،٢٤١
﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾	٨١	٢٤٠،٢٤١
﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾	٨٢	٢٤٠،٢٤١،٢٤٣
﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ ﴾	٨٦	٢٤٢،٢٤٣
﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾	٨٧	٢٤٢،٢٤٣
﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾	٨٨	٢٤٢،٢٤٣،٢٤٤
﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾	٨٩	٢٤٢
﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ ﴾	٣	٢٤٩
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾	٤	٢٥٠،٢٥١
﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾	٥	٢٤٩،٢٥١
﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾	٧	٢٥٢

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾	٥٥	٢٤٧
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾	٥٦	٢٥٩،٢٦٠
﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ﴾	٥٧	٢٦٠،٢٦٣
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾	٥٨	٢٦٠،٢٦١،٢٧٠
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾	٥٩	٢٦١،٢٦٢
﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾	٦٠	٢٦٢،٢٦٣،٢٦٤، ٢٧٠
﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾	٦١	٢٦٤،٢٦٥،٢٧٠
﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾	٦٥	٢٦٦
﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾	٦٧	٢٦٥
﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾.	٦٨	٢٦٥،٢٦٦،٢٦٧
﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ﴾	٧٠	٢٦٧
﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ	٧١	٢٦٧،٢٦٨

ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾		
﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾	٧٤	٢٦٨،٢٦٩
﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾	٧٦	٢٧٠،٢٧١
﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	٨٣	٢٧١،٢٧٢،٢٧٣
﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٨٤	٢٧٢،٢٧٣
﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾	٨٥	٢٤٧،٢٧٣،٢٧٤
﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾	٨٦	٢٧٤،٢٧٥
﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	٢٨	١١٥
﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾	٣٥	٩٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾	٧٠	٧

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴾	١٣٧	١٣٧،٢٣٢
﴿ وَبِالَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	١٣٨	١٣٧،٢٣٢
﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾	١٦	٨٥
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا ءَايَٰتِهِۦ ﴾	٢٩	٧
﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾	٨٨	١٨٦
﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾	٧٣	٩٩
﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾	٧٤	٩٩
﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ﴾	٤٤	١٩٣
﴿ وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾	٢٨	٥٤
﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾	٣١	٢٦٦
﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾	٣٨	١٣٣
﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا	٣٩	١٣٣

يَعۡلَمُونَ ﴾		
إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾	٤٠	١٣٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾	١٣	١٩٨
﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ ﴾	٨	١٧٣
﴿ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴾	٤١	٢٢٠
﴿ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	٤٢	٢٢٠
﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾	٤	١٣٩
﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾	١٧	٦٨
﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾	١٨	٦٨
﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴾	١١	٢٦٤
﴿ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴾	٣١	٢٦٤

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الأبيات الشعرية

آذَنَـ . ـتـ . ـنا بِـ . ـبَـ . ـيْـ . ـنِـ . ـهَـ . ـا أسماءُ	**	رُبَّ ثَاوٍ يُمـ . ـلُّ مِنْهُ الثـ . . ـوَّاءُ	١٨١
قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ	**	بِسُقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُول فَحوْمَلِ	١٨١
كتمتُكَ ليلا بالجمومين سـ . ـاهراً	**	وهَمَّيْن هَمّاً مستكنّاً وظـ . ـاهرا	١٨١
لخولـ . ـة أطـ . ـلال بِـ . ـبرقـ . ـة ثهمد	**	تَلُوح كباقي الوَشْمِ في ظاهرِ اليَدِ	١٨١


فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .

٢. الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : سعيد المندوب، الناشر : دار الفكر ، لبنان ، الطبعة الأولى١٤١٦هـ .

٣. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة : أحمد بن أبي بكر البوصيري ، تحقيق : أبي عبدالرحمن عادل بن سعد ؛ وأبي إسحاق السيد بن محمد بن إسماعيل ، الناشر : مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

٤. أساس البلاغة : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، الناشر: دار صادر ؛ ودار بيروت ، بيروت ، (ط.د.) ١٣٨٥هـ .

٥. أسباب نزول القرآن : أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : السيد أحمد صقر، الناشر : دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .

٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، الناشر : دار الفكر ، (م.د.) ، (ط.د.) ١٣٩٠هـ .

٧. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز في القرآن الكريم : الحافظ عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي ، اعتنى بطبعه : رمزي سعد الدين دمشقية ، الناشر: دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

٨. الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني الشافعي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، الناشر: دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .

٩. أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية : د. عبدالحكيم الأنيس ، الأحمدية : مجلة علمية دورية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، تصدر عن : دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي ، العدد الحادي عشر جماد الأولى ١٤٢٣هـ . .

١٠. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين

والمستشرقين: خير الدين الزركلي ، الناشر : دار العلم للملايين ، (م.د.) ، الطبعة الخامسة ١٩٨٠م .

١١. إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ : ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : د. حسن حبشي، الناشر : (بدون) القاهرة ، (ط.د.) ١٣٨٩هـ .

١٢. البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ؛ والشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق د.زكريا عبد المجيد النوقي ؛ و د. أحمد النجولي الجمل ، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان ، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م .

١٣. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : محمد بن علي الشوكاني ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت ، (ط.د.) ، (ت.د.).

١٤. البرهان في ترتيب سور القرآن : أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، دراسة وتحقيق : أ. محمد شعباني ، الناشر : من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، (ط.د.)١٤١٠هـ .

١٥. البرهان في علوم القرآن : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار المعرفة ، بيروت ، (ط.د.) ١٣٩١هـ .

١٦. البيان في عدّ آي القرآن : أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني ، تحقيق : غانم قدوري الحمد ، الناشر : مركز المخطوطات والتراث ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

١٧. تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، الناشر : دار الهداية ، (م.د.) ، (ط.د.) (ت.د.) .

١٨. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : د. عمر عبد السلام تدمرى ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

١٩. التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري ، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي ، الناشر : دار الصحابة للتراث – طنطا– مصر ، الطبعة

الأولى ١٤١٢هـ .
٢٠. التذكرة في القراءات الثمان : أبي الحسن طاهر بن عبدالمنعم بن غلبون المقرئ الحلبي، دراسة وتحقيق : أيمن رشدي سويد ، الناشر : (م.د.) سلسلة أصول النشر (١) ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .
٢١. التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، الناشر: دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ .
٢٢. تفسير التحرير والتنوير : محمد الطاهر ابن عاشور ، الناشر : دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، (ط.د.) (ت.د.) .
٢٣. تفسير القرآن : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم ؛ وغنيم بن عباس بن غنيم ، الناشر : دار الوطن ، الرياض ، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ .
٢٤. تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، (ط.د.) ١٤٠١هـ .
٢٥. التفسير الكبير : للإمام الفخر الرازي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ .
٢٦. تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع : جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني، الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ١٣٥٧هـ .
٢٧. تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ .
٢٨. تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق : محمد عوض مرعب، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
٢٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، الناشر : دار الفكر ، بيروت (ط.د) ١٤٠٥هـ .
٣٠. الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الناشر :

دار الشعب ، القاهرة ، (ط.د.) (ت.د.) .
٣١. الجامع الصحيح سنن الترمذي : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٣٢. الجامع الصحيح المختصر : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، الناشر : دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .
٣٣. جمال القراء وكمال الإقراء : أبي الحسن علي بن محمد بن عبدالصمد المعروف بعلم الدين السخاوي ، دراسة وتحقيق : عبدالحق عبدالدايم سيف القاضي -رسالة دكتوراة في الجامعة الإسلامية- الناشر : مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. .
٣٤. جمهرة أشعار العرب : أبو زيد القرشي ، تحقيق : عمر فاروق الطباع ، الناشر : دار الأرقم ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٣٥. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : أحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق : علي سيد صبح المدني ، الناشر : مطبعة المدني ، مصر ، (ط.د) (ت.د) .
٣٦. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان ، الناشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية -حيدر اباد- الهند ، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ. .
٣٧. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب : إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٣٨. ديوان امرئ القيس : تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثالثة (ت.د.) .
٣٩. ديوان طرفة بن العبد : تقديم وشرح : عبدالقادر محمد مايو ، الناشر : دار القلم، حلب ، (ط.د.) (ت.د.) .
٤٠. ديوان النابغة الذبياني : تحقيق : فوزي عطوي ، الناشر : الشركة اللبنانية للكتاب

للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (ط.د.) ١٩٦٩م .

٤١. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وآثارها السيئ في الأمة : محمد بن ناصر الدين الألباني ، الناشر : مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٢٤٠هـ .

٤٢. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير : الخطيب الشربيني . (توجد نسخة منه في مكتبة الملك عبدالله في جامعة أم القرى ، بمكة) ، (م.د.) ، (ط.د.) (ت.د.) .

٤٣. سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر : دار الفكر ، (ط.د.) (ت.د.) .

٤٤. السنن الكبرى : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ؛ وسيد كسروي حسن ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

٤٥. سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط؛ ومحمد نعيم العرقسوسي ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ .

٤٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ؛ ومحمود الأرناؤوط ، الناشر : دار بن كثير، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٤٧. شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي ؛ مع شرح شواهده : عبدالقادر البغدادي ، تحقيق : محمد نور الحسين ؛ ومحمد الزفزاف ؛ ومحمد محي الدين عبدالحميد ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ط.د.) ١٣٩٥هـ .

٤٨. شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره : د. بالقاسم الغالي ، الناشر : دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

٤٩. الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير : د. هياء ثامر مفتاح العلي ، الناشر : دار الثقافة ، الدوحة ، (ط.د.) ١٩٩٤م .

٥٠. صحيح سنن الترمذي : محمد بن ناصر الدين الألباني ، الناشر : مكتبة المعارف

للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ . .
٥١. طبقات الحفاظ : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ . .
٥٢. طبقات الشافعية : أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان ، الناشر : عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ . .
٥٣. طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ؛ و د. عبد الفتاح محمد الحلو ، الناشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، (م.د.) ، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ . .
٥٤. طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، الناشر : دار المدني ، جدة ، (ط.د.) (ت.د.) .
٥٥. طبقات الفقهاء : إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، تحقيق : خليل الميس ، الناشر : دار القلم ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٥٦. طبقات المفسرين : أحمد بن محمد الأدنه وي ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ . .
٥٧. طبقات المفسرين : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر، الناشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ . .
٥٨. غاية النهاية في طبقات القراء : شمس الدين ابن محمد بن محمد ابن الجزري ، عنى بنشره : ج . برجستراأسر ، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الثالثة (ت.د.).
٥٩. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الناشر : منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٦٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٦١. الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود

بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٦٢. لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، الناشر : دار صادر، بيروت ، الطبعة الأولى (ت.د.) .
٦٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر : دار الكتب العلمية ، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ . .
٦٤. المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ٢٠٠٠م .
٦٥. محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية : الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجه ، الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ،(ط.د.) ١٤٢٥هـ . .
٦٦. مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، تحقيق : محمود خاطر ، الناشر : مكتبة لبنان ، بيروت ،(ط.د.) ١٤١٥هـ . .
٦٧. مرشد الخلان إلى معرفة عدِّ أي القرآن : عبدالرزاق علي إبراهيم موسى ، الناشر: المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت – ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ . .
٦٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل : أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ، الناشر : مؤسسة قرطبة ، مصر ، (ط.د.) (ت.د،).
٦٩. مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور : د. عادل محمد صالح أبو العلا –رئيس قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب– جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، (ط.د.) ١٤٢٢هـ . .
٧٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، الناشر : المكتبة العلمية ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د.) .
٧١. المصنف : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن

الأعظمي ، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ . .

٧٢. معجم الأدباء : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ . .

٧٣. معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، الناشر : دار الفكر ، بيروت ، (ط.د.) (ت.د) .

٧٤. المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، الناشر : مكتبة الزهراء ، الموصل ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ . .

٧٥. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد ، تحقيق : مصطفى السقا ، الناشر : عالم الكتب بيروت ، الطبعة: الثالثة ١٤٠٣هـ . .

٧٦. معجم مقاييس اللغة : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الناشر : دار الجيل ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ . .

٧٧. المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى ؛ وأحمد الزيات ؛ وحامد عبد القادر ؛ ومحمد النجار ، تحقيق : مجمع اللغة العربية ، الناشر : دار الدعوة ، (م.د.) ، (ط.د.) (ت.د.).

٧٨. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار : محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ، تحقيق : بشار عواد معروف ؛ وشعيب الأرناءوط ؛ وصالح مهدي عباس ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ . .

٧٩. المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، الناشر : دار المعرفة ، لبنان ، (ط.د.) (ت.د.).

٨٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، تحقيق عبدالرزاق غالب المهدي ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٢٧ هـ . .

٨١. وفيات الأعيان و إنباء أبناء الزمان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي

بكر بن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، الناشر: دار الثقافة ، لبنان ، (ط.د.) (ت.د،).

٨٢. الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط؛ وتركي مصطفى ، الناشر : دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٢٠هـ . ، (ط.د) .

فهرس الموضوعات